

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# علم الأديان:

## نظرة قرآنية

عرفات عبد النجيم الرميّة

مدرس علم الأديان بجامعة المعرفة وقرأ

۲

۲

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية ٣٥٥ / ٢٠٢١ م.  
صنعاء  
الطبعة الاولى ١٤٤٣ هـ / سبتمبر / ٢٠٢١ م.  
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

## فهرس عناوين الكتاب

٧	١- مقدمة.....
٩	٢ - الباب الأول : مدخل عام إلى علم الأديان .....
١٠	٣ - مقارنة الأديان .....
١٤	٤- الأسباب التي حفّزت المسلمين لدراسة الأديان .....
١٦	٥ - أهمية دراسة علم الأديان.....
١٧	٦- سيرة الدين عبر العصور.....
١٩	٧- مفهوم الدين وتعريفه.....
٢١	٨ - لفظ كلمة الدين ومعناه في القرآن .....
٢٢	٩- معنى الدين لغة واصطلاحاً .....
٢٣	١٠- تعريف الدين لدى علماء المسلمين.....
٢٤	١١- النظريات التي تفسّر نشوء الدين .....
٢٦	١٢- التفسير القرآني لنشوء الدين.....
٢٨	١٣- بواعث التدين الفطرية .....
٢٩	١٤- المكونات الاساسية والثانوية للدين.....
٣٠	١٥- دور الدين وأهميته في المجتمعات الإنسانية .....
٣٢	١٦- الفرق بين الدين والفكر الديني .....
٣٣	١٧- دين واحد وشرائع متعددة.....
٣٤	١٨- الإسلام القرآني بأي معنى .....
٣٥	١٩- الإسلام العام دين جميع الأنبياء.....
٤٢	٢٠- قائمة مراجع الباب الأول.....
٤٥	٢١- الباب الثاني : الأديان الشرقية .....
٤٦	٢٢- الفصل الأول : الديانة الزرادشتية .....
٤٦	٢٣- مدخل.....
٤٧	٢٤- نبذة عن حياة المؤسس .....
٤٩	٢٥- البداية أو الوحي .....
٥٠	٢٦- بدء الدعوة للدين الجديد .....
٥١	٢٧- الكتاب المقدس.....
٥٣	٢٨- العقيدة الزرادشتية .....
٥٥	٢٩- انحراف العقيدة الزرادشتية.....
٥٧	٣٠- المخلص أو المهدي الزرادشتي .....
٥٨	٣١- القيامة والبعث في الحياة الآخرة.....
٦٢	٣٢- الأخلاق الزرادشتية .....
٦٣	٣٣- الشرائع و العبادات الزرادشتية.....
٦٧	٣٤- قائمة المراجع .....

٧٠	٣٥ - الفصل الثاني : الكونفوشيوسية
٧٠	٣٦- مدخل
٧١	٣٧- نبذة عن المؤسس
٧٢	٣٨- الوحي وبداية التحول
٧٣	٣٩- العقائد الكونفوشية
٧٤	٤٠- الأخلاق الاجتماعية
٧٥	٤١- التبادل أو العلاقات الخمس
٧٧	٤٢- أهمية الأخلاق لدى كونفوشيوس
٧٨	٤٣- مفهوم الإنسانية
٧٩	٤٤- الإنسان المتسامي أو الأعلى
٨١	٤٥- قائمة المراجع
٨٣	٤٦- الفصل الثالث : الديانة الهندوسية
٨٣	٤٧- أصل المصطلح ومعناه
٨٤	٤٨- أهم كتب الهندوسية وأشهرها
٨٥	٤٩- التوحيد والتعددية في الهندوسية
٨٧	٥٠- المعتقدات الهندوسية
٩١	٥١- النظام الاجتماعي الطبقي
٩٤	٥٢- أفكار ومعتقدات أخرى
٩٥	٥٣- تعقيب على الهندوسية
٩٦	٥٤- قائمة المراجع
٩٨	٥٥- الفصل الرابع : البوذية
٩٨	٥٦- مقدمة
٩٩	٥٧- نشأة بودا والمراحل الأربعة
١٠٢	٥٨- انتشار البوذية
١٠٣	٥٩- مفاهيم أساسية في البوذية
١٠٥	٦٠- الحقائق الأربع النبيلة
١٠٨	٦١- الوصايا العشر لبودا
١٠٩	٦٢- أصول الرذائل ومنبعها
١١٠	٦٣- أوجه الكمال العشرة في البوذية
١١١	٦٤- فكرة المخلص البوذية
١١١	٦٥- مفهوم الدين الحقيقي لدى الدلاي لاما
١١٤	٦٦- قائمة المراجع
١١٥	٦٧- الباب الثالث : الديانات السماوية
١١٦	٦٨- الفصل الأول : اليهودية أو الشريعة الموسوية
١١٦	٦٩- البداية أو قصة اليهود

- ٧٠- نكبة الغزو البابلي..... ١١٨
- ٧١- أصل التسمية ..... ١١٩
- ٧٢- الكتب المقدسة عند اليهود..... ١٢٢
- ٧٣- بدء كتابة التوراة المحرفة..... ١٢٤
- ٧٤- تقسيمات العهد القديم وتعداد اسفاره..... ١٢٥
- ٧٥- الوصايا العشر..... ١٢٧
- ٧٦- التلمود..... ١٢٨
- ٧٧- فرق اليهود وطوائفهم الرئيسية..... ١٣٠
- ٧٨- المفاهيم والعقائد اليهودية..... ١٣٣
- ٧٩- عقائد اليهود المنحرفة في الإله ..... ١٣٣
- ٨٠- تجدد إرسال الرسل والأنبياء لهم ..... ١٣٦
- ٨١- عقائدهم المنحرفة في أنبياء الله ..... ١٣٦
- ٨٢- اليوم الآخر أو الفكر الأخروي عند اليهود..... ١٤٥
- ٨٣- المسيح المنتظر..... ١٤٦
- ٨٤- العنصرية اليهودية وأكذوبة الشعب المختار..... ١٤٦
- ٨٥- الشريعة اليهودية ..... ١٤٩
- ٨٦- الأعياد اليهودية ..... ١٥٨
- ٨٧- قائمة المراجع ..... ١٦٠
- ٨٨- **الفصل الثاني : المسيحية** ..... ١٦٥
- ٨٩- علاقة المسيح باليهود..... ١٦٦
- ٩٠- الاعتراف بالمسيحية..... ١٦٦
- ٩١- النصرانية في القرآن بأي معنى..... ١٦٧
- ٩٢- رسول إلى بني اسرائيل..... ١٦٩
- ٩٣- معجزات المسيح في القرآن ..... ١٧٠
- ٩٤- الإنجيل أو العهد الجديد ..... ١٧٢
- ٩٥- المسيحية المحرفة..... ١٧٦
- ٩٦- تحريفات بولس في المسيحية..... ١٧٨
- ٩٧- المسيحيون الموحدون..... ١٨٠
- ٩٨- مجمع نيقيا وتأكيدهم التحريف..... ١٨٣
- ٩٩- التشريع ومرحلة في المسيحية..... ١٨٥
- ١٠٠- العبادات في المسيحية..... ١٩٠
- ١٠١- ملاحظات حول المسيحية..... ١٩٢
- ١٠٢- قائمة مراجع المسيحية ..... ١٩٤
- ١٠٣- قائمة المصادر والمراجع الرئيسية للكتاب ..... ١٩٧

## مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وبعد ... يأتي هذا الكتاب حصيلة لأربعة أعوام تدريسية لطلاب البكالوريوس - في جامعات صنعاء ( كلية التربية أرحب ) وجامعتي المعرفة وقرأ - نتيجة للتفاعل بين الواقع التدريسي المتجدد والأفكار القرائية المتعددة في مادة مقارنة الأديان وقد خضعت موضوعات الكتاب والأفكار المطروحة فيه - تبعاً لذلك - لجدلية الفكر والواقع ، بمعنى : أن الواقع التدريسي والقرائي هو الذي عدل أفكار الكتاب تبعاً حتى وصل إلى ما هو عليه.

وقد جاء تأليف الكتاب استجابة للنقص الواضح في التأليف في المادة المذكورة على الساحة الوطنية - والذي يكاد يكون نادراً - وكذلك خلو معظم الكتابات في علم الأديان من ربطها بالقرآن الكريم واستمداد تلك الدراسات زاداها المعرفي مما توفر لها من العلوم الوضعية الغربية خصوصا فيما يتعلق بعلم الاجتماع الديني ، كان انطلاقنا في تأليف الكتاب وفي تسميته وفي عنونة موضوعاته مستمداً من الرؤية القرآنية ، التي جعلت حتى من عبادات الكفار الباطلة ديناً كما قال تعالى { لكم دينكم ولي دين } . وتم التعامل مع الأديان الوضعية المذكورة في الكتاب باعتبارها بقايا شرائع سماوية تم تحريفها مع تقادم الزمن بأصحابها - كما حدث مع اليهودية والمسيحية - لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه : { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير } وإما أفكاراً وضعها أصحابها وتحولت مع العادة والألفة ديناً يعتقد فيها اتباعها ويجعلون لمعبوداتهم طرقاً معينة للتعبير عن تلك العبادة دون التساؤل عن مدى صحتها وتوافقها مع الفطرة السليمة ، عملاً بقوله تعالى : { هذا ما ألفينا عليه أبائنا } .

كنا واعين تمام الوعي خلال صفحات هذا الكتاب أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً وكل الرسالات السماوية خرجت من منبع واحد وبشرت بدين واحد هو الإسلام - بالمفهوم القرآني الواسع وليس بالمفهوم الفقهي الضيق - فالدين واحد والشرائع متعددة ، فالشرائع تختلف في الفروع المناسبة للزمان والمكان وللبيئة ، فهي محل التغيير بين الرسل ، لأنها أمور تتعلق بحركة الحياة المتغيرة .

وعندما نعرض بعضاً من معتقدات الأديان المحرفة التي تتناقض مع ديننا الإسلامي ، فمرد ذلك إيماناً منا بالأمانة العلمية التي تعرض آراء وأقوال المخالفين لنا مع ردنا لها وتفنيدها وإظهار خطئها والغرض من ذلك أيضاً هو معرفة كيف تطوّر العقل البشري في بحثه عن الخالق وكيف ظلّ عندما لم

يصله هدى الله سبحانه وتعالى وهذا لا يتناقض مطلقاً مع المنهج القرآني الذي كان يعرض آراء المخالفين من المشركين والملحدين والمحرفين للشرائع السماوية - كاليهود والنصارى - ومن سار على منهجهم في التحريف . حاولنا النظر إلى كل الآراء والنظريات التي فسرت نشوء الدين من خلال المنظور القرآني الذي يصرّح بأن الدين فطرة وغريزة أودعها الله سبحانه في خلقه منذ الأزل وأن التدين - بكافة أشكاله السوية وحتى المنحرفة - يكاد يكون القاسم المشترك الوحيد بين الشعوب والحضارات المختلفة بالرغم من اختلافهم في كل شيء منذ أن وجدت الأرض وسوف يظل كذلك إلى أن يرثها الله ومن عليها ، لقد حاولنا في هذا الجهد المتواضع الابتعاد عن التعقيد من خلال عدم استخدام المصطلحات الغير مفهومة والكتابة للناشئة وطلاب الجامعة وليس لأهل الذكر والتخصص آمليين أن يحقق المقرر الهدف المطلوب منه .

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب : الباب الأول منها :

هو مدخل عام نتعرف فيه على كل ما يتعلق بعلم الأديان من المصطلحات والمفاهيم وبالدين ومكوناته والنظريات التي فسرت نشوء الدين عبر العصور المختلفة وعن أهميته في حياة الفرد والمجتمع وعن الجامع بين الدين - السماوي الواحد بشرائعه المتعددة - والأديان الوضعية وهذا الباب يمثل الجزء النظري الذي من خلاله يمكن فهم طبيعة الأديان المدروسة .

الباب الثاني : نتعرف فيه على أهم الأديان الشرقية التوحيدية ، مثل الزرادشتية وقد حرّفت بعد ذلك و الوضعية مثل الهندوسية والكونفوشيوسية والبوذية ، مع ملاحظة أن الكونفوشيوسية هي أقرب للفلسفة الأخلاقية من الدين .

الباب الثالث : نتعرف فيه على الرسائل السماوية التي دخل عليها التحريف كاليهودية والمسيحية من مصادرها المتعمدة مع مقارنتها بما هو موجود في القرآن الكريم لمعرفة الصحيح منها والمنحرف .

وفي الاخير نقول : ان كل جهد انساني - بحكم انه كذلك - معرض للنقص ، وكما قال القاضي عبد الرحيم البيساني وهو يعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه: " إني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر " نحمد الله ونثني عليه على كل حال كما قال سبحانه : {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الصفافات ١٨٠-١٨٢} .

# الباب الأول : مدخل إلى علم الأديان

## مدخل عام إلى علم الأديان

يبحث علم الأديان عن الكيفية التي نشأت بها الأديان في المجتمعات البشرية وكيف تطور الشعور الديني - لدى الفرد والمجتمع - فيها ويركز على الأسس التي قامت عليها الأديان المختلفة - السماوية او الوضعية - ويتحدث عن النظريات المختلفة التي حاولت تفسير التدين في المجتمعات الإنسانية باعتباره من أهم الظواهر الاجتماعية على الاطلاق ويركز ايضاً على المكونات الأساسية والفرعية المكونة للدين ويناقش الأهمية التي يكتسبها الدين في حياة الفرد والمجتمع على السواء ويركز كذلك على المقارنة بين الأديان لمعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف والافتراق فيما بينها وهو يُعنى كذلك بتاريخ الأديان موضعاً الفلسفة التي اعتمدها كل دين في مخاطبة مُعتنقيه واتباعه .

### علم الأديان :

هو أحد العلوم الإنسانية المعنية بدراسة الأديان دراسة علمية، وفق مناهج البحث، التي وفرتها العلوم الإنسانية ومناهجها - فهو يشبه علم الاجتماع، الذي يدرس المجتمع، ويشبه علم الأنثروبولوجيا، الذي يدرس بقايا الإنسان وثقافته - وهو علم يدرس علاقة الإنسان بالمقدس، وما ينتج عن تلك العلاقة من تراث شفاهي، مكتوب أو معمول ويصل، من خلال ذلك، إلى وصف وتفسير الشعور الديني لدى الفرد والمجتمع . وذلك يعني أن علم الأديان هو مبحث وسط يقف بين التاريخ من جهة وبين علم النفس وعلم الاجتماع من الجهة الأخرى (١) ولا يمكن لعلم الأديان - ولا لأي علم آخر- أن يصل تماماً، إلى معرفة جوهر أي دين، أو جوهر الأديان مجتمعة، بسبب ما يحيط بالشعور الديني من غموض يتصل بالنفس وأعماقها من جهة، وبالنظر إلى الكون وأعماقه من جهة أخرى، لكن ذلك العلم يحاول أن يقترب من الظاهرة الدينية، وجوهر الأديان، بوسائل علمية، وفكرية، تجود بها طرق البحث العلمي في كل زمان ويكفيه شرف المحاولة .

وقد ظهر مصطلح علم الأديان لأول مرة عندما استعمله عالم الاجتماع ماكس مولر عام ١٨٦٨م عنواناً لكتابه الذي يدرس فيه ظهور الأديان في المجتمعات البدائية وكانت تعني حرفياً : الدراسة العلمية للأديان و استعمله الفرنسي إميل بورنوف عام ١٨٧٠م اسماً لكتاب ألفه في باريس، ليصف به مجموعة متفرقة من العناصر الخاصة بدراسة الأديان، ويدعوها (علم الأديان) .

ولم يكن علم الأديان قبل ذلك الوقت ، علم يمكن أن يشار اليه باسم علم الأديان - أو علم الدين - لأن الأمر كان سيبدو متناقضاً ، فالصراع بين العلم والدين

أخذ بعداً واضحاً منذ عصر النهضة في الغرب ، كان لا يمكن معه جمع مصطلح العلم والدين في كتاب واحد (٢) .

وعلى الرغم من قول فريق من الباحثين أن الدراسات الجادة والجهود العلمية الدقيقة في مجال علم الأديان لم تظهر حقيقة إلا مع كتابات عالم الاجتماع ماكس مولر في القرن التاسع عشر ، إلا أنه بات من المؤكد لديهم أن مفكري الإسلام قدموا اسهامات كثيرة ، لا يمكن التغافل عن قيمتها العلمية أو التقليل من شأنها في مجال علم الأديان بقسميه : تاريخ الأديان ومقارنة الأديان ... ومن المرجح الأكيد أن يكون لمفكري الإسلام فضل السبق في خوض غمار تلك الدراسات (٣) .

وهذا ما سوف نتأكد منه في الصفحات التالية .

### مقارنة الأديان :

من المؤكد لدى الدارسين لعلم مقارنة الأديان أن المسلمين كان لهم قصب السبق في إظهار هذا العلم إلى حيّز الوجود المعرفي ومن مفاخر " المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان وسنرى أن مفكري الغرب يعترفون بذلك " (٤) .

ويمكن القول بأن القرآن الكريم هو أول كتاب تكلم عن علم الأديان وناظر بينها في الكثير من آياته التي قارن فيها بين من يخلق ومن لا يخلق ، كما قال تعالى : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } النحل : ١٨

وقارن فيها كذلك بين التوحيد وبين تعدد الآلهة المؤدي إلى فساد الدنيا ، كما قال تعالى : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } الأنبياء : ٢٢ . وكذلك في العديد من الآيات التي تحدث فيها عن اليهود والنصارى والصابئة كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة : ٦٢

وذكر المجوس مع تلك الطوائف في أحد آياته { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } الحج : ١٧

وقد ذكر القرآن المشتركات التي يجب أن تسود بين المسلمين وبين أهل الكتاب مؤكداً على أن الجدل معهم يجب أن يكون بالتي هي أحسن ويهدف للوصول لما يجمع بين أهل الكتب السماوية وليس ما يفرق بينهم ، عندما قال : { وَلَا

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي  
 أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ { العنكبوت: ٤٦ .  
 وذكر القرآن أيضاً الأسس التي يجب أن تسود بين المسلمين وبين أهل الكتاب  
 باعتبارها الكلمة السواء التي يجب أن يتفق عليها الجميع ، كما قال تعالى :  
 { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا  
 نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا  
 اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران : ٦٤ .

وقارن بين أهل الكتاب بعضهم البعض عندما قال : { لَيْسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلُ  
 الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
 وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } آل عمران : ١١٣-١١٤ .

واستفاض بالذکر والشرح عن شريعة موسى وعيسى ومضمون كل شريعة  
 وما لحق بها من تزييف وتحريف من قبل بعض الاحبار والرهبان من اليهود  
 والنصارى ، فقد زعم اليهود أن ابراهيم - عليه السلام - كان يهودياً وفعل مثلهم  
 النصارى ايضاً وفضحهم القرآن بقوله : { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا  
 وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } .

وقد بين القرآن أن جميع الشرائع السماوية خرجت من مشكاة واحدة ، كما قال  
 تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا  
 بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى : ١٣ .  
 وفي القرآن الكريم " آيات كثيرة أخرى للمقارنة ، كما ان القرآن تحدث عن  
 كثير من الأديان - سماوية كانت أو وضعية - فتحدث عن اليهود واليهودية  
 والمسيح والمسيحية وتحدث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة وسماهم  
 القرآن أدياناً مع بطلانها ، قال تعالى (لكم دينكم ولي دين) " (٥) .

ويمكن القول بثقة : أن علم مقارنة الأديان كان علماً إسلامياً بامتياز ، فقد كانت  
 دراسة ( الملل والأديان والنحل والمذاهب ) من صميم التراث الإسلامي وذلك  
 يعني - برأي أغلب الباحثين - أن الأبوة الشرعية لهذا التخصص العلمي تكمن  
 في الثقافة العربية الإسلامية وتراثها العظيم ومن مفاخر المسلمين أنهم من  
 ابتكر علم مقارنة الأديان " وقد اعترف لهم الغرب بذلك ومن الطبيعي أن هذا  
 العلم لم يظهر قبل الإسلام ، لأن المقارنة تحتاج لتعدد الأديان قبل الإسلام لم  
 يعترف أي منها بالآخر ، فكل دين يعتبر سواه باطلاً وضلالاً ، فاعتبرت  
 اليهودية النصرانية باطلة ولم تعترف بالمسيح واعتبرته خارجاً استحق عندهم

الموت والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية ولم تر مع وجودها بدأ لوجود اليهودية وكذلك موقف الديانات الأخرى من بعضها البعض " (٦) .  
وعندما جاء الإسلام ، كان معلوماً أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الشرائع السماوية الممتدة من لدن آدم عليه الإسلام إلى سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، لأن في شريعته كل ما تحتاج إليه البشرية إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لم تأت تسمية مقارنة الأديان بالعلم الإسلام من فراغ أو نتيجة ادعاء زائف ، بل إن اسهامات مفكري الإسلام فيه هي من وضعتهم في تلك المكانة .

فقد ظهر الكثير من العلماء النوابغ الذين تناولوا ذلك العلم في مؤلفاتهم منهم على سبيل المثال : أبو عثمان الجاحظ ( ١٩٥ - ٢٥٥ هـ ) المؤلف الموسوعي ، الذي ألف كتاباً بعنوان ( الرد على النصارى ) وهو من الكتب الهامة التي أسست لعلم مقارنة الأديان ، فهو يتناول المسيحية من وجهة النظر القرآنية ويناقش أهم أركانها ويرد على تناقضات النصارى في عقيدة التثليث .

ومنهم أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ( ت ٣٢٦ هـ ) المتكلم والفيلسوف ، له ثلاثة من الكتب في مجال علم الأديان : ( الآراء والديانات ) ( فرق الشيعة ) ( الملل والنحل ) ويعتبره البعض المؤسس الحقيقي لعلم الملل والنحل وأول من أطلق عليه هذا الاسم الإسلامي المُمَيِّز .

وكان للمسعودي ( ٢٨٣ - ٣٤٦ هـ ) - مؤلف الكتاب المشهور مروج الذهب واخبار الزمان - مؤلف في مقارنة الأديان بعنوان ( المسائل والعلل في المذاهب والنحل ) حاول فيه أن يُسهّم في تأسيس علم مقارنة الأديان في العصر الوسيط ويقال أن له كتاباً آخر بعنوان (المقالات في أصول الديانات ) لكن ذلك الكتاب لم يقف عليه أحد من الباحثين .

وأسهّم الفيلسوف والمفكر أبو الحسن العامري ( ت ٣٨١ هـ ) في علم مقارنة الأديان من خلال كتابيه عن ( الإبانة عن علل الأديان ) و ( في الإعلام بمناقب الإسلام ) ويُعتبر من مؤسسي علم مقارنة الأديان في الإسلام .

ولا ننسى اسهامات الكاتب الحراني الأصل - المصري المولد - المعروف بـ المسبّحي ( ٣٦٦ - ٤٢٠ هـ ) في كتابه الضخم المنعّون ب ( درك البغية في وصف الأديان والعبادات ) .

ولعبد القاهر البغدادي ( ت ٤٢٩ هـ ) كتاب بعنوان ( الملل والنحل و الفرق بين الفرق ) ينحو نفس المنحى في المقارنة بين الأديان والفرق المختلفة .

وللبيروني ( ت ٤٤٠ هـ ) كتابٌ عن اديان الهند بعنوان: ( تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ) .

وقد نحى ابن حزم الظاهري الأندلسي ( ت ٤٥٦ هـ ) نفس المنحى السابق في كتابه ( الفصل بين الملل والاهواء والنحل )

ولا ننسى اسهامات أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ( ٥٤٨ هـ ) في كتابه ( الملل والنحل ) وبذلك " يكون علم وتاريخ الاديان ( الإسلامي قد تأسس فعلاً على يد هؤلاء المؤلفين " (٧) .

لكن اللافت فعلاً لنظر الباحث المدقق في علم مقارنة الاديان أن فرقة إخوان الصفا وخلان الوفا ( ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ ) التي نشأت في البصرة في العصر البويهى ، اتخذوا مسلكاً خاصاً ونادراً في مقارنة الاديان والتعامل معها ، فقد أكدوا أن أصلها وجوهرها واحد وأنها يجب أن تلتقي وتتجاوز تحت راية الإسلام ، كان إخوان الصفا من أديان ومذاهب إسلامية مختلفة ، لكنهم وصلوا إلى تلك النتيجة المتقدمة بطريقة الحوار فيما بينهم وحولوا مفهوم مقارنة الاديان من مفهوم نظري إلى حالة عملية معاشه وأعطوا المثل الأعظم في وحدة الأديان وكانوا يؤكدون في رسائلهم أن رأيهم " يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها .. وهم أول من استخدم مصطلح علم الأديان في التاريخ عندما قالوا : العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان " (٨) .

لقد كان المسلمون أول من طبع دراسة الاديان بطابع الاستقلالية ، فخلصوه من بقية المعارف والعلوم والفنون وجاءت دراساتهم مطبوعة بطابع الشمولية وقد اعتمدوا في دراستهم للأديان على المصادر الموثوقة بعيداً عن الأساطير والخرافات ، مما سبق يمكننا القول : " أن المسلمين هم السابقون في دراسة مقارنة الأديان وكانت دراستهم موضوعية تعتمد على المنهج العلمي السليم " (٩) . وهنا يقفز إلى ذهن الباحث سؤال ملح عن الأسباب التي جعلت المسلمين

دون غيرهم يلتفتون إلى علم مقارنة الأديان ؟

**الأسباب التي حفزت المسلمين لدراسة الأديان :**

نشأ علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي نتيجة للتسامح الديني - الذي دعا إليه القرآن وطبقه الرسول ﷺ في حياته والصحابه والتابعين من بعده - الذي ساد علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى والصابئة واصحاب الديانات الأخرى وخصوصاً في بلاد الشام وبلاد الرافدين والتي يتواجد فيها العديد من معتنقي تلك الديانات وقد دخلوا مع المسلمين في نقاشات وسجلات فكرية متعددة في المسائل المتعلقة بالعقيدة والشريعة وخصوصاً التي تحدث فيها

القرآن الكريم ، وهناك عدة عوامل واسباب شكّلت حافزاً لدى مفكري الإسلام ودفعتهم لدراسة الأديان والتعرف عليها ومن أهم تلك الأسباب التالي :

- وردت في القرآن الكريم عدة اشارات إلى أديان مختلفة بشكلٍ موجز ، فكان لزاماً على مفكري الإسلام أن يتوسعوا في دراستها ، من أجل أن يقدموا المعلومات الكافية عنها في إطار تفسيرهم لآيات القرآن ويندرج عملهم السابق في إطار الاهتمام بالقرآن الكريم وتفسيره .

- في إطار دعوة القرآن المسلمين إلى التّفكّر ، كانت هناك دعوة ضمنية لضرورة التّعرف على الأديان الأخرى ، حتى يتسنى لهم معرفة الحق من الباطل والخطأ من الصواب في مجال الاعتقاد الديني .

- بما أن الإسلام الدين الحقيقي وبما أن الشريعة الإسلامية هي آخر الشرائع المنزلة ، فإن تأكيد هذا القول يستلزم التعرف على الديانات السابقة وما فيها من مواضع صحة ومكامن ضعف ومن ثمّ التعرف على نقاط الاتفاق - التي دعا إليها القرآن - ونقاط الاختلاف التي تؤكد صدقية الإسلام وتهافت حجج الآخرين ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الدراسة العلمية المقارنة للأديان .

وقد ورد في عدة آيات من القرآن الكريم أن الدين الحق عند الله هو الإسلام - بالمفهوم القرآني كما سنوضح لاحقاً - وكل ما عداه من عقائد وأديان مذكورة هي باطل وطالته يد التحريف من قبل بعض الأحرار والرهبان ، كل ذلك حتمّ على مفكري الإسلام التعرف على تلك العقائد والشرائع ودراستها دراسة علمية - كما فعل الجاحظ في كتابه الرد على النصارى مثلاً - حتى يستطيعوا اثبات صحة المبادئ القرآنية وهيمنتها على الشرائع السابقة من جهة وحتى لا يأتي المسلمون بقول أو فعلٍ يضاهي ما ورد في تلك العقائد الباطلة التي تخالف العقيدة الإسلامية<sup>(١٠)</sup> .

- بعد ما سُمي بالفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في أصقاع الأرض شملت أمماً متعددة ذات ديانات مختلفة ، حدث احتكاك ثقافي وعقائدي بين المسلمين وأصحاب الملل والنحل الأخرى نتيجة التعايش معهم ونتيجة ترجمة التراث الفلسفي اليوناني والهندي والفارسي .

وحدث نتيجة ذلك الاحتكاك الفكري والعقائدي ظهور المناقشات والمجادلات الدينية مما شجع مفكري الإسلام على التعرف على تلك العقائد بعمق وشمول ودقة لمعرفة حقيقة تلك الأديان من أجل مناقشة أصحابها والدفاع عن العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية في إطار علم الكلام الإسلامي وقد أدى ازدهار التأليف في التاريخ الذي ظهر لدى مفكري الإسلام في الحضارة الإسلامية منذ

وقت مبكر أثره الواضح والفعال في نشأة الدراسات العلمية للأديان وازدهارها في إطار الفكر الإسلامي ، حتى أهتم المؤرخون بالحديث عن العقائد والأديان التي يؤرخون لأصحابها (١١).

### أهمية دراسة علم الأديان :

تحقق دراسة الأديان والتعرّف عليها في إطار الفكر الإسلامي عدة فوائد للدارسين والمهتمين بالفكر الإسلامي نذكر منها التالي :

- الوقوف على حقيقة الأديان والتعرّف على مدى صحتها والانحرافات طرأت على ما تسمى أديان سماوية - أو تسمى زوراً وبهتاناً أديان ابراهيمية في إطار التطبيع الثقافي والديني - بفعل عمل بعض الأخبار والرهبان .

- الوقوف على الأمور المتشابهة التي تلتقي عندها جميع الديان السماوية - حتى الوضعية منها وخصوصا الدعوة إلى الأخلاق - حتى يتمكن الدارس من معرفة الصحيح منها من المنحرف والحق من الباطل ويمكن معها معرفة موقعه وموقفه منها .

- تلك الدراسات تعطي الدارس الفكرة الكاملة عن كل دين ، بحيث يتمكن معها من معرفة جميع الحجج لمناظرة معتقبيها وبيان شمول الدين الإسلامي وهيمنته عليها وسلامته من التحريف بالنسبة لها .

- دراسة مقارنة الأديان تعني أن يقف الدارس على جميع أشكال التجارب الدينية على مر العصور بالطرق الموضوعية التي تيسر له الحكم على تلك التجارب للتوصل لمعرفة الأديان المنتشرة في العالم ، وأي منها أفضل للإنسان الفرد والمجتمع ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى تلك الحقيقة إلا بعد دراسة جميع الأديان ومقارنتها ببعضها (١٢) .

### ملاحظة :

وعندما نتكلم عن علم الأديان فذلك يعني أننا نقارن بينها - حتى وإن لم نفعل ذلك - من خلال معرفة خصائص ومميزات كل شريعة ورسالة سماوية فيما يتعلق بالأحكام والعبادات والمعاملات وكيف تمّ تحريف بعضها من قبل بعض الأخبار والرهبان ونصل لنتيجة واحدة من خلال تلك المقارنة وهي ان الشريعة الإسلامية قد نسخت جميع الشرائع السابقة وتفوقت عليها لأن معجزتها الخالدة - القرآن الكريم - ظلت محفوظة من قبل الله سبحانه وتعالى أما العقيدة فإنها واحدة في كل الرسالات السماوية لأن مصدرها واحد - وتدعو لعبادة الله سبحانه وتعالى والايان باليوم الآخر والعمل الصالح - وهو الإسلام

بالمفهوم القرآني وليس المفهوم الفقهي البشري القاصر كما سنتعرف عليه لاحقاً .

وفيما يتعلق بالأديان الوضعية البشرية فمن وجهة نظري لا يمكن المقارنة بين الدين السماوي الإلهي الكامل - والمطلق الصالح لكل زمان ومكان - وبين الأديان والفلسفات الوضعية البشرية النسبية الناقصة والتي ظهرت نتيجة اجتهاد العقل الفطري الإنساني في بحثه عن الإله في مختلف العصور لتغطي النقص الذي حصل نتيجة عدم تتابع الرسائل سماوية في المناطق التي ظهرت فيها تلك الأديان ، وإنما ندرسها لمعرفة تطور الفكر البشري والاجتماعي الإنساني في بحثه عن الإله والقوى الغيبية الخفية التي تحكم وتتحكم بالعالم المادي الظاهر ومن ادعى غير ذلك فهو يشبه من يقارن السيف بالعصى كما قال الشاعر :

ألم ترَ أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل أن السيف أمضى من العصى.

### سيرة الدين عبر العصور :

منذ بداية ظهور الإنسان على الأرض بدأ أولاً يبحث في الكيفية التي يحافظ به على حياته من خطر الحيوانات المفترسة و تأمين حاجاته المادية - من طعام وشراب ومأوى - وبعد إن استقر وأمن على حياته ، بدأ يتأمل ظواهر الطبيعية من حوله وبدأ يطرح على نفسه الاسئلة المصيرية الهامة : من أين جاء ؟ ولماذا أتى إلى هذه الدنيا ؟ وما المصير أو النهاية التي ينتهي إليها ؟ وهل هناك عالم آخر بعد الموت ؟ والأهم من كل ذلك : هل هناك قوة عليا يمكنها الاجابة على كل تلك الاسئلة ؟

والإنسان كان - ولا يزال خصوصاً في المجتمعات الملحدة التي لم تظهر فيها رسالات سماوية - في بحث دائم عن الإله ، عن القوى العليا التي تتحكم في مصيره ومصير الكون وجميع الكائنات من حوله ، خصوصاً بعد أن لاحظ بعض الظواهر الطبيعية من حوله ولم يستطع فهمها وتفسيرها ، كظاهرة الموت وهطول الأمطار الغزيرة والاعاصير والعواصف والزلازل والبراكين وفيضانات الانهار .

وقد أدرك الإنسان البدائي بفطرته - التي أودعها الله فيه - حينها أن هناك قوى عليا خفية تقف وراء تلك الظواهر ، والشيء الثابت لدى علماء الانثروبولوجيا أن فكرة الدين شكّلت جزءاً أساسياً من تكوين جميع الحضارات الإنسانية والتدين شكّل حيزاً هاماً من حياة الشعوب البدائية والدليل على ذلك أن كل الحضارات تحوى المعابد في مبانيها قبل كل شيء وهي الأماكن التي يتوجه

فيها الناس لعبادة الإلهة ولا يزال الدين يكتسب نفس الأهمية بالنسبة للشعوب والمجتمعات حتى وقتنا الراهن " والرجوع إلى أصول الأديان في عصور الجاهلية الأولى لا يدل على بطلان التدين وعلى أنها تبحث عن محال وكل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة في عصر واحد " (١٣)

وقد بدأت الأديان تظهر عند الشعوب البدائية منذ ظهرت المحرمات داخل تلك المجتمعات ، وارتبط ظهور الإنسان بظهور أول ديانة فيها محرمات وشاع عندها مبدأ تقديم القرابين والاضاحي للآلهة ، لقد وجدت التضحية في جميع الأديان بلا استثناء وظلت طبيعتها غير مبررة وغامضة ، لأنها من عالم آخر ومثلت خطأ فاصلاً بين من يؤمنون بنظرية دارون - والتي تقول بالأصل الحيواني للإنسان - وبين من ينكرونها ، فالتضحية مثلت ظهور مبدأ جديداً مناقضاً لمبدأ المصلحة والمنفعة والحاجات ، فالمصلحة حيوانية وهي إحدى الأفكار الأساسية في السياسة والاقتصاد، أما التضحية فإنسانية وهي أحد المبادئ الرئيسية في الدين والاخلاق (١٤) .

فبظهور التضحية ظهر الحس الديني لدى الشعوب البدائية وبدأ التفكير في عواقب الاعمال وظهر نتيجة لذلك التمايز والاختلاف لدى تلك الشعوب بين عالمين : عالم غيبي مقدس صعب الإدراك وعالم دنيوي مدنس مدرك - أو قابل للإدراك - و نتيجة لذلك ظهر السحر كأولى التجارب الدينية لأنه يقوم على افتراض وجود قوة أو طاقة تختلف عن العالم الدنيوي ، لأن السيطرة على السحر تمكن الساحر من السيطرة على العالم كما اعتقدت الشعوب البدائية ، وظهر دور السحرة والكهنة باعتبارهم من رجال الدين ومن المتصلين بالعالم الماورائي - الغيبي ما وراء الحواس - الغير مدرك بالحواس ومن العارفين بالأمور الغيبية التي لا يعلمها سواهم ومثلوا لدى بعض الشعوب وسطاء بينهم وبين القوى الخفية - أو ما سُمي لاحقاً بالآلهة - وكانت لهم المكانة الرفيعة لدى جميع طبقات المجتمع حكماً ومحكومين على السواء . لكن الناس فرقوا بين العبادة وبين السحر " عندما فرقوا بين الأرباب المرجوة والأرباب المرهوبة فاتخذوا العبادة لأرباب الخير والمحبة واتخذوا السحر لأرباب الشر والبغضاء " (١٥) .

وهذا يعني أن السحر كان وسيلة لدفع الأرواح الشريرة ولم يكن غاية بحد ذاته كما فهم البعض ، المهم أنه شكّل مدخلاً لفهم الظاهرة الدينية لدى الشعوب البدائية في بحثها عن القوة الغيبية التي تسيطر على العالم وتحدد مصيره .

### مفهوم الدين وتعريفه :

قبل تعريف الدين يمكننا القول أن مفهوم الدين لا يمكن تعريفه تعريفاً دقيقاً ، نظراً لاختلافه لدى كل من المجتمعات البدائية ذات الديانات الوضعية الارضية ، وبين المجتمعات التي تدين بالدين السماوي - وبين الطوائف والمذاهب والملل والنحل داخل الدين الواحد - وكذلك لاختلاف التجربة الدينية للفرد الواحد في مراحل حياته المختلفة - التي يختلف تأثير الدين عليه في كل مرحلة عن المرحلة التي سبقتها - وتختلف كذلك من شخص لآخر وخصوصاً ممن كتبوا عن الدين ، من أجل ذلك يمكن أن نقول : أن كثرة الأديان وتعددتها واختلافها اختلافاً واسعاً يصعب معه " وضع تعريف للدين شامل لجميع أفراد النوع ، فالتعريف الذي قد يستنبط من دين لا ينطبق بالضرورة على الأديان الأخرى هذا فضلاً عن أن لكل دين من الأديان فرقاً ومذاهب ومملاً ونحلاً وطوائف مختلفة قد تصل في اختلافها وتفرعاتها حداً تبتعد معه عن المبادئ الرئيسية التي تركز عليها العقائد الدينية " (١٦) .

وقبل تقديم التعريفات المختلفة ، يجب القول أن هناك قواعد تحكم كل التعريفات المتعلقة بالدين منها :

- شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم شأناً منهم وغير مسخرة لهم .
  - اعتقاد الناس بأن لهم صلة بتلك القوى .
  - سعي الناس إلى ايجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة (١٧)
- وقد ظهرت العديد من التعريفات للدين من قبل فلاسفة وحكماء من مختلف العصور ، فالفيلسوف اليوناني اكسينوفان يرى أن البشر يصنعون لأنفسهم آلهة على شاكلتهم ، فالأحباش مثلاً يصنعون ألتهم فطس الأنوف ذو بشرة سوداء ، أما شعوب ثراقية ( في اليونان ) فأنهم يصنعون ألتهم زرق العيون على شاكلة سكان تلك المناطق الذين يتميزون بتلك الصفات .
- وكان يرى أن الناس تبتكر الآلهة كي يزرعوا الخوف في نفوس الآخرين ويجعلونهم ينفذون القوانين.
- أما الفيلسوف بروتاجوراس - زعيم المدرسة السفسطائية - فقد شك في وجود الآلهة قائلاً : ليس في استطاعتي أن اعرف إذا كان الآلهة موجودين أو غير موجودين ، لأن أموراً كثيرة تحول بيني وبين تلك المعرفة لعل أهمها غموض المسألة وقصر الحياة ، وهو القائل كذلك أن الإنسان هو معيار كل شيء ، تلك المقولة التي نسفت الدين والأخلاق على السواء .

بالنسبة للفيلسوف سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) الذي أتهم بإنكار الآلهة - وهو اتهم باطل - فكان يرى أن الأخلاق هي : قوانين تخطها الآلهة في قلوب البشر . كانت هناك توجهات دينية - نوعاً ما - لدا الفيلسوفين : أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) وأرسطو ، فالأول عندما تكلم عن نظرية المثل واعتبر المعرفة تذكر لما كان موجودا لدا النفس في العالم الحقيقي (المثل) والثاني في حديثه عن المحرك الذي لا يتحرك مُسبب الأسباب دون أن يكون هناك سبب لوجوده . وعموماً يمكن القول أنهما قد أخذتا بالمعتقد التقليدي الذي كان ينسب الألوهية إلى السماء والكواكب .

وجاءت الفلسفة الأفلاطونية المحدثة في الاسكندرية - والتي أثرت على مسار الديانة المسيحية - بفكرتها الميتافيزيقية (الغيبية) عن (الواحد اللامتناهي) فذهبوا إلى أن الله عالٍ على جميع الأشياء ومنه ظهرت تلك الأشياء بنظرية الفيض التي أخذ بها بعض الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا.

أما شيشرون الحكيم فإنه كان يُعرف الدين بأنه : " الرباط الذي يصل الإنسان بالله " وكان القديس أنسلم - في العصور الوسطى - يرى : أن الدين (أو العقيدة) هو : " قوة يستعين بها العقل من أجل فهم حقائق الكون فهماً عقلياً " .

أما الفيلسوف توما الاكويني (١٢٢٥-١٢٧٤م) فقد كان يرى أن العقل والوحي (الدين) وسيلتان من وسائل المعرفة ، صدرا عن اصل واحد مشترك ، فالله هو الذي أودع العقل في الإنسان وهو الذي أعلن للناس أيضاً حقائق الوحي . وكان للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) في العصور الحديثة رأياً يعطي من شأن الدين على حساب العقل عندما قال :

إن من واجب الإنسان ان يتخذ لنفسه قاعدة معصومة هي أن ما أوحى به الله هو اوثق بكثير من كل ما عداه .

أما الفيلسوف الالمانى كانط (توفى عام ١٨٠٤م) فكان يرى " أن الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر إلهية سامية " .

وكان المفكر شلاير ماخر يعرف الدين بأنه : " خضوع الإنسان لموجود أسمى منه " . أما الفيلسوف فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م) فكان يُعرف الدين بأنه : " غريزة تدفع معتنقه نحو السعادة " وكان الفيلسوف الالمانى هيغل (١٧٧٠-١٨٣١م) يقول : إن : " الدين فن باطني يصور لنا الحقيقة الإلهية من الداخل عن طريق الشعور والاحساس الباطني " (١٨).

في كتاب ( قانون الإنسانية ) يقول الأب شاتل : " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الإنسان نحو الله ، واجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه " (١٩) .

وهذا لعمري أرقى تعريف للدين لدى علماء الغرب وهو يمثل مفهوم الدين المسيحي بعد انكماش دور الكنيسة عن الحياة والسلطة وحصر مهمته في الكنائس ووظيفته في تنظيم علاقة الأنسان بربه من الناحية الروحية وصلته بالمجتمع من الناحية الأخلاقية .

أما المستشرقين فقد كان لهم رأي منحاز يقولون فيه : أنه لا توجد كلمة عربية خالصة تعني الدين ، ويذهب أصحاب دائرة المعارف الإسلامية إلى أن كلمة الدين - في اللغة العربية - هي كلمة آرامية عبرية مستعارة ، معناها الحساب - ويوم الدين هو يوم الحساب - ويذهب فريق منهم إلى أن كلمة الدين في اللغة العربية هي كلمة فارسية تعني ( ديان ) وقد كانت الكلمة مستعملة بالفعل في اللغة العربية أيام الجاهلية وكانت تعني عادة أو استعمال وقد اشتقت كلمة دين من تلك الكلمة (٢٠) .

الكلام السابق يحتم علينا البحث عن معنى لفظ الدين في القرآن الكريم .

### لفظ كلمة الدين ومعناه في القرآن :

القرآن الكريم قد استعمل لفظ الدين بعدة معاني منها على سبيل المثال:

المعنى الاول : بمعنى الجزاء ، فيوم الدين هو يوم الجزاء كما قال تعالى ( ملك يوم الدين ) .

المعنى الثاني : بمعنى الشريعة متضمناً معنى الطاعة والانقياد وهذا المعنى الاكثر استعمالاً في الشرع الإسلامي ، كما قال تعالى : ( مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) يوسف : ٧٦ .

أي في سلطان الملك وطاعته وحكمه أو الشريعة السائدة ، وهو ينطبق على قوله تعالى : ( وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ) البقرة : ١٣٢ .

المعنى الثالث : ( لا إكراه في الدين ) البقرة : ٢٥٦ .

يعني الدين في هذه الآية المعتقد أو الملة .

المعنى الرابع : ( فعبد الله مخلصاً له الدين ) الزمر : ٢ .

الدين يعني هنا العبادة والطاعة .

المعنى الخامس : ( إني أخاف ان يبديل دينكم ) غافر : ٢٦ .

الدين المقصود في هذه الآية هو السلطان والحكم .

فلفظ الدين في تلك الآيات يعني : الشريعة والحكم والسلطان والطاعة والخضوع والانقياد لله تعالى (٢١) .

وكلمة الدين في تعريف القرآن الكريم لها معنى يشمل ما يدخل في باب الاعتقاد والإيمان وما يدخل في باب العمل الذي يؤديه المؤمن تقرباً إلى الله كالصلاة والصيام والزكاة ويشمل كذلك العمل الذي يقوم به مع غيره تحقيقاً للمصالح الدنيوية المختلفة - التي تساهم في خلافة الإنسان في الله - كالبيوع والرهن والشركات وغيرها من التصرفات وأعمال السلوك الخلقى مع النفس ومع الغير .

### معنى الدين لغة واصطلاحاً :

الدين لغة : هو اسم عام يطلق على كل ما يُتعبد به الله تعالى ، ويطلق على معاني الملك والسلطان والقهر والطاعة والقضاء والعبادة والمذهب والشريعة والملة . يقول ابن منظور في لسان العرب : الديان من أسماء الله عز وجل ومعناه : الحكم القاضي....والديان : القهار . والدين : العادة والشأن . ويقال : أدانه ديناً : أدله واستعبده .

ويمكن اجمال المعاني المتعددة للدين في لغة العرب في معنيين : الأول : العمل ويدخل فيه الانقياد والذل والطاعة والورع والعادة والحال والمعصية .

الثاني : الجزاء على العمل ويدخل فيه الحساب والمكافأة ومن لوازمه : السلطة والقهر . ويتضح بهذا أوجه الجمع بين تلك المعاني المختلفة (٢٢) .

ولفظه الدين اصطلاحاً : ( Religion ) مشتق من الكلمة اللاتينية Religare وتدل على الأخذ والجمع أو العدل أو الملاحظة ، أي ملاحظة علامات الاتصال بما هو إلهي أو قراءة أمارات الفأل أو الطيرة .

وتعني كذلك : كل ما يعبد بخوف واحترام وتأتي تلك الكلمة بمعنى يربط أو يجمع أو يصل إلى أو يُعلق بكذا ولهذا كانت الكلمة تعني العلاقة ، أي علاقة ما هو إنساني بما هو فوق إنساني أو إلهي (٢٣) .

من اجل ذلك عرّف ( شيشرون ) الدين بأنه الرباط الذي يصل الإنسان بالله او المخلوق بالخالق كما اشرنا سابقاً .

والدين بحسب معجم أكسفورد هو : الاعتراف بقوة عليا مفارقة غير منظورة تتحكم بمصير الإنسان ولها حق الطاعة والتبجيل والعبادة .

وإذا كان علم مقارنة الأديان علماً إسلامياً - كما مرّ معنا سابقاً - من الطبيعي أن نقف على تعريفات الدين لدى علماء الإسلام .

### تعريف الدين لدى علماء المسلمين :

اشتهر تعريف الدين - الذي قاله الجرجاني في كتابه التعريفات - لدى علماء المسلمين بأنه : " وضع الهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات " والتعريف الآخر يرى فيه مؤلف كتاب كشاف اصطلاحات الفنون بأنه " وضع إلهي لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال " (٢٤) .

ويمكن أن نفهم من التعريفان السابقان عدة أمور منها :

- ١- أن الدين وضع إلهي ( فطرة بالمفهوم القرآني ) وليس من ايجاد النفس أو تخيل البعض أو تنظيم النفس - كما يعتقد بعض علماء الاجتماع - ومرجعه إلى الخالق الذي أنزله إلى المخلوق وأوحى به إلى رسله بواسطة بعض ملائكته كما قال تعالى { قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو } .
- ٢- أنه ينص على الدين عقيدة وشرعية - وليس مجرد اعتقادات لا ثمرة لها - وأنه ضمان رباني يضمن للإنسان اصلاح حياته في حال الدنيا والفوز في مآل الآخرة .

٣ - بيان الربط بين العقيدة والعقل وأن الدين يتفق مع العقل السليم وهذا بخلاف القائلين بالفصل بين الدين والعقل أو بين الدين والعلم وأنه محصور بالأمر الغيبية فقط ولا شأن له بأمور الدنيا (٢٥) .

ويمكن أن نلاحظ أن هناك اختلافاً واضحاً في تعريف الدين في الفكرين الغربي - المسيحي - وفي الفكر الإسلامي ، فالفكر الغربي بوجه عام يقرر أن الدين هو العلاقة بين الله والإنسان فقط وأنها علاقة شخصية وخاصة ولا علاقة لها بالمجتمع في حركته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية " بينما يقرر الفكر الإسلامي أن الدين - بمعنى الإسلام - هو دين ونظام مجتمع وأنه يتجاوز العلاقة بين الله والإنسان إلى العلاقة بين الإنسان والإنسان والمجتمع وأنه نظام شامل متكامل " (٢٦) .

والنتيجة التي نصل إليها : أن الدين عبارة عن : عقيدة يرى بها الإنسان الله وحده في كل شيء وينظم علاقته به من خلاله وهو كذلك شريعة من الله إلى البشر تأمر بكل خير وتكافئ على فعله وتنهى عن كل شر وتعاقب على فعله .

الدين باختصار : هو ما أمر به الله سبحانه وتعالى عباده من الحق في الاعتقاد ( الإيمان به ) الذي يرشدهم إلى الخير في السلوك والمعاملات ( الاخلاق الحسنة ) ويختصره قوله تعالى ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) .

يمكن الآن أن نتجه لمعرفة النظريات التي فسرت نشوء الدين في المجتمعات .

## النظريات التي تفسّر نشوء الدين :

بحث العديد من علماء الاجتماع عن الأسباب التي أدت إلى ظهور الدين في المجتمعات البدائية وذلك من خلال دراسة تلك المجتمعات في مراحل تطورها المختلفة منذ البدايات الأولى لظهور المجتمع البشري وحتى ظهور المجتمع بالشكل الحالي ، وظهرت العديد من النظريات التي فسرت نشوء الدين وبيّنت سبب ظهوره في كل مجتمع ، ومن أهم تلك النظريات هي :

### ١ - النظرية الانثروبولوجية :

وضع رواد تلك النظرية تصوراتهم عن نشأة الدين من خلال مراقبتهم ودراساتهم المستمرة للمجتمعات البدائية ، وأول النظريات ظهوراً كانت نظرية ( هربرت سبنسر ) الذي رأى ان البشرية قد مرت في مراحلها الأولى بزمن لم تعرف خلاله الدين ، وعندما أخذت الجماعات بتقديس أرواح زعمائها الراحلين ، تحولت أرواح الاسلاف المبجلين إلى آلهة تركز الدين حولها وبدأ ظهوره من خلالها . لكن عالم الاجتماع ( تايلور ) طوّر تلك النظرية وأدخل فكرة الأرواحية في كتابه عن ( الثقافة البدائية ١٨٧١م ) ورأى أن الإنسان القديم كان يتأمل حياته وكانت احلامه خلال نومه هي مصدر اعتقاده بوجود أرواح تحل في كل شيء ، فعندما كان يحلم النائم بإنسان ميت فإنه يُفسر ذلك بأن روح الميت قد زارته في نومه وعندما كان يحلم أنه زار مكاناً بعيداً ، فإنه يُفسر ذلك ، بان روحه قد تحركت إلى ذلك المكان البعيد .

وقد ظهر السحر في المجتمعات البدائية قبل ظهور الدين ، لأن الإنسان القديم حاول إيجاد طريقة يستطيع بها ومن خلالها السيطرة على الظواهر الطبيعية التي كانت تحدث في بيئته - ولا يستطيع تفسيرها وفهم طبيعتها الحقيقية - وظن أن تلك السيطرة قد تتم له بتطبيق مبادئ المعتقدات السحرية .

وقد دخلت العبادات البدائية الأولى ، مثل عبادة الحيوانات والجمام وأرواح الأجداد والموتى والاضاحي البشرية والحيوانية في ثنايا المعتقدات وشكّلت بدايات الدين وأولى عتباته وهو ما عُرف بالديانة الطوطمية .

### ٢ - النظرية الطبيعية :

يُعد عالم الاجتماع ( ماكس مولر ) أهم أركان المدرسة الطبيعية ، حيث يُرجع نشأة الدين إلى الأفعال القوية التي مارستها الطبيعية على الإنسان البدائي ( زلازل ، براكين ، أعاصير مدمرة ، رعود وبروق عنيفة ) وقد أثارت تلك الظواهر وبعثت في نفسه الفزع والخوف والرغبة وجعلته يستفسر عن

مصدرها ، وكان ينسبها إلى قوة خفية غيبية ، وقد أعتقد الإنسان البدائي أنه لا بد من إرضائها من خلال تقديم الهدايا والقرابين البشرية والحيوانية لها .  
 لقد حار الإنسان القديم في أمر بعض الظواهر الطبيعية - غير الاعتيادية بالنسبة له - خصوصاً ظاهرة الموت ، وكذلك هطول الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف الرعدية والاعاصير المدمرة كالزلازل والبراكين وفيضانات الانهار ، وأعتقد أنها تحدث بفعل قوى خارقة غير طبيعية تتحكم بها ( كالمسحر ) وهي مصدر الخير والشر في الطبيعة وكان يظن أنه من المستحسن بالنسبة له السيطرة عليها وتسخيرها لصالحه

ويرى ( ماكس مولر ) أن هناك مرحلتين تفسران نشأة الدين : الأولى تكمن في التأمل والعجب والدهشة عندما كان يشاهد تلك الظواهر ولا يعرف أسبابها وقد دفعه تأمله إلى التفكير بأنه محاط بقوى مستقلة عن أرادته .

المرحلة الثانية : تمثلت بالتعبير عن تلك الأفكار عن طريق استخدام اللغة والتي تطورت إلى ظهور التعبيرات المجازية وقد أصبحت تلك التعبيرات فيما بعد قائمة بحد ذاتها وتحولت مع مرور الزمن إلى آلهة ولا سيما مع تطور اللغة التي فرضت على الطبيعة عالماً خيالياً من الكائنات الروحية التي أصبحت محرّكة للطبيعة وجوهرًا للمعتقد الديني

٣ - النظرية العاطفية :

تلك النظرية فسرت الدين باعتباره نتاجاً ثانوياً لعاطفتين هما : خوف الإنسان من الموت - باعتباره أولى الظواهر التي رافقت حياته منذ بدايتها - والطمع في الخلود ، ورأت تلك النظرية أن نشوء الدين وظهور الآلهة في المجتمعات البدائية كان نوعاً من أنواع الخلاص الذي أبتكره الإنسان لكي يُشير به إلى فكرة الخلود ويضمن البقاء بعد الموت من خلال مساعدة الآلهة له ويضمن تلك المساعدة من خلال تقديم القرابين والاضحيات لها لكسب رضاها وكف أذاها عنهم .

#### ٤ - النظرية الاجتماعية :

يقف على رأس هذا النظرية عالم الاجتماع المشهور ( إميل دوركايم ) الذي انتقد تفسيرات النظرية الأرواحية والطبيعية ورأى أن الدين هو التعبير المجازي عن المجتمع نفسه أو عن ظروف الحياة فيه وكان يرى أن الدين هو قوة اجتماعية يحافظ المشاركون فيها على التماسك الاجتماعي بين جميع أفراد المجتمع من خلال إداء طقوس اجتماعية معينة كالرقص ، وقد عاب بعضهم

تلك النظرية عليه واعتبروا أن الدين أو ( الله ) كما قالوا هو المجتمع من وجهة نظره .

#### ٥ - النظرية الفلسفية :

وقد عبر عنها الفيلسوف الالمانى هيغل الذي رأى أن الدين نشأ عندما كان العقل يقف وحيداً في مواجهة جبروت ظواهر الطبيعية المختلفة ولم يكن باستطاعته فهم تلك الظواهر وتفسيرها ومعرفة اسبابها من أجل السيطرة عليها ، ولم يكن ذلك العقل حينها يفصل بين الموجود الكلي ( الله ) وبين ما هو جزئي في الطبيعة ( الإنسان ) فتم الاستعانة بالدين للحصول على الاجابات التي لم يستطع العقل الاجابة عنها<sup>(٢٧)</sup> .

بعد أن تعرفنا على النظريات الاجتماعية والفلسفية التي فسرت نشوء الدين ، نرى لزاماً علينا أن نتعرف على التفسير القرآني لظهور الدين لدى الفرد والمجتمع كي تكتمل الصورة وتظهر ملامحها بشكل أوضح .

#### التفسير القرآني لنشوء الدين :

الايمان بوجود الإله الحق ، فطرة كامنة في قلب كل إنسان ولا تحتاج في اثباتها إلى جدل طويل ، لأنها بديهية - كما يقول عنها علماء الاجتماع - والبديهي هو الشيء المتفق عليه بين عقول جميع الناس ، لأنها قضية مُسلم بها مثلها مثل القضية القائلة أن  $1 + 1 = 2$  أو القضية القائلة بأن الجزء أصغر من الكل والعكس صحيح ايضاً .

وذلك يعني إن " الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة " <sup>(٢٨)</sup> .

من أجل ذلك يعتبر القرآن الكريم أن الدين - والبحث عن الله - فطرة وغريزة طبيعية أوجدها الله داخل كل مخلوق منذ الازل وهو لا يزال في علم الله قبل أن يوجد - أو نطفة بين الصلب والترائب بحسب التعبير القرآني - نفهم ذلك من خلال بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الدين ، منها قوله تعالى { أفي الله

شكُّ فاطر السموات والأرض { ابراهيم : ١٩ .

وكما قال تعالى : ( فَاقْمْ وَّجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) الروم : ٣٠

والفطرة : تعني الخلق كما قال سبحانه : { فَاطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . } [

يوسف : ١٠١ ] أي : خالقهما ، والفطرة المرادة هنا قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ

الجن والإنس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ { [ الذاريات : ٥٦ ] .

" والإمعان في الآية المذكورة يَفِيد بأن الدين عُجَن بفطرة البشر عجنًا ، فإذا هو منها وإذا هي منه وجزء من كيانه " (٢٩) .

فكأن الله يقول للإنسان : الزم هذه الفطرة ، واعلم أنك مخلوق للعبادة بمفهومها الواسع وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين ، عندما قالوا بأن فطرية الإيمان بالله أمر يمكن استفادته من الآيات القرآنية ويجعلون الإيمان بالله غريزة متأصلة في الإنسان كسائر الغرائز ، فكما ان الإنسان يحب الخير ويكره الشر فطرياً ، كذلك هو يبحث عن الله فطرياً وذاتياً .

و فطرة الله المراد بها الخلقة والهيئة التي خلق الله عليها الإنسان وربما تكون هي العقل الغريزي الذي يستطيع به الإنسان أن يصل من خلال التفكير في مخلوقات الله الموجودة الظاهرة في الكون إلى أن ورائها إله خالق عليم قادر وحكيم ايضاً وقد تعني : الطبيعة التي أودعها الله في تكوينك منذ خلق الله آدم ، وخلق منه ذريته .

وقد نشرت عدة دراسات علمية في الغرب تبين كيف أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروسة في النفس البشرية وتوظف آلياتها بالعبادة وتجعل منها طريقاً للصحة والسعادة ومن تلك الكتب : ( الإيمان بالله مغروس بقوة داخل جيناتنا ) لمؤلفه ديان همر نشره عام ٢٠٠٥ م ، وكتاب : ( الإيمان والصحة ) لجيف ليفن ولارسي ، وكتاب : ( الإيمان صحة وفلاح ) لأدروبريمان (٣٠) .

وكل تلك الكتب تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان متديناً بطبعه ومؤهلاً بقدرات من أجل ان يعرف الله ويعبده " إن المخ البشري ليس معداً تشريحياً ووظيفياً فحسب للإيمان بالله وعبادته وإنما هو أيضا مهياً عند قيامه بوظيفة العبادة لحفظ سلامة النفس والبدن بتوجيه العمليات الحيوية خلال منظومة عصبية وهرمونية متشابكة " (٣١) .

إن الدين القيم الذي تحدثت عنه الآية السابقة ، هو الدين الصحيح - أو الحنيف والذي يعني المائل عن كل الأديان الباطلة وهو دين ابراهيم عليه السلام - هو الإسلام الذي أودعه الله في داخل كل إنسان كما أودع فيه الشفرات الوراثية ، والذي يدعوهم فيه للخضوع والاستسلام لله وحده ، يمكن ان نفهم ذلك من قوله تعالى : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } يس : ٦٠ .

ذلك العهد الازلي الذي أخذه الله من بني آدم هو المقصود بقوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۗ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } الاعراف : ١٧٢ .

يمكن أن نفهم ذلك من خلال قول الكفار في الجاهلية - الذين جاء رسول الله ﷺ لهدايتهم - كيف اعترفوا لله تعالى بالخلق : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . . } [ الزمر : ٣٨ ] .

وسوف يقفز السؤال إلى الذهن مباشرة : من أين عرفوا هذه الحقيقة ؟ لقد نُقِلت إليهم من العهد الأول ، فمنذ ذلك العهد لم يجرؤ أحد من خَلق الله أن يدعي هذا الخلق لنفسه ، فظلت هذه القضية سليمة في الأذهان مع ما حدث من فساد في معتقدات البشر . وتظل هذه القضية قائمة بالبقية الباقية من هذا العهد الأول ، حتى عند الكفار والملحدين ، فحين تكتنفهم الأحداث وتضيق بهم أسبابها، تراهم يقولون وبلا شعور : يا رب لا يدعون صنماً ولا شجراً ولا يذهبون إلى آلهتهم التي اصطنعوها ، بل يتوجهون مباشرة إلى الله . إن التدين فطرة في الإنسان ، لأنه تلبية لحاجات نفسه في جوانبها المختلفة : العقلية والوجدانية والإرادية ، إذ هو تكميل ضروري للقوة النظرية داخل نفسه حيث أن العقل في الدين " ما يشبع حاجاته وتكميل لقوة الوجدان ، إذ أن العواطف النبيلة من الحب والشكر والتواضع والحياء والأمل وغيرها تجد في الدين مجالاً ومنهلاً لا ينفذ ، كما أن الدين ضروري لتكميل قوة الإرادة في الإنسان إذ يمدها بأعظم البواعث والدوافع وأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس في الإنسان " (٣٢) .

كل ما سبق يعني : أن التدين والبحث عن الإله هي فطرة وغريزة أودعها سبحانه وتعالى داخل كل مخلوق منذ أن كان لا يزال نطفة في صلب أبيه وذلك هو السبب الحقيقي في ظهور ونشوء الدين داخل كل المجتمعات ، وهو ما سماه علماء الاجتماع بالبحث عن القوى الخفية أو الغيبية أو العليا .

### بواعث التدين الفطرية :

عرفنا أن الدين فطرة أودعها الله سبحانه وتعالى داخل كل نفس إنسانية ولذلك يعتبر التدين جزء من كيان الإنسان ووجوده وهو صفة لازمت الإنسانية منذ وجودها الأول على الأرض ولم تخلو منه أمه من الأمم لأنها نزعة أصيلة فيها وقد عبر عن تلك النزعة الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ( ١٨٥٩ - ١٩٤١ م ) بقوله : " قد نجد في الماضي أو في الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم والفن أو الفلسفة ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين " (٣٣) .

وقد ظهر نزعة التدين من غريزة التطلع إلى ما وراء الطبيعة - الغيب بالمفهوم القرآني - ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة وراءه وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي والعودة إلى التأمل في المسائل الازلية وخصوصاً ما يتعلق منها

بخلق الإنسان ومعرفة حقيقة خالقه وما هو المصير الذي ينتظره بعد الموت ومن أين وجد الكون الذي يعيش عليه وما هو مصيره وغيرها من الأسئلة التي دفعت الإنسان - الذي يستخدم عقله ويفكر به - إلى الإيمان بالله والبحث والنظر في القضايا الغيبية التي كانت - وستبقى وستظل - الشغل الشاغل للإنسان في كل زمان ومكان كي يصل إلى اليقين .

يقول معجم لاروس للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها للحياة الحيوانية والاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى هذه النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .. إن الغريزة الدينية لا تختفي ولا تضعف ولا تدبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل من الأفراد (٣٤) .

إن عجز الإنسان الدائم وحاجته إلى قوة عظيمة تنقذه من جميع المهالك وتعيّنه في الشدائد وتغيّثه وقت الضيق وتعيّنه وقت الحاجة دفعه كل ذلك للبحث عن حلول من خلال قوة عليا وهذا العجز عام في الإنسان مما يجعله يبحث عن منقذ ، لا يشبهه له قدرات خارقة ، فالشعور النفسي بوجود المنقذ والمنجّي يدفع الإنسان إلى الإيمان بالله باعتباره الملجأ الأخير والأمن أيضاً من كل ما يخافه في حياته .

ومن دوافع فطرة التدين عند الإنسان إحساسه بالرهبة أمام هذا الكون الهائل والفسيح وما فيه من الظواهر المدهشة التي يقف عقله عاجزاً عن فهمها إدراك كنهها وفهم حقيقتها ، مما يجعل الإنسان تواقاً للبحث عن خالق الكون ، فيأنس به ويهدأ من روعه ويخضع له بالطاعة والعبادة باعتباره الوحيد الذي يستحق ذلك (٣٥) .

وإذا كان ذلك كذلك ، نرى لزاماً أن نتعرّف على المكونات الأساسية والثانوية للدين ، لنقف على حقيقة التجربة الدينية وفطريتها كما عرّفها القرآن الكريم .

### المكونات الأساسية للدين :

يتكون الدين من مبادئ رئيسية أساسية وأخرى ثانوية ، أما المكونات الرئيسية فتشمل :

١ - المعتقد : وهو عبارة عن الجانب النظري الإيماني والفكري ويشمل كل الأفكار والمعتقدات الدينية في كل الرسالات السماوية التي تدين بالإسلام العام ويشمل الأساطير في معظم الأديان الوضعية البشرية.

٢ - الطقوس والشعائر : وهي تمثل الجانب العملي من الدين وتشمل تقديم الأضاحي والقرايين من خلال الطقوس المصاحبة - لباس معين وصبغ الجسم

بألوان معينة - والقيام بالرقصات الجماعية في الأديان الوضعية القديمة ، ويشمل الشعائر والعبادات المختلفة - في الدين السماوي - كالصلاة والصيام على سبيل المثال .

٣ - الأخرويات : وهي كل ما يتعلق بالموت والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار .

أما المكونات الثانوية للدين فتشمل :

١ - الاخلاق والشرائع : وهي عبارة عن الاعراف المكتوبة - وغير المكتوبة - والتي تنظم علاقات الافراد داخل المجتمع وعلاقتهم بالله وبالكون ايضاً .  
٢ - السير المقدسة : وهي الاخبار المتعلقة بالأنبياء والكهنة ورجال الدين الكبار من الأولياء والقديسين وتلعب دوراً هاماً كونها مصدر الهام واقتداء بالنسبة للمؤمنين بالدين

٣ - الجماعة الدينية : وهي المجتمع أو المجتمعات المنضوية تحت راية هذا الدين أو ذلك وتسمى في المسيحية الملة وتسمى في الإسلام الامة أو العالم الإسلامي (٣٦) .

والاديان جميعها طرق ووسائل للوصول إلى الله ، لكنها جميعاً ليست الله سبحانه وتعالى ، فالله واحد في جميع الاديان والمذاهب ، لكن اسمائه تختلف ، فالماء هو نفسه في أي مكان في العالم - وفي كل زمان ، لكن اسمائه تختلف لدى كل الشعوب ، هذا يقودنا لسؤال جوهرى عن دور الدين وأهميته في حياة الفرد والمجتمع ؟

**دور الدين وأهميته في المجتمعات الإنسانية :**

للدين أهمية عظيمة بالنسبة للفرد والمجتمع على السواء - في المجتمعات البدائية والمتحضرة - ويكفي أن نعلم وجود الحضارة أرتبط بالدين الذي هدّب أخلاق البشر ف" الدين من دون أدنى شك هو القيد الأول للبشرية والأكثر نفعاً لها وإنه الباعث الرئيس للحضارة " (٣٧) .

فهو يُميّز الإنسان عن الحيوان على اعتبار أن الإنسان حيوان متديّن وفنان وصاحب أخلاق - بحسب تعريف علي عزت بيجوفيتش - والفرق الحاسم لديه بين الإنسان والحيوان " ليس شيئاً جسيماً ولا عقلياً ، إنه فوق كل شيء أمر روعي يكشف عن نفسه في وجود ضمير ديني أو أخلاقي أو فني " (٣٨) .

والدين ايضاً يعتبر مصدراً للأمن والاستقرار النفسي ، لأنه يقلل من المخاوف والقلق - الذي يستشعره غير المتديّن والذي يؤدي بالبعض للانتحار - فالدين له وساطة خاصة وقانون خاص به يُبين من خلالها أنه " قادر بفضل على التحكّم

في عوالم القلق والمخاوف وضبط الآمال والحاجات الرئيسية لدى الأفراد .. وهو عامل قوي للاستقرار الاجتماعي منذ اللحظة التي يوفى فيها المجتمع كلاً أو جزءاً آليات عميقة لتقليص الضغط النفسي والاجتماعي والسياسي " (٣٩) .

ويعطي الدين الإنسان شعوراً أكبر بالطمأنينة في واقعه المعاش ويعطيه كذلك الأمل في مستقبل موعود ومحتمل في الآخرة وخصوصاً للفقراء والمعدمين والمظلومين ، إن وجود الدين والقوة العليا يحمي الفرد والمجتمع من الكثير من الجرائم التي يغفل عنها القانون خوفاً من العقاب الأخروي وكما قال الفيلسوف الفرنسي فولتير : إن وجود الله ضروري كي لا تخونني زوجتي ولا يسرقني خادمي " فالدين يُعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها ولا يمكن أن يعيش الإنسان في حياته متوازناً مطمئناً إلا بوجود الدين في عقله وقلبه ، يُلبى حاجاته الروحية والنفسية التي لا يلبئها إلا الدين " (٤٠) .

ويؤدي الدين كذلك بعض الوظائف التي تدعم وتقوي القيم الثقافية في المجتمع من خلال الطقوس والاحتفالات والمناسبات الدينية المختلفة - باختلاف الأديان والمذاهب والطوائف والنحل - تلك الاحتفالات والرقصات والترانيم والتواشيح المصاحبة لها تتضمن وظائف سيكولوجية ( نفسية ) تتعلق بالتخفيف من القلق والتوتر والمخاوف وتوفر الفرصة المثلى للتفاعل بين الإنسان والعالم العلوي .

إن الدين ضروري لروح الإنسان كضرورة الطعام لجسمه " ففي الطبع الإنساني جوع إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام ، فالروح تجوع كما يجوع الجسد وإن طلب الروح لطعامها كطلب الجسد لطعامه ، لا يتوقف على جودة الغذاء ولا على حلاوة المذاق ، بل يتوقف على شعور الغريزة بالحاجة إليه " (٤١) .

فالحاسة الدينية بعيدة الغور في الطبيعة الإنسانية ولا يستطيع الإنسان أن يأمن أن يأمن ويستقر في هذا العالم ، من غير وجود دين يؤمن به .

قد يعتقد البعض - وخصوصاً الملحدين - بأن لا دور للدين في ضبط حركة الأفراد في المجتمع وأن القانون يستطيع لوحده تنظيم علاقة الأفراد فيما بينهم وهذا للأسف فهم سطحي للطبيعة الإنسانية ، فالإنسان تحكمه نفسه وباطنه وبالتالي فإن القوانين قد تضبط حركة الأفراد في بعض الأحيان - متى ما تواجدت بشكل دائم وفي كل مكان وزمان وهذا مستحيل - لكنها لا تضبط تلك الحركة في كل حين ، فالإنسان قد يتجاوز القانون متى أطمأنت نفسه أن القانون لا يراه وأنه سوف يفلت من العقاب أو ربما يخالف القانون من خلال

ثغرة معينة فيه ، بالإضافة إلى أن القوانين تعاقب على ما يظهر من أفعال وجرائم وتؤيده الوقائع بالأدلة والبراهين التي قد تختفي لأي سبب ، فيأمن المجرم من العقاب والقوانين أيضاً لا تهتم بالنيات الباطنية ولا تسأل الإنسان عن نيته التي يضمورها في أعماق قلبه وإنما تعنى بالأعمال الخارجية فقط - حتى إن وقعت على سبيل الخطأ جريمة يدان عليها مرتكبها - والدين بخلاف ذلك تماماً - وهذا سر تميزه - لأنه يُثيب ويُعاقب على الباطن قبل الظاهر وعلى النية قبل العمل ، فضلاً على أن أحكام القوانين الوضعية البشرية فيها من القصور الكثير ولا تخلو من الظلم والتعسف والانحياز - خصوصاً لمن وضعها - بخلاف الدين الذي يساوي بين جميع الناس وبين مختلف الطبقات بدون ظلم ولا تمييز كما قال تعالى : { ولا يظلم ربك أحداً } و لكل ما سبق نستطيع القول : أن " القانون لا يغني عن الدين ولا يستطيع أن يحل محله في توجيه الأفراد وإقامة المجتمعات على أسس فاضلة .. من أجل ذلك كان التدبّر خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة وكان لذلك ضرورة اجتماعية " (٤٢) .

والقانون كذلك لا ينهى عن بعض الأفعال المعنوية ، كالكذب والرياء والحسد وعدم الوفاء بالعهود وغير ذلك من الأفعال التي يحرمها الدين وينهى عنها لأنها تساهم حال وجودها في فساد المجتمع وتفككه .

### الفرق بين الدين والفكر الديني :

من المهم أن يعرف الطالب ويدرك أن هناك فرقاً و اختلافاً بين الإسلام وبين تاريخ الإسلام وبين الدين وبين الفكر الديني ، فالإسلام هو دين الله للإنسان في كل العصور والازمان والذي جاءت به كل الرسل والانبياء من لدن آدم إلى خاتم الانبياء ، أما تاريخ الإسلام فهو تاريخ بشر يخطئون ويصيبون في فهمهم للإسلام وفي تفسيرهم له في سلوكهم اليومي وحياتهم المعاشة .

والدين هو التعاليم التي أتت من الخالق إلى المخلوق عن طريق الرسل والكتب المنزلة من اجل ذلك فالدين كامل { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [ فَصِّلَتْ:٤٢ } لأنه من الله تعالى مصدر الكمال المطلق ومنبعه .

أما الفكر الديني فيعني : فهم البشر للدين وتفسيرهم لذلك الفهم ومعلوم أن فهم البشر للدين يختلف باختلاف الزمان والمكان والأدوات المعرفية المتوافرة - التي تساعد البشر على الفهم - واختلاف المشكلات والمصالح أيضاً وهذا الفهم ناقص وترتبط بظروف الإنسان وحالته النفسية والمصالح التي يدافع عنها .

فالدين شيء والفكر الديني شيء آخر تماماً مختلف عنه كل الاختلاف ، وعيب بعض الجماعات الدينية - كالموهابية على سبيل المثال لا الحصر- أنها لا تفرق بين الدين وبين فهمها للدين وتقدم فهمها للدين باعتباره ديناً وهذا هو السبب في ظهور القاعدة سابقاً وداعش حالياً ، التي شوهدت للإسلام - وباسم الإسلام - ولو انهم ادركوا ذلك الفرق وقالوا للناس أن هذا هو فهمنا للإسلام وليس الإسلام كما قدمه القرآن لأنتقت كل التهم التي وصمت الإسلام وربطته بالإرهاب وخلقتم لدى العالم ما سُمي بالإسلام فوبيا أو الخوف من الإسلام .

### دين واحد ... وشرائع متعددة :

كل الرسالات السماوية خرجت من منبع واحد وبشرت بدين واحد هو الإسلام فالحق الواضح هو الإسلام العام - ويُعرف بالفطرة السليمة العقل - التي لم تغيرها الأسرة والمجتمع باعتباره الدين القيم الحنيف ، وكما يقول تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } {الرُّوم: ٣٠}.

الدين واحد والشرائع متعددة كما أخبرنا القرآن في قوله تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ط فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ؕ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ { المائدة : ٤٨ . والشرعة هي مورد الماء الذي لا حياة للإنسان المادية إلا به ، مثلما ان الدين ضروري لروحه ، فمناهج الرسالات السماوية في العقائد ثابتة لا تغيير فيها في كل زمان ومكان وهي وحدانية الله ، وعدم الشرك به ، وصفات الكمال المطلق له ، وعدم تعدد الآلهة .

وأما ما يتصل بالأحكام التي تحكم أفعال الإنسان فالله سبحانه وتعالى ينزل حكماً لقوم يلائمهم ثم ينزل حكماً آخر يلائم قوماً آخرين ، ولذلك نجد أن سيدنا عيسى قال : { وَلَاجِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } آل عمران : ٥٠ .

أي أن هناك أشياء كانت محرمة في شريعة موسى وجاء عيسى عليه السلام ليحلل بعضاً من هذه المحرمات ، وكان التحريم مناسباً لبني إسرائيل في بعض الأمور والغرض منه تحريم بعض الأمور بهدف التأديب لهم : { فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } النساء : ١٦٠ .

فالشرائع تختلف في الفروع المناسبة للزمان والمكان والبيئة ، فهي محل التغيير بين الرسل؛ لأنها أمور تتعلق بحركة الحياة المتغيرة ، والحق - تبارك وتعالى - يعطي لكل بيئة على لسان رسوله ما يناسبها وما يعالج أمراضها وداءاتها أما الأخلاق والعقائد فهي واحدة ، فالله عز وجل إله واحد في كل

الشرائع السماوية ، والكذب مُحَرَّم فيها ايضاً ، و لم يأتِ نبي من الأنبياء ليبيح لقومه الكذب، فغاية كل الاديان واحدة وهي توحيد الله لكن الوسائل ( شرائع ) متعددة .

وهذا ما قصده الرسول الكريم بقوله: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " (متفق عليه).

فالدين القيم هو الإسلام العام باعتباره الدين الذي دعا اليه جميع الانبياء والرسل { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } {آل عمران: ١٩} .

### الإسلام القرآني بأي معنى ؟

والإسلام القرآني - بحسب فهمنا للقرآن - يعني في جانب العقيدة خضوع قلب الإنسان - لأنه محل نظر الله - وجميع جوارحه لله سبحانه وتعالى والتسليم بذلك الخضوع والاستسلام له ، شكلاً ومضموناً ، فكل عمل وكل سلوك يجب أن يتحرك بدافع الخضوع لله والاستسلام له وتنفيذ أوامره - قولاً وفعلاً وعملاً - كما قال تعالى : { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {الأنعام: ١٦٢} . بحيث يتحول ذلك الخضوع الى سلوك معاش وشرعية ربانية قوامها السلم والسلام والمسالمة ، مع كل مسالم على وجه الأرض - وخصوصاً المخالفين في العقيدة - كي تتحقق مع السلام خلافة الإنسان في الارض تطبيقاً لقوله تعالى : { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } {البقرة: ٣٠} .

فلا خلافة حقيقية الا في ظل السلم والسلام والمسالمة ، تلك هي القاعدة ، أما حالة الحروب فهي استثناء وقد شرعها الله للدفاع عن النفس ضد كل عدوان خارجي واعتبر الدفاع عن النفس والأرض والعرض قتالاً في سبيل الله كما قال تعالى : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } {البقرة: ١٩٠} .

ويجب أن نعرف أن كلمة ( السلام ) ومشتقاتها في القرآن الكريم وردت أكثر من مائة مرة ، بينما لم تذكر كلمة الحرب ومشتقاتها الا في ست آيات فقط .  
فالحروب العدوانية تتنافى مع مبدأ الاستخلاف شكلاً ومضموناً وتجعل من المجتمع الإنساني أقرب للقطيع الحيواني الذي يأكل فيه القوي الضعيف .

وعلى ضوء ما سبق : يغزو الإسلام الرباني القرآني هو الدين العالمي الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء ، كما قال سبحانه وتعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } {آل عمران: ١٩} .

يفهم من تلك الآية اولاً : أن المراد من الإسلام هو التسليم والانقياد والخضوع لله تعالى و لكل ما أنزل من الشرائع والأحكام ، وعلى ضوء ذلك يلتقي معنى

الإسلام في جميع العصور من عصر آدم وإبراهيم وموسى وعيسى إلى عصر خاتم الأنبياء على معنى واحد هو الخضوع والتسليم و الانقياد لله تعالى والطاعة له سبحانه وتعالى ولشرائعه التي أنزلها على انبيائه وبذلك المعنى يكون الإسلام اسماً جامعاً لجميع الشرائع .

### الإسلام العام دين جميع الأنبياء :

إن الإسلام العام هو دين الأنبياء جميعاً و الذي يشترط الايمان بجميع الرسل وجميع الشرائع السماوية ، في المجال التنظيري ، ويطبق الإسلام سلماً وسلاماً ومسالمة ، في الجانب التطبيقي العملي الحياتي المعاش ، فمن يجمع بين المجالين التنظيري والتطبيقي فهو مسلم بامتياز ، فالله لا يقبل غير الإسلام الذي يدعو ويطبق السلام والسلم والمسالمة - لأن فيه صلاح للكون ولمن فيه - وضده هو الإجرام الذي تنكره جميع الشرائع السماوية وجميع الفلسفات الإنسانية ، وترفضه الفطرة السليمة والعقل المستقيم ، فالإسلام - بمعناه القرآني - هو دين الفطرة كما أخبر عن ذلك الله سبحانه وتعالى بقوله : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم ٣٠

ولا يعرف نعمة الإسلام والسلام إلا من ذاق وباء الحرب والإجرام - لأن الضد كفيل بإبراز مميزات ضده كما يقول المثل العربي - من أجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى : { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } القلم: ٣٥- ٣٦ . فلا عقل ولا منطق ولا دين ولا أخلاق تساوي بين المسالم - الذي يسلم جميع المسالمين في كل زمان ومكان من لسانه ويده على دمائهم وأموالهم وأعراضهم - وبين المجرم الذي يفعل عكس المسالم في كل شيء ، فالإسلام ضده الإجرام شكلاً ومضموناً .

بناءً على ما سبق نستطيع أن نصنّف ما تقوم به الحركات الإرهابية - كالقاعدة وأخواتها ، داعش وجبهة النصرة - من قتل وترهيب وتنكيل بالمخالفين لها ، سفكاً لدمائهم وهتكاً لأعراضهم باليد واللسان ، بأنه إجرام لا علاقة له بالإسلام لا شكلاً ولا مضموناً ، حتى وأن نطقوا بالشهادة - كما يشترط الإسلام الذي يقدمه الفقهاء بناء على طريقة فهمهم وتفسيرهم للإسلام المستند على حديث أحاد وحديث الأحاد لا يؤخذ به في مجال العقائد كما يقول علماء الأصول - فالقول مرفوض وممقوت عند الله اذا لم يتبعه العمل ، كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } {الصف: ٢- ٣} . فالسلام هو أمان الله في الأرض ، وهو الدين الذي ارتضاه

لجميع خلقه وبشرت به جميع رسله ، وهو من اسمائه تعالى كما قال عن نفسه : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ } { الحشر ٢٣ }  
والجنة كذلك هي دار السلام الدائم الذي لا ينقطع ولا يفنى ، وهي دار السلامة من الموت والهزم والشقاء وجميع الأسقام كما قال تعالى : { لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } { الأنعام ١٢٧ } .

والإسلام العام هو دين إبراهيم - أبي الانبياء - الذي امتد منه إلى إسماعيل وإسحق ويعقوب ( اسرائيل ) حتى وصل الى موسى وعيسى عليهم السلام جميعا. والإسلام الذي دعا إليه النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله هو امتداد لدين الله العام الخالص ، كما قال تعالى : { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { النحل ١٢٣ } .

والإسلام هو دين عام للبشرية جمعاء - بما يمثله من سلم وسلام ، لأنه الكفيل بتنفيذ الاستخلاف - وهو مضمون جميع الرسالات السماوية ، والتي تعددت أشكالها بتعدد الأنبياء والرسل ، وبتعدد الأمم على مدار التاريخ .  
ولقد جاء تاماً كاملاً يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق ، بعد وصول البشرية إلى مرحلة الرشد ، وهو خاتم الأديان وكتابه خاتم الكتب ونبيه خاتم الانبياء والمرسلين .

وعندما نتكلم عن الإسلام هنا فإننا نقصد به الإسلام القرآني العام الذي يعتبر دين التوحيد مطلقاً من لدن نوح ، مروراً بجميع الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - ووصولاً إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، كما أخبر به القرآن قائلاً : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } { الشورى : ١٣ } .

وهو الإسلام الذي عناه الله سبحانه وتعالى عندما خاطب نبيه - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم - قائلاً له : { قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالتَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { آل عمران : ٨٥ - ٨٤ } .  
وعندما خاطب المسلمين المسالمين بقوله : { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى

وَ عِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {البقرة: ١٣٦} .

ونجد ملامح الاسلام العام في القرآن في العديد من الآيات منها على سبيل المثال: قوله تعالى على لسان حوارى عيسى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران ٥٢ .

وعلى لسان ابناء خليل الله ابراهيم عليه السلام : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة ١٣٣ .

وكذلك على لسان موسى عليه السلام : { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس ٨٤ .

وعلى لسان سحرة فرعون بعد أن آمنوا برسالة موسى عليه السلام : { وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ } الأعراف ١٢٦ (٤٣) .

فالإسلام في القرآن الكريم له مدلول شامل باعتباره الدين الذي ارتضاه الله لعباده منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وعلى آله - " وإذا اخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآني نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية ، فالإسلام - في لغة القرآن - ليس اسماً لدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الانبياء وانتسب اليه كل اتباع الانبياء " (٤٤) .

فالإسلام القرآني يشترط ثلاثة شروط هي : الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح، ويؤكد ذلك قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {البقرة: ٦٢} .

وكذلك قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {المائدة: ٦٩} .

**من تلك الآيات - وغيرها كذلك - نستنتج :**

اولاً : أن هناك ترابط وتكامل بين جميع الرسالات السماوية ، وذلك يعني أن جميع الشرائع خرجت من ينبوع واحد ثم تسير في مجرى واحد وتصل إلى مصب واحد ، وما بشارة أوائل النبيين بأواخرهم وكذلك تصديق أواخرهم

لأوائهم ، إلا علامة دامغة تثبت كون شرائع السماء تتحد في دين واحد ومقصد واحد ومن لدن إله واحد تدعو لعبادته والخضوع له دون غيره .  
 وثانياً : إن الإسلام هو التسليم بوجود الله - سبحانه وتعالى - وباليوم الآخر ، فإذا اقترن ذلك التسليم والخضوع لكل ما أمر به وما نهى عنه وبالإحسان للآخرين كان ذلك العمل صالحاً و كان صاحبه مسلماً - بحسب ما ذكره القرآن - سواء كان من أتباع النبي محمد - صلى الله عليه وعلى آله - (الَّذِينَ آمَنُوا) أو من أتباع موسى (الَّذِينَ هَادُوا) أو من أتباع عيسى (النَّصَارَى) أو من أي ملة أخرى غير تلك الملل (الصَّابِئُونَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ) . تلك الشروط الثلاثة - للإسلام العام - نجد فيها جانبين : الأول : نظري بحت هو الايمان بالله وباليوم الآخر . والثاني : عملي سلوكي هو العمل الصالح الذي يشمل تنفيذ جميع الأعمال التي أمر الله بها والامتناع عن الأعمال التي نهى الله عنها ، فليس هناك من معنى للإيمان النظري ما لم يتحول إلى سلوك عملي معاش.

وزيادة في التأكيد على أن الاسلام العام يشترط الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح يمكن الوقوف أمام قوله تعالى : {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} آل عمران ١١٣-١١٥ . وعندما خاطب القرآن أهل الكتاب على لسان النبي الكريم ، طلب منهم توحيد الله وعدم الإشراف به: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} {آل عمران: ٦٤} .

أي : مسالمون عن التعرض لكم واكمراهمكم على اعتناق ديننا ، ونفهم ذلك من قوله تعالى على لسان نبيه الكريم : {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} {الكافرون: ٦} .  
 وذلك لأن الله تعالى يغفر جميع الذنوب - برحمته تعالى التي وسعت كل شيء - ماعدا الإشراف في عبادته أحداً سواه لأن ذلك يعد أثماً عظيماً كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} {النساء: ٤٨} {النساء: ٤٨} ويعد كذلك ضلالاً لا حدود له كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} {النساء: ١١٦} .

الآيات السابقة تؤكد ما ذهبنا إليه في كون الإسلام القرآني لا يشترط إلا التوحيد الخالص والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح الذي ينفع الناس جميعاً

باعتباره من موجبات الاستخلاف في الأرض" فإذا فهمنا ذلك كله رأينا منطقياً وطبيعياً أن يقول سبحانه { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } وانه لا يقبل ديناً غيره ، اذ كيف يقبل الخالق من عباده ديناً هو غير موجود في الأصل " . فالإسلام هو مضمون الدين القرآني الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لجميع الرسالات والأمم مهما تنوعت أوصافهم - اليهودية والمسيحية وغيرهما - والفرق بين الإسلام الذي دعا اليه الرسول محمد - صلى الله عليه وعلى آله - وبين إسلام الأمم السابقة - التي وضحتها الآيات القرآنية السابقة كما يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله - أن الإسلام كان لهم وصفا - لأنهم سلّموا قلوبهم لله وانقادوا لأوامره تعالى - وأما بالنسبة لرسالة محمد - صلى الله عليه وعلى آله سلم - فقد صارت علما وميزة لها لأنه لم يأت بعدها دين ، فإسلامها إسلام عالمي ، لأن الرسول الكريم بُعث لكل الناس في كل زمان ومكان رحمة مهداة من رب العالمين - بخلاف الرسالات السابقة التي كانت مخصوصة لكل قوم في زمان ومكان محدد - كما أخبر عن ذلك الله سبحانه وتعالى بقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } { الأنبياء ١٠٧ } .

ولذلك فالمسلم ينتسب إلى الإسلام فيقول عندما يُسأل عن ديانته : « أنا مسلم » أما أصحاب الديانات الأخرى فهم ينتسبون إلى الرسل المبعوثين اليهم ، فعندما تسأل أحدهم عن ديانته يقول : أنا مسيحي أو يهودي أو موسوي أو عيسوي وهم بالمناسبة يسمون الإسلام بالديانة المحمدية وكما هو معلوم لدى النحاة أن الصفة لا تكون اسماً إلا إذا كان الوصف فيها دائماً ومطلقاً - وليس وصفاً أنياً - وبناءً على هذا القياس تكون الأمم السابقة على أمة الإسلام ، أمما مسلمة بالوصف ، بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي تميزت بالإسلام وصفاً وصار لها علماً .

وقد أختار نبي الله إبراهيم عليه السلام هذا الاسم لأمة محمد كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله : { مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ } { الحج : ٧٨ } . فهو من سمى المسلمين - وجعل الإسلام لهم أسم علم به يعرفون عن غيرهم - ولم يصفهم ، إنما قال : { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ } ، لأن الأمم السابقة موصوفة بالإسلام دون تسمية .

ورسالة الإسلام الخاتم هي رسالة عالمية { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } { الأنبياء ١٠٧ } . تستوعب جميع الأجناس والأعراق واللغات والأوطان وأصحاب الديانات وتستوعب كذلك من لا دين لهم ، لأنها دين الإنسانية .

نفهم ذلك من وصية الإمام علي - كرم الله وجهه - لمالك الأشر : الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق وقد جاءت تدعو الجميع الى السلام والرحمة والمحبة ، فالمسلم الحقيقي هو المسالم الذي يسلم الناس من لسانه ويده ، وكما قال الرسول الخاتم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (صحيح البخاري و النسائي وأبو داود) .

والمؤمن الحقيقي هو الذي يؤمن الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، كما قال رسول السلام والإسلام : " المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم " (صحيح أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم) .

والرسالة الخاتمة تدعو إلى إشاعة المحبة والأخوة في الإنسانية والنظر إلى الآخر المخالف بنفس النظرة التي ترى به الذات عينها كشرط للإيمان ، كما قال الرسول : " أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً " (صحيح البيهقي) .

ولفظ الناس هنا ، لفظ عام تشمل الجميع دون استثناء ، وبصرف النظر عن الدين والطائفة والمذهب والعرق واللون واللغة .

واعتبرت الرسالة الخاتمة أن السلم - والسلام والمسالمة - هو شرط للتعايش الأمن الذي يدخل ضمن مفهوم الأيمان الذي يمنح الجميع الأمان والاستقرار والطمأنينة، كما يقول تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } النساء ٩٤ . الرسالة الخاتمة هي ديانة الكرامة الإنسانية ، كما هي ديانة التوحيد ، وذلك لأن نصوص القرآن قد رسخت مبدئين أو دعامين لدين الإسلام العام وللعيش في الارض هما :

**القداسة لله والكرامة للإنسان** : فمن يقَدِّس الله ويوحده ولا يشرك به أحداً فهو يكرّم الإنسان ، ومن يكرّم المخلوق فهو ينزّه الخالق ويعبده حق عبادته .

فالتكريم للناس موصول من الله - سبحانه وتعالى - يوم أن نفخ فيهم من روحه " أن الانسان بدأ نفخة من روح الله فالحفاظ على هذا النسب الشريف والإبقاء على هذه الصلة الرفيعة هما سر القوانين التي تضبط سلوك الإنسان وتعصمه عن الدنيا وتلزمه التقوى وترشحه آخر الأمر لجنة عرضها السموات والأرض " . ومن أجل ذلك نقول : كان لا بد أن يكون الإسلام القرآني للعالم أجمع وخاتمة الرسالات السماوية لأن نصوصه تستوعب الواقع المتغير في كل زمان ومكان هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

**ملاحظة هامة :**

الغرض والهدف من دراستنا للمادة هدفان أساسيان : أولهما الوصول للحقيقة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن من الدين فطرة وغريزة - موجودة

لدى كل المخلوقات - ويصبح عندها البحث عن الإله والوصول لمعرفة غايته هدفاً لكل الأديان الوضعية البشرية ، مهما اختلفت وسائلها وطرقها للوصول إلى ذلك الهدف وتلك الغاية .

أما الهدف الثاني : فهو الوصول من خلال المادة إلى ما يجمع بين الدين السماوي الواحد - الإسلام بشرائعه المتعددة - وبين الديانات الوضعية ومعرفة نقاط الالتقاء والافتراق بينها ، فما يجمع بين الدين السماوي الإلهي والأديان الوضعية الأرضية البشرية هو البحث عن الإله ، خالق الكون ، وكذلك الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحامد الصفات .

وما يفرّق بينها هو إن الإسلام - بشرائعه المتعددة - قد وصل لمعرفة الله وتوحيده من خلال الوحي والرسول والكتب السماوية ، أما الأديان البشرية فقد حاولت الوصول إلى الخالق بفطرتها وغريزتها ، فأصحاب الفطر التي لا زالت سليمة وصلوا إلى الخالق وتعرفوا عليه ووجدوه ، أما الذين انحرفوا عن معرفته وظلوا الطريق - وهذا هو حال الكثير من الأديان الوضعية - فإن فطرهم وطبائعهم لم تعد سليمة بفعل ما تعرضت له خلال الأزمان المتعاقبة .

وعندما نعرض بعضاً من معتقدات تلك الأديان المحرفة التي تتناقض مع ديننا الإسلامي ، فمرد ذلك إيماناً منا بالأمانة العلمية التي تعرض آراء وأقوال المخالفين لنا مع ردنا لها وتفنيدها وإظهار خطئها والغرض من ذلك أيضاً هو معرفة كيف تطوّر العقل البشري في بحثه عن الخالق وكيف ظلّ عندما لم يصله هدى الله سبحانه وتعالى ، وهذا لا يتناقض مطلقاً مع المنهج القرآني الذي كان يعرض آراء المخالفين والمشركين والملحدين والمحرفين للشرائع السماوية - كاليهود والنصارى - وعلى سبيل المثال : ذكر الله سبحانه وتعالى قول اليهود الذي ينتقص من الذات الإلهية في أكثر من موضع منها قوله تعالى : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا } وقالوا أيضاً { لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق } { وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الساعة وانتم تنظرون } . وذكر قول اليهود والنصارى الذي ينسب له الولد - حاشاه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - في قوله تعالى : { وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله } وفي قوله تعالى { وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } وذكر كذلك كلام فرعون وادعائه الألوهية كما قال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } . وفي تجاوزه الأدب مع الله سبحانه وتعالى عندما قال : { أم أنا خيرٌ

من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكادُ يُبينُ { وذكر قول الملك النمرود الذي أدعى الألوهية بقوله : { أنا أحي وأميت } . وكل تلك الآيات عرضت آراء المخالفين على الرغم من تعارضها مع التوحيد والله تعالى أعلم .

### قائمة مراجع الباب الأول :

- (١) ينظر : خزعل الماجدي : علم الأديان . دار مؤمنون بلا حدود ، الرباط / المغرب . ط١ / ٢٠١٦م . ص ٥٠ .
- (٢) المرجع السابق : ص ٤٩ .
- (٣) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . دار المسيرة للنشر ، عمان / الأردن . ط١ / ٢٠٠٨م . ص ٣١ .
- (٤) أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ / اليهودية . مكتبة النهضة المصرية / القاهرة . ط٢ / ١٩٨٨م . ص ٢٤ .
- (٥) المرجع السابق : ص ٢٦ .
- (٦) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . دار العلوم ، بيروت . ط١ / ٢٠٠٥م . ص ٢٥ .
- (٧) خزعل الماجدي : علم الأديان . ص ٨٧ . سابق .
- (٨) المرجع السابق : ص ٨٥ . سابق .
- (٩) محمد أحمد الخطيب : مقارنة أديان . ص ٣٣ . سابق .
- (١٠) ينظر المرجع السابق : ص ٣١-٣٢ .
- (١١) ينظر : عرفات عبد الخبير الرميمة : قراءات في الفكر الإسلامي . مكتبة التاج / صنعاء . ط١ / ٢٠٢١م . ص ١٧ .
- (١٢) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٣٣-٣٤ . سابق .
- (١٣) عباس محمود العقاد : الله . دار نهضة مصر / القاهرة . ط٤ / ٢٠٠٥م . ص ٦ .

- (١٤) ينظر : علي عزت بيجوفتش : الإسلام بين الشرق والغرب . دار الشروق ، القاهرة . ( د - ت ) . من ص ٧٥ ألى ص ٧٧ .
- (١٥) عباس محمود العقاد : الله . ص ٧ . سابق .
- (١٦) أحمد علي عجيبية : دراسات في الأديان الوثنية القديمة . دار الآفاق العربية / القاهرة ط١ / ٢٠٠٤م . ص ١٧ .
- (١٧) ينظر : سعدون محمد الساموك ، هدى علي الشمري : الأديان في العالم ( د - ن ) ( د - ت ) . ص ١٨ .
- (١٨) ينظر : عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان ، دار الهداية ، القاهرة . ط / ٢٠٠٥م . من ص ٧ إلى ص ١٠ .
- (١٩) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٩ . سابق .
- (٢٠) ينظر : احمد علي عجيبية : دراسات في الأديان الوثنية . ص ٧ . سابق .
- (٢١) ينظر : عبدالكريم زيدان : موجز الأديان في القرآن . مؤسسة الرسالة / بيروت . ط / ١٩٩٨م . ص ١٠ .
- (٢٢) ينظر : سعدون محمد الساموك ، هدى علي الشمري : الأديان في العالم . ص ٢٠ . سابق .
- (٢٣) ينظر : أحمد علي عجيبية : دراسات في الأديان الوثنية القديمة . ص ١٤ . سابق .
- (٢٤) سعدون محمد الساموك ، هدى علي الشمري : الأديان في العالم . ص ١٩ . سابق .
- (٢٥) ينظر : طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ١٠ . سابق .
- (٢٦) أحمد علي عجيبية : دراسات في الأديان الوثنية القديمة . ص ١٧ . سابق .
- (٢٧) ينظر : خزعل الماجدي : علم الأديان . من ص ٤٤ - ٤٨ . سابق .
- (٢٨) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ١٣ . سابق .
- (٢٩) جعفر السبحاني : معالم التوحيد في القرآن . دار الأضواء ، بيروت . ط ٢ / ١٩٨٤م . ص ٤٧ .
- (٣٠) ينظر : سلطان زايد اليحيصي : الإعجاز التشريعي في الإسلام مكتبة الصادق / صنعاء . ط ٥ / ٢٠١٣م . ص ٢٧ .
- (٣١) ينظر : المرجع السابق . ص ٢٦ .
- (٣٢) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ٢٧ . سابق .

- (٣٣) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ١٧ . سابق .
- (٣٤) ينظر : ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . مطبعة الأمانة / القاهرة . ط ١ / ١٩٨٥ م . ص ٢٨ .
- (٣٥) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . من ص ١٣ إلى ص ١٥ .
- (٣٦) ينظر : خزعل الماجدي : علم الأديان . من ص ٣٣ - ٤٠ . سابق .
- (٣٧) بروس مازليش : الحضارة ومضامينها . تر: عبدالنور خراقي . عالم المعرفة / الكويت . عدد ٤١٢ / مايو ٢٠١٤ م . ص ٢٣ .
- (٣٨) علي عزت بيجوفتش : الإسلام بين الشرق والغرب . ص ٧٦ . سابق .
- (٣٩) سابينو أكوايفا ، إنزو باتشي : علم الاجتماع الديني . تر: عزالدين عناية . هيئة أبو ظبي للثقافة ، أبو ظبي . ط / ٢٠١١ م . ص ٤٩ .
- (٤٠) محمد أجمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٣١ . مرجع سابق .
- (٤١) احمد علي عجبية : دراسات في الأديان الوثنية . ص ٤٣ . مرجع سابق
- (٤٢) المرجع السابق : ص ٧٧ .
- (٤٣) ينظر : عرفات عبدالخبير الرميمة : إنسانية الإنسان في الإسلام . مكتبة التاج / صنعاء . ط ١ / ٢٠٢١ م . من ص ٢٥ إلى ص ٢٧ .
- (٤٤) محمد الغزالي : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . دار القلم دمشق . ط ٢ / ٢٠٠٥ م . ص ٧٦ .

# الباب الثاني: الأديان الشرقية

## الفصل الأول : الديانة الزرادشتية

### مدخل :

هي واحدة من أقدم الأديان في العالم والتي لم تنقطع ممارستها ، نسبت الديانة إلى مؤسسها زرادشت، وتعد واحدة من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، إذ ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة.

ويرى العديد من الباحثين أنّ زرادشت مصلح ديني أكثر - من كونه مؤسس دين - فقد حاول إنهاء تعدد الآلهة الموجود في الديانة الإيرانية القديمة، وعمل على استبداله بنظام عقائدي توحيدي، وتركت جهوده الإصلاحية تأثيراً عظيماً وهو ما أدى بعد قرون عدّة إلى انبثاق ديانة إيرانية جديدة نسبت إليه .

وأول إشارة إلى الديانة الزرادشتية تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، عند المؤرخ الإغريقي هيرودوتس، في تاريخه الذي تضمّن وصفاً للمجتمع الفارسي القديم وعرضاً لبعض السلوكيات الدينية المتعلقة بالزرادشتية، ويُعدّ تاريخ هيرودوتس مصدراً رئيسياً لدراساتها .

وفي عصورها المتأخرة والذي دخل فيها التحريف ، أصبح للشمس عند الزرادشتية حرمة عظيمة، غير أنّ النار أعظم شأنًا منها ، لذلك دخلت كعاملٍ رئيسيٍّ في عباداتهم، وأضحت بيوت النار عندهم مراكز العبادة والتقديس.

لقد تأسست الزرادشتية على فكرة ثورية أحدثت في تاريخ الديانات هزة عنيفة ولم يعهد مثلها من قبل ، وهي أن جميع الآلهة المذكورة في تاريخ الأديان كانت آلهة محلية ، أما زرادشت فقد أعلن في جراءة أن ( أهورا مزدا) ليس إلهاً فارسياً فحسب وإنما هو إله الكون كله بدون شريك وزرادشت هو النبي الذي تلقى الوحي من هذا الإله ، وتمتاز هذه الديانة عن غيرها من الديانات القديمة بأنها بنيت على أساس مبدأ تعميم الخير والتخلص من الشر ولتحقيق ذلك لا بد من تقوية النوع البشري ونشر الخصوبة والعمران على سطح الأرض وإذا كانت البوذية قد تأسست على فكرة الألم والمسيحية على مبدأ الحب والإسلام على مبدأ التوحيد ، فإن الزرادشتية قد تأسست على فكرة الخير<sup>(١)</sup> .

كانت الزرادشتية ديناً للإمبراطوريات الفارسية ما قبل الإسلام لأكثر من ألف عام، ومن حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد إلى عام ٦٥٠ بعد الميلاد. تراجعت الزرادشتية منذ القرن السابع بعد الفتح الإسلامي لفارس في الفترة ما بين عام ٦٣٣ و عام ٦٥٤ م .

تشير آخر التقديرات في عام ٢٠١٢ إلى أن العدد الحالي للزرادشتيين في العالم يتراوح بين ١١٠,٠٠٠ إلى ١٢٠,٠٠٠ شخص، حيث يعيش معظمهم في الهند وفي إيران، إلى جانب مجتمعات أقل عدداً في المهجر ، منها الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والمملكة المتحدة وباكستان، ويُعتقد أن عددهم في انخفاض.

ولعل ظهور زرادشت في منطقة جغرافية مجاورة للأراضي العربية، التي أشرفت على أرضها الرسائل السماوية كلها قد لعب دوراً بارزاً في أفكاره ومعتقداته، بل وفي سيرته التي يتناقلها أتباعه من بعده ، حيث نلمح في بعض كلامه بعضاً من ملامح التوحيد، والبعث، والجنة والنار، ولعل ذلك يرجع إلى الحنفية دين إبراهيم -عليه السلام- الذي كان منتشرًا في الجزيرة العربية وقد عامل المسلمون الزرادشتيين بعد اسلام فارس مثل معاملة أهل الكتاب.

### نبذة عن حياة المؤسس :

تختلف الآراء حول زرادشت ، فالبعض يرى أنه شخصية أسطورية - وليست حقيقية - بدون تقديم أدلة تثبت صحة كلامه والبعض يقول بأنه إبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي ورد ذكره في القرآن والتوراة وأن أسفار الأوستاق التي جاء بها هي صحف إبراهيم - الذي تحدث عنها القرآن في سورة الاعلى - .. ولعل التشابه بين ما تذكره الكتب المقدسة عن حياة خليل الله إبراهيم وما تذكره التراجم عن حياة زرادشت وخاصة فيما يتعلق باتجاه كل منهما إلى التأمل في كواكب السماء وملاحظة بزوغها وأفولها والانتهاى من ذلك التأمل بتأكيد أن تلك الكواكب لا يمكن أن تكون آلهة ، وما يتعلق بمحاربة كليهما لما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وعبادة الأصنام والأهم أن كل منهما قد ألقى في النار وجعلها الله عليهما برداً وسلاماً ، هذا ما دعا بعض الباحثين للقول بأن زرادشت هو إبراهيم الخليل وأن الأوستاق الذي جاء به هو صحف إبراهيم (٢) .

ومن المؤكد أن هذا الرأي باطل بحسب التفاصيل الزمانية والمكانية التي يذكرها المؤرخون والأهم من كل ذلك ، ما ذكره القرآن من تفاصيل عن قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام - خصوصاً ذهابه إلى مكة وبناء بيت الله الحرام مع ولده اسماعيل - وهي بعيدة كل البعد عن حياة زرادشت .

ومع ذلك يمكن القول بأن التاريخ لم يعرف أحداً " قبل زرادشت مجدداً قلب الدين رأساً على عقب وأحدث فيه أحداثاً جديدة .. فزرادشت هو الفذ الأسبق في هذا التجديد " (٣) .

والأكيد أنه كان شخصية حقيقية ويمكن أن يكون من الأنبياء الذين لم يذكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، لأن كل التفاصيل عن ديانة التوحيد التي أتى بها تؤكد ذلك .

### ولادته وحياته :

وُلد زرادشت (٦٦٠ - ٥٧٣ ق . م ) في أذربيجان في فارس الكبرى وحسب الكتابات الزرادشتية التي تتحدث عن معجزات ميلاده - والتي لعب فيها الخيال الشعبي المفتون بالمعجزات دوراً كبيراً - تشبه ما قاله النصارى عن ولادة عيسى وما قاله البوذيون عن بودا ، فقبل ولادته لمع نور شديد من منزل والده وسُمع صوت من السماء يُبشر بولادته وفي غرفة الولادة المملوءة بالنور الإلهي ولد الطفل ولم يبك مثل الأطفال بل ضحك بصوت عال اهتز له البيت وهربت الأرواح الشريرة (٤) .

وهناك الكثير من الأساطير التي تتحدث عما حدث بعد ميلاده، منها أن كبير سحرة إيران " دورسروه" ونائب الملك في المقاطعة سمعا بميلاد النبي الذي سيقضي على السحر والوثنية ، فأرسل كبير السحرة ثلاثة من أتباعه ليحضروا زرادشت له في معبد النار وعندما جاءوا بالطفل وضعوه في النار، وعندما عادت والدة الطفل إلى المنزل لم تجده فذهبت إلى معبد النار لتدعو الآلهة أن ترده وعندما ذهبت الأم وجدت ابنها يعبث داخل النار ويلهو فأخذته وعادت به إلى بيتها (٥) .

هذه الحكاية التي وردت في الكتابات الزرادشتية هي التي جعلت بعض الباحثين يربط بين زرادشت ونبي الله ابراهيم الخليل وتلك الأساطير من المعتاد أن تظهر بين المرّيين في كل الديانات ، لإضافة هالة من القداسة تجعل لما جاء به طابعاً مختلفاً عن المألوف جدير بالمتابعة .

وفقاً للكتابات الزرادشتية، فإن زرادشت ذهب ليدرس مع حكيم اسمه ( بورزين كوروس ) في السابعة من عمره وظل معه ثمانية أعوام ، تعلم الفارسية قراءة وكتابة ودرس آداب زمانه نثراً وشعراً وحفظ العقيدة السائدة في قومه وتعلم فنون الزراعة وتربية المواشي وعلاج المرضى، ثم عاد إلى بلده وهو في سن الخامسة عشرة وارتدى القميص المقدس ولبس الحزام، وهذا كله رمز لتعميده في عقيدة شعبه ، فقدماء الفرس ينظرون إلى الحزام المقدس

بوصفه قيد العبودية لله تعالى وهو في اجراءاته وطقوسه يشبه التعميد عند النصرارى وبنزول الوحي على زرادشت أصبح سن الخامسة عشر هي سن التكليف والبلوغ بالنسبة للزرادشتي<sup>(٦)</sup> .

وهو في هذه السن غزا التورانيون إيران من الإقليم المجاور، فتطوع زرادشت للذهاب لميدان القتال للمساعدة في معالجة جرحى الحرب وبعد الحرب انتشرت المجاعة في إيران واشتد المرض، فتطوع ثانية لخدمة المرضى والمحتاجين، وظل يعمل تطوعياً لمدة خمس سنين، ثم عاد إلى منزله وطلب منه والده أن يترك عمله التطوعي وأن يتزوج، فتزوج امرأة اسمها (هافويه) أنجبت له بنتاً وولدين وواصل عمله التطوعي لمدة عشر سنين أخرى .

ثم بدأت الأسئلة الروحية تدور في ذهنه وبدأ يتساءل عن الخير والشر، وتمنى لو استطاع أن يحقق السعادة لجميع الناس ، ويوجد خلاف حول سنه عندما نزول عليه الوحي ، فالبعض يقول أنه كان في العشرين من عمره والبعض الآخر يحدد أنه كان في الثلاثين وآخرون يقولون أنه كان في الأربعين.

#### البداية أو الوحي :

كعادة كل الأنبياء في تفضيلهم العزلة والتفرغ للتأمل في ملكوت السماوات والأرض ، أعتزل زرادشت الناس وذهب بعيداً إلى أحد الكهوف للعبادة والتأمل ، وبعد انقطاع طويل عن الناس صفا فيها ذهنه ، وفي فجر أحد الأيام وبينما كان واقفاً على شاطئ نهر دايتي في اندريجان ، رأى رجلاً جميلاً الطلعة في ثياب لامعة ، أقترب من الرجل وسمعه يقول :أنه ( فاهومانا ) كبير الملائكة - أو الروح الخيّر بحسب الزرادشتية - جاء ليقود زرادشت إلى السماء ليحظى بشرف لقاء الرب سبحانه وتعالى، استجوب الملاك زرادشت وأمره أن ينزع عنه جسده المادي وأصعده كروح منزله إلى حضرة ( أهورا مزدا ) الرب الحكيم والكائن الأعلى المحاط بالملائكة ، وقدم زرادشت فروض الطاعة والولاء بين يدي رب العزة وأنبأه الحق باصطفائه رسولاً إلى قومه وتلقى منه علوم الدين .. وأخيراً استمع إلى أمر أهورا مزدا بإبلاغ قومه شريعته وبشارته لهم بالسعادة في الدنيا والآخرة أن هم أطاعوه فيما يدعو<sup>(٧)</sup> . ويستمع إلى تكليفه بأمر النبوة، فصدع بالأمر، ثم قال بعدها: سأنزل إلى الناس، وأقود شعبي باسم أهورا مزدا من الظلام إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الشر إلى الخير.

بعد ذلك بدأ زرادشت بالتبشير بدعوة إلى عبادة الإله الواحد وترك عبادة الأوثان .

## بدء الدعوة للدين الجديد :

بحسب جَل الروايات فإن زرادشت قرر مباشرة أن يدعو قومه إلى تعاليمه والإيمان بها، وقد نزل الوحي على زرادشت في فترة الدعوة " سبع مرات سُميت في المصادر الإسلامية بالمخاطبات السبع وفي المصادر الحديثة بالرؤى السبع تتابعت فيها عليه جملة من العلوم والمعارف تتعلق بالفرائض والسنن والعقوبات ويوم القيامة وما فيه من نعيم الجنة وعذاب النار وغيرها وفي المخاطبة الأخيرة اكتملت الرسالة فأقطع الوحي ، تلقى الوحي في خلال الأعوام العشرة من عمر الدعوة " (٨) .

واستمر في دعوتهم عشر سنوات، لقي فيها عنثاً واضطهاداً - كعادة كل الأنبياء - ولم يؤمن به أحد، وتخلت عنه عشيرته وأسرته، بل أنه طرد من بلده، فتنقل بين البلاد والأقاليم، فتجنبه الناس وأغلقوا دونه الأبواب، لأنه رجل يسب الدين والكهنة - بحسب ما روج عنه - فتطرق حينها بعض اليأس إلى قلبه، وتقول الروايات أن الملائكة ظهرت له ولقنته أصول الحكمة وكثيراً من الأسرار، فبدأت سحابة اليأس المظلمة تنتشع عن قلبه بعدما آمن به ابن عمه ( ميتوماه ) الذي نصحه أن يدعو المتعلمين من قومه إلى تعاليمه ، لأن تعاليمه الجديدة صعبة على فهم الناس غير المتعلمين.

ولما بلغ زرادشت مبلغ " الكمال بأربعين سنة وتمت له المخاطبات في سبع دعوات إلى أورمزد ، أكمل فيها معرفة شرائع دين الله وفرائضه وسننه أمره الله بالمسير إلى كشتاسب الملك وإظهار ذكر الله واسمه ، نفذ أمر الله ودعا ملكين كانا بذلك الصقع ، فدعاهما إلى دين الله والكفر بالشيطان وفعل الخير واجتتاب الشر ، فلم يقبلا قوله وأخذتهما العزة بالإثم، فجاءتهما ريح فحملتهما من الأرض ووقفت بهما في الهواء وأجتمع الناس ينظرون إليهما ، فغشيتهما الطير من كل ناحية وأتوا على لحومهما وسقطت عظامهما على الأرض " (٩)

استرعت نصيحة ميتوماه زرادشت، وعزم أن يبدأ بالمتعلمين لدعوته، وعلى رأسهم الملك ( كشتاسب ) وزوجته ، لذا انطلق إلى مقر إقامة الملك، وشرح له دعوته الجديدة، ودعاه إلى الإيمان بها، وعقد الملك مناظرات بين زرادشت وبين الكهنة والسحرة واستمرت المناظرات لمدة ثلاثة أيام، أجاب فيها زرادشت عن جميع أسئلتهم بعدما أخذ العهد والميثاق من الملك أن يتبع تعاليمه ويتخلى عن عبادة الأصنام إذا انتصر على هؤلاء الكهنة، ولما تحقق نصر زرادشت عليهم قال الملك: "إنما هو نبي من عند إله حكيم"، فأمن به،

وانتشرت ديانة زرادشت في إيران، وأقبلت جموع الناس عليه للإيمان بالدين الجديد فملأت السعادة نفسه ، لأنه انتصر على الأصنام والأوثان. وبعد فترة تأمر الكهنة عليه ودبروا له مكيدة انتهت بأن أصدر الملك كشتاسب أمراً بالقبض على زرادشت وإلقائه في السجن، وأمر الناس أن يعودوا إلى عبادة الآباء والأجداد، ونفض عنه الإيمان بالإله أهورا مزدا<sup>(١٠)</sup>. وتصادف في ذلك الوقت إصابة جواد الملك بمرض عضال ، فدخلت قوائمه الأربعة في بطنه ولم تظهر منها سوى أطرافها فقط وعجز الأطباء عن علاجه، ولم تنفع دعوات الكهنة للآلهة في شفائه، وعلم زرادشت بالأمر، فأرسل إلى الملك بأنه يستطيع شفاء الجواد شرط أن يعود الملك إلى تعاليمه التي هجرها، أي التعاليم الزرادشتية، ووافق الملك على ذلك، وشفى الجواد على الفور<sup>(١١)</sup>.

ويقال أن زرادشت اشترط أربعة شروط على الملك ، هي :

- ١ - أن يؤمن الملك والملكة بدعوته .
  - ٢ - أن يعلن الملك الحرب على الطورانيين .
  - ٣ - أن يكون زرادشت ولي العهد على رأس الجيش .
  - ٤ - أن يعاقب الملك كل من تسبب بدخوله السجن ظلماً جزاءً على فعلتهم .
- فقبل الملك شروطه وكان كلما نفذ شرطاً منها توجه زرادشت بالدعاء الى ربه ، فخرجت قائمة من قوائم الفرس وعندما نفذ الشروط الأربعة شفي الفرس تماماً<sup>(١٢)</sup>.

وصدر الأمر بالإفراج عن زرادشت، وعاد الملك إلى تعاليمه وأمنت المملكة به، وازداد إيمان الملك عندما رأى كثيراً من المعجزات تتحقق على يد زرادشت .

### الكتاب المقدس :

للزرادشتية مصدر ديني واحد ومرجع أساسي تستمد منه عقيدتها وشريعته وعباداتها ودستور وجودها ويطلق على الأسفار المقدسة للزرادشتية الأستا - يطلق عليها العرب الأبتاق - ومعناها في الفارسية : الأساس أو الأصل أو المتن أو السند ، وتعادل القرآن لدى المسلمين والإنجيل لدى المسيحيين والتوراة لدى اليهود ويعتبر الزرادشتيون أنها موحى بها من أهورا مزدا إلى زرادشت - وليست من وضعه - وكانت تشتمل وقت نزولها على واحد وعشرين سफراً ومجموع الفصول الذي تشتمل عليها الأسفار ألف فصل ،

تحتوي تفصيلاً لعقائد الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ نبيها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها .  
ويروى أنه سُجِّل على ١٢ ألف جلد من جلود الثيران والماعز وأنه كتب حفرًا في الجلد ونقشاً بالذهب وقد فقدت جميع نسخ الأَبَسْتاق بعد غزو الإسكندر المقدوني لفارس سنة ٣٣٠ ق . م . وفقدت تفاسيره وجميع المؤلفات التي كانت تشتمل على جزء من اجزاءه والراجح أن جيش الإسكندر قام بإحراقها .  
وظلت بعض نصوص الأَبَسْتاق في حواظ الموازنة - كبار رجال الدين عند الفرس - والفقهاء يتناقلونها جيلاً بعد جيل مشافهة ومن المؤكد أنه دخلها الكثير من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان وأن يكون جزءاً كبيراً منها قد عدت عليه عادات النسيان .

وفي النصف الأخير من القرن الأول الميلادي قام الملك بلاش الأول ( ٥١ - ٨٧ م ) بتدوين ما يحفظه الناس من الأَبَسْتاق وأكمل عمله في القرن الثالث الملك أردشير - مؤسس الدولة الساسانية - وبلغ ما تم تدوينه في هذين العهدين واحداً وعشرين سفرًا ، تشتمل على ٣٤٨ فصلاً من فصول الأَبَسْتاق الألف ، مما يعني أنه فقد الثلثين من الأصل (١٣) .

#### ومن تلك الأسفار :

١ - سفر اليسنا : ويعني العبادة - او التسبيح - ويشتمل على ادعية وصلوات وتسابيح لله والملائكة وفيه اشارات إلى تاريخ الزرادشتية في سنواتها الاولى  
٢ - سفر الفسبرد : ويشتمل على ادعية وصلوات مكملة وترتل في مناسبات خاصة ، يبلغ عدد فصوله ٢٧ فصلاً .

٣ - اليشتات : يعني الترنيمات والمزامير وهي عبارة عن واحد وعشرين ترنيمة في مدائح الملائكة المشرفين على أيام الشهر ، فلديهم لكل يوم حارساً من الملائكة يسمى اليوم باسمه ، من المنطقي أن تكون الترنيمات ثلاثين والمفقود منها تسعة .

٤ - الخوردة أفتا : يعني الأفتا الصغير وهو سفر جامع لأدعية وصلوات خاصة بكل وقت من اليوم ، وبالأيام المباركة من الشهر والاعياد الدينية في العام وأوقات الصحة والمرض .

٥ - الفانديداد : ويعني القانون المضاد للشياطين ويتألف من ٢٢ فصلاً يعرض لخلق العالم ، السموات والأرض ، فيه ذكر للأراضي الطيبة التي خلقها الله وفيه بعض الشرائع الزرادشتية المتعلقة بالموت والحياة والزواج ، أحكام

النجاسة والطهارة والغسل للموتى وتطهير الملابس والبدن والصحة والمرض وما يتعلق بنظم الأسرة ومشكلات الاجتماعية<sup>(١٤)</sup>.

وهناك أيضاً الزند أفسنا وهو من التفسير الذي وضعه زرادشت للأبستاق عندما عجز الاتباع والمريدين عن فهمه وسموا التفسير زندا .. يقسم زرادشت فيه العالم إلى قسمين : الروحاني والجسماني وما في العالم ينقسم إلى قسمين : التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثاني ، ثم تكلم فيه عن موارد التكليف وحركات الإنسان وهي ثلاثة أقسام : الاعتقاد والقول والعمل وبالثلاثة يتم التكليف ، فإذا قصر الإنسان فيها ، خرج عن الدين والطاعة وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر بحسب كلام زرادشت<sup>(١٥)</sup>.

لكن المحافظون المتمزتون من الزرادشتيين ، لا يقبلون الزند ولا يعولون عليه في حياتهم ويعتمدون فقط على الأبستاق دون غيره ويعتبرون من يعتمد على الزند أو يأخذ منه (زندياً) أي منحرفاً أو مؤولاً ، ومن هذه الكلمة استخرج العرب كلمة زنديق لكل خارج عن الملة<sup>(١٦)</sup>.

وكل المعارف عن العقيدة والشريعة والصلوات والعبادات والطقوس لدى الزرادشتيين موجودة في تلك الأسفار.

### العقيدة الزرادشتية :

الزرادشتية في أصولها الأولى التي جاء بها زرادشت ديانة توحيد، تدعو إلى عبادة الإله الواحد أهورا مزدا - يسمى الله في الفارسية القديمة أهورا مزدا كما يسمى براهما لدى الهندوس - وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى الطبيعة وجميع العبادات الوثنية التي كانت سائدة في ذلك العصر وكانت جميع ادعيتها وصلواتها وآيات أسفارها تتجه إلى أهورا مزدا وحدة - كما تظهر نصوص سفر اليسنا - وتصفه بالصفات التي يصف بها المسلمون الله ، مثل القدم والبقاء والإرادة والعلم والمخالفة للحوادث ، فهو لا تدركه الأبصار ويعلم حقيقة السماوات والأرض ولا يصل أحد لمعرفة حقيقته<sup>(١٧)</sup>.

واسم أهورا مزدا يدل في الفارسية على تلك الصفات " فهو مركب من ثلاث كلمات وهي ( أهو ) و ( را ) و ( مزدا ) ومعناها على الترتيب : أنا - الوجود - خالق ، أي أنا وحدي خالق الوجود أو الكون " <sup>(١٨)</sup>.

والكلمات الثلاث في أصلها القديم ، كلمة واحدة " تفيد كما يتراءى لنا من بعيد ما تفيد كلمة شهادة لا إله إلا الله في العقيدة الإسلامية وآية ذلك أن تقدير معنى الشهادة هو ( موجود ) و ( أنا ) أو ( أنا موجود ) يستلزم بالضرورة نفي

مطلق لأي وجود سوى وجوده تعالى وفي نفس الوقت إثبات مجرد لوجود ذاته المتعالية " (١٩) .

وعلى الرغم من أن أهورا مزدا هو الإله الأسمى ، فإنه ليس بلا معارض وهذا أحد أركان معتقد زرادشت ، الذي يرى أن هناك في السموات يقف الكذب ضد الحق ، فالحق يواجه الباطل والحياة يواجهها الموت والروح الخير ( سبييتامانيو ) يعارضه الروح الخبيث ( أنغرا مانيو ) (٢٠) .

يعتقد العديد من الباحثين أن الزرادشتيين يؤمنون بوجود إله للخير والنور، خالق يُسمونه أهورا مزدا وإله للشر والظلمة يُسمونه أهرمان - ولكنه ليس بمستوى أهورا مزدا - ويرون أن الزرادشتية بهذا تقوم على الثنائية والنزاع الدائم بين إله الخير وإله الشر، لكن النصر في النهاية سيكون للإله الأول بما يبذله الإنسان من أعمالٍ حسنةٍ للتغلب على روح الشر.

وهذا فهم خاطئ لمقصد زرادشت ، ربما تسرب بعد فترة طويلة من الزمن ، لأن نصوص الأوستاق تقول أن أهورا مزدا جعل " النور أصلاً وقال وجوده حقيقي أما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فإنه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة ، فأبدع النور وجعل الظلام تبعاً ، لأن من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل " (٢١) .

مفهوم الكلام السابق أن الفطرة التي فطر الإله الناس عليها تجعل الخير ( أو النور ) هو الأساس فيهم والشر ( أو الظلمة ) هو انحراف عن الفطرة وخروجها عنها ، كما يخرج الظل عن النور ، والنور هو رمز للخير وكل الأعمال الصالحة والشر هو العكس رمز للظلمة وكل الأعمال الشريرة والصراع بين الخير والشر ( أو النور والظلمة ) فالباري " تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة ، لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان ، إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالى هو الذي مزجهما وخالطهما لحكمة رآها في التركيب " (٢٢) .

النص السابق يعني أن الله خلق الخير ( النور ) ولم يخلق الشر ( الظلمة ) لكن وجود الشر- ناتج من وجود النور الذي يخلق الظل كما أسلفنا - من لوازم الاستخلاف وهو نوع من الامتحان للإنسان على الأرض ، فالخير والشر

والنور والظلمة هي قوى متضادة وليس إلهان - كما ظن الكثير من الباحثين - لأنهما من خلق الإله الواحد أهورا مزدا . فلم يكن في أصل العقيدة الزرادشتية إلهان وإنما كان فيها قوتان متضادتان أو مجموعتان من القوى المتضادة : إحداهما مجموعة قوى الخير والنور والحياة والحق ويرمز اليها جميعاً ( سبينتاماينو ) ويعمل على تحقيق أغراضها سبعة ملائكة قدسيون يمثلون الفضائل السبع العليا وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم وهي تدفع إلى الخير والنور والحياة والحق. والأخرى قوى الشر والظلام والموت والخداع ويرمز لها جميعاً ( أنغرا ماينو )- الذي تحول اسمه إلى أهرمان - ويقوم على تحقيق مقاصدها الأثمة سبعة شياطين خبيثة تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسية وهي النفاق والخديعة والخيانة والجبن والبخل والظلم وتدفع تلك القوى الخبيثة المتكونة من النقص في النفس البشرية إلى الشر والظلام ويبقى هذا الصراع قائماً بين هاتين القوتين داخل النفس البشرية إلى أن يصل الإنسان إلى النقاء<sup>(٢٣)</sup> .

وهكذا منذ بدء الخليقة تتقابل الروح الخبيثة مع الروح الخيرة الصادرة عن أهورا مزدا " وقد أطلق على الروح الخبيث في العهود اللاحقة اسم شيطان كما هو في العربية تماماً " <sup>(٢٤)</sup> .

لكن الزرادشتية ليست استثناء من الديانات التوحيدية التي طالها التحريف مع تقادم العهد بتعاليمها مثلها مثل اليهودية والمسيحية .

#### انحراف العقيدة الزرادشتية :

كانت ذات أهوار مزدا ذاتاً روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة ، لا تدركها الأبصار ولا تحيط بحقيقتها العقول والكثير من الناس في تلك الفترة ألفوا مشاهدة الإله كما صورتها لهم الديانات الوثنية ولم يتعودوا الإيمان بذات مجردة لا تشاهدها حواسهم ولا تدركها عقولهم ، إلا من خلال الرموز المادية المشاهدة وهذا ما كان في الزرادشتية التي رمزت لذات أهورا مزدا برمزين ماديين مشاهدين تستطيع عقول الجماهير أدراكهما أحدهما سماوي : الشمس ، والآخر أرضي : النار ويشتمل كلاهما على بعض مظاهر من صفات الخالق ويستطيع الناس بالتأمل في صفاتهما تصور بعضاً من صفات أهورا مزدا على وجه التقريب والتمثيل ، لأن كلاً منهما عنصر متلألئ مضيء وظاهر لا يتطرق اليه الفساد والخبث وتحتاجهما جميع الكائنات الحية وتتوقف حياتها على وجودهما وهذه الصفات تشبه بعض صفات أهورا مزدا .

في العصور المتأخرة - وبسبب أحراق نصوص الأيستا - تحول الناس من احترام النار وتقديسها باعتبارها وسيلة ورمز لذات أهورا مزدا - تشتمل على البعض من صفاته وتقرب صورته للأذهان - إلى تقديس النار بذاتها (٢٥) .

وقد حرص الموابذة والهوابذة - كبار رجال الدين وصغارهم في الزرادشتية - على أن يوقدوا شعلة النار في كل هياكلهم (معابدهم) وكانوا يقودونها يومياً خمس مرات - بعد صلواتهم - من خشب الصندل والمواد العطرية ، فيمتلئ المعبد بالرائحة الطيبة وترتل حولها الأدعية وتقام الصلوات " وقد بالغ الزرادشتيون في تقديس نار الهيكل فأوجبوا على رجل الدين أن يتلثم عند اقترابه من النار خشية أن يصل إليها زفيره فيلوثها وكان عليه أن يتذكر حينما يدنو من هذه القوة الأرضية أن هذا النور الفياض إنما يرمز إلى أهورا مزدا " (٢٦)

والملاحظ كذلك أن سبب اختيار الشمس والنار لترمز لبعض صفات الإله أهورا مزدا ، له سبب يرتبط بالديانات السابقة التي كانت سائدة في بلاد فارس قبل زرادشت ، فقد أطلقت الشعوب الآرية القديمة في الهند وفارس على الله تعالى " اسم ديو بمعنى الإشراق والضياء وفي فترة ليست بعيدة عن العصر الذي أوحى فيه إلى زرادشت أطلق الأسم نفسه على الظواهر الطبيعية المختلفة وعلى الأوثان كآلهة وعندما أصطفى زرادشت رسولاً ونبياً لخاصة قومه أنبأهم بالاسم الحقيقي لله وهو أهورا مزدا " (٢٧) .

وقد شارك النار في صفة التقديس لدى الزرادشتية المتأخرة ثلاثة عناصر أرضية أخرى وهي : الهواء والماء والتراب وإن كانت في منزلة أقل من منزلة النار ، تلك الانحرافات واردة ، بسبب بعد الناس عن المصدر الرئيسي ، كما فعل قوم نوح عندما صور الصالحين من قومهم - ود وسواع ويعوق ويغوث ونسرا - على هيئة تماثيل حجرية ، لتكريمهم والتبرك به وتخليد ذكراهم في البداية ، ثم ما لبث أن تحول ذلك التكريم إلى عبادتهم كأصنام واوثان في المراحل المتأخرة وهو عين التحريف الذي لحق الديانة المسيحية في عهد بولس الرسول الذي أدخل التثليث ، معتبراً أن المسيح هو عينه الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

والمعروف أن زرادشت لم يعبد النار كما فعل أسلافه" أو كما فعل بعض من اتباعه فيما بعد ، لقد كانت النار بالنسبة له رمزاً عزيزاً لأهورا مزدا وليس أكثر والتي من خلالها أمكنه أدراك طبيعة وجوهر الرب الحكيم وهكذا يبدو أن لغته ومنطق محاكمته قد قاداه إلى هذا الإيمان " (٢٨) .

وما فعله زرادشت على الأرجح تركّز في أخبار الناس بحقيقة الإله - كما أرادها الإله نفسه - بأسمائه وصفاته التي تناسب زمان الناس وفي حدود ما تطيقه عقولهم لتساعدهم تلك المعرفة على فهم وإدراك مقتضيات العلاقة التكليفية من الإله اليهم ، استخدم زرادشت " في تعريفه لله تعالى اللغة المتداولة في زمانه وبصورة ذهنية تقرب معناها من مداركهم وتشبيهاتهم وأقيسة مألوفة في حياتهم ، متحرزاً في الوقت نفسه من النزول بالله إلى مستوى يخلّ بكمال ألوهيته ويضعه على قدم المساواة مع مخلوقاته " (٢٩) .

### المخلص أو المهدي الزرادشتي :

مما أخبر به زرادشت في كتاب ( زند أستا ) قوله : " سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا ومعناه الرجل العالم ، يُزيّن العالم بالدين والعدل ، ثم يظهر في زمانه بتياره فيوقع الآفة في أمره وملكة عشرين سنة ، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم ويحيي العدل ويُميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول وتنقاد له الملوك وتنتيسر له الأمور وينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الأمان والدعة وسكون الفتن وزوال المحن " (٣٠) .

هذه الرواية تشبه الروايات المسيحية عن ظهور المسيح عليه السلام في آخر الزمان وتشبه الرواية التي تذكرها العديد من الأحاديث النبوية عن المسيح الدجال الذي سيظهر في آخر الزمان ليفتن المؤمنين عن دينهم ، ليكون سبباً لظهور المهدي المنتظر الذي يأتي ليخلص الناس منه .

### الملائكة والشياطين :

الزرادشتيون هم أول من اعتقد بأنّ لله ملائكة، أو مساعدين للإله أهورا مزدا. واعتبروا أنّ عددهم ستة، ويعرفون بـ مشاسبند ومعناها الخالدون المقدسون . و"والملائكة في الزرادشتية - كما في الإسلام - أجسام نورانية لا يرون إلا وهم على هيئة مألوفة وهم أخيار نوو حياة وعقل ووعي وحكمة وخالدون لا يعترتهم فناء ولا يطرأ عليهم تحوّل أو تغيير ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون وموطنهم السماء في معية الله تعالى وهم ستة " (٣١) .

وكان لديهم فضلاً عن هذه الأرواح المقدسة كائنات أخرى هي الملائكة الحراس وقد اختص كل رجل وكل امرأة وكل طفل - حسب أصول اللاهوت الفارسي- بواحد منها ، وكان الفارسي النقي يعتقد أنه يوجد إلى جانب هؤلاء الملائكة والقديسين الخالدين الذين يعينون الناس على التحلي بالفضيلة سبعة شياطين (ديو) أو أرواح خبيثة تحوم في الهواء، وتغوي الناس على الدوام بارتكاب الجرائم والخطايا. وتشتبك أبد الدهر في حرب مع أهورا- مزدا ومع

كل مظهر من مظاهر الحق والصالح. " ومما نص عليه زرادشت أن للعالم قو إلهية ، هي المدبرة لجميع ما في العالم المنتهية مبادئها إلى كمالاتها وهذه القوى تسمى مشاسبند وهي على لسان الصابئة المدبر الأقرب وعلى لسان الفلاسفة : العقل الفعّال ومنه الفيض الإلهي والعناية الربانية .. وعلى لسان العرب : الملائكة وعلى لسان الشرع والكتاب الإلهي الروح ( تنزل الملائكة والروح فيها ) " (٣٢) .

وكان كبير هذه الزمرة من الشياطين ( أنكرا مينو) أو أهرمان أمير الظلمة وحاكم العالم السفلي وهو الطراز الأسبق للشيطان الذي لا ينقطع عن فعل الشر، والذي يلوح أن اليهود أخذوا فكرته عن الفرس ثم أخذتها عنهم المسيحية. مثال ذلك أن أهرمان أمير الظلمة وحاكم العالم السفلي هو الذي خلق الأفاعي والحشرات المؤذية والجراد والنمل، والشتاء، والظلمة والجريمة، والخطيئة واللواط والحيض وغيرها من مصائب الحياة.

وهذه الآثام التي أوجدها الشيطان هي التي خربت الجنة حيث وضع أهورا مزدا الجدين الأعلى للجنس البشري.

ويبدو أن زرادشت كان يعد هذه الأرواح الخبيثة آلهة زائفة، وأنها تجسيد خرافي من فعل العامة للقوى المعنوية المجردة التي تعترض رقى الإنسان. ولكن أتباعه رأوا أنه أيسر لهم أن يتصوروها كائنات حية فجسدوها وجعلوا لها صوراً مازالوا يضاعفونها حتى بلغت جملة الشياطين في الديانة الفارسية عدة ملايين.

### القيامة والبعث في الحياة الآخرة:

الديانة الزرادشتية تؤمن بالعقاب في اليوم الآخر وبالروح ووجودها، ويعتقدون إن الفاني هو الجسد وليس الروح، وإن الروح ستبقى في منطقة وسطى بين النار والجنة في منطقة تدعى البرزخ و اعتقادهم راسخ بالجنة والنار والصراط وميزان الاعمال.

والزرادشتية تؤمن بسؤال الملكين في القبر قبل يوم الحساب الشامل الذي يتم على الصراط ، فقبل " حلول اليوم الآخر تخضع النفوس التي ذاقت الموت إلى الحساب الفردي الذي يقرر الوضع الذي ينبغي عليه إلى أن يحين البعث الشامل وهذا الحساب يلي الموت بفترة قصيرة " (٣٣) .

ويتحدث سفر اليسنا في عبارات واضحة عن يوم القيامة بالقول أنه زمن " تنتهي عنده مهمة الإنسان على الأرض فتتوقف حركة الحياة لارتباطها الوثيق بالإنسان المكلف من جهة ولبلوغها حد الكمال المقدر لها من جهة أخرى ،

حينها تقوم الساعة فتميد الأرض بالبقية الباقية من بني آدم وتتناثر الجبال وتخرج المعادن من باطن الأرض وتنتشر النيران في كل مكان فتقضي على كافة الأحياء " (٣٤) .

وتوجب الزرادشتية على معتنيقيها الإيمان بالقيامة والبعث والنشور والحساب في اليوم الآخر والجنة والنار ولا يختلف ما جاء فيها عن ما جاء في الإسلام سوى في التفاصيل الجزئية البسيطة وتقرر عقائدهم أن القيامة أو " الساعة ستقوم على أثر حادث فلكي وذلك أن كوكباً يصطدم مع الأرض ، فتميد بالناس وتخر الجبال هذا وتذوب العناصر ويصهر النحاس ويسيل إلى جهنم " (٣٥) .

ويؤمن الزرادشتيون أن الملائكة تسجل كل الاعمال التي عملها الإنسان في الدنيا ويجدها مدونة كل التفاصيل بدقة في الحياة الآخرة ، ففي يوم القيامة ترد إلى كل " إنسان روحه ومعها كتاب الحياة الذي سجل فيه ملائكة الله كل ما قاله وما فعله من يوم بلوغه سن التكليف إلى يوم مماته والكتاب مؤلف من شقين ، في الاول سجلت الأعمال الخيرة الصالحة وفي الثاني سجلت كل الأعمال الشريرة والفاصلة .. وفي هذا اليوم توزن اعمال العباد ، فمن رجحت أعماله الصالحة ( حسناته ) على أعماله الشريرة ( سيئاته ) فذلك من ثقلت موازينه وهو من السعداء ومن رجحت أعماله الشريرة على أعماله الصالحة فذلك من خفت موازينه وهو من الاشقياء ومن تساوت أعماله الصالحة مع أعماله الشريرة ، فذلك ينزل منزلة وسطى بين السعداء والاشقياء إلى أن يحكم فيه الحق عز وجل " (٣٦) .

تعتمد الزرادشتية أن أهورا مزدا يُبعث الموتى وترد إلى كل إنسان روحه وتعود الحياة إلى الأجسام، وتترد فيها الأنفاس في الحياة الآخرة التي يخلو فيها العالم المادي كله إلى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال والحياة الآخرة " في الزرادشتية مكلمة ومتممة للحياة الدنيا ولا معنى للحياة الدنيا بدون الحياة الأخرى والإنسان نفسه ما خُلق وكُلف في الدنيا إلا لنوال ثمرة لا ينالها إلا بالتكليف وفي حياة أعدت خصيصاً كغاية مبتغاة للخلق وللتكليف معاً ، أما تفاصيل تلك الحياة في أخرويات الزرادشتية فلا تكاد تختلف في تفاصيلها العامة عن أخرويات الإسلام وعلى نحو ندر مثله في الأديان الكتابية الأخرى " (٣٧) .

وهناك تشابه في تفاصيل الحياة الآخرة وما ورد عنها في الزرادشتية و بين ما ورد عنها في العقيدة الإسلامية يصل أحياناً حد التطابق في بعض التفاصيل .

وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يضعون الزرادشتية في خانة الديانات التوحيدية ويضعون زرادشت في خانة الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن .

### الصراط :

وهو الجسر الفاصل بين الجنة والنار لدى الزرادشتية فلا بد لأرواح الموتى بأجمعها من اجتيازه سواء إلى الجنة أو النار ، فكل " روح مواجهة الحساب على الجسر الفاصل الذي يمتد فوق جهنم ، وفي طرفه الآخر يفتح على الفردوس وتتلى على هذا الجسر أعمال الروح ويؤتى بميزان الحسنات والسيئات وإذا ما رجحت كفة الأعمال الحسنة على السيئة فإن يد أهورا مزدا تشير صوب الفردوس ولكن إذا ما رجحت كفة السيئات على الحسنات فإن اليد سوف تشير إلى الهوة تحت الجسر.. فالصالحون الذي آمنوا بزرادشت لن يجدوا صعوبة في العبور ، بينما الطالحون الذين أدينوا بأعمالهم سوف يجدون أنفسهم في وضع لا يمكنهم أن يتجاوزوا من خلاله وسط الجسر " (٣٨) .

و يأمر الإله أهورا مزدا - كما تقول المعتقدات الزرادشتية - الناس بالمرور فوق الصراط وهو الجسر الممدود فوق جهنم " فيمر السعداء فوقه فلا ينالهم من وهج جهنم شيء ويتسع الصراط أمامهم كلما مشوا فيه إلى أن يصلوا مأوى أهل السعادة حيث الجنة فيسعدون سعادة لا شقاء بعدها أبداً ، أما الأشقياء فيمرون فوق الصراط وهم يرونه امامهم في دقة الشعرة وحدة السيف ولكنهم معذبون بالمشي عليه ولذلك تزل أقدامهم فيهبون في نار جهنم إلى الأبد وتعبير اليسنا لفترة طويلة " (٣٩) .

والصراط عبارة عن قنطرة تصفى فيها، الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة ، تجتازها الأرواح الطيبة فتصل في جانبها الثاني إلى مسكن الخلود ، حيث تلقاها وترحب بها فتاة عذراء ناهد - ذات قوة جمال وبهاء - فتمضي الروح بإرشاد هذه الفتاة " إلى حضرة أهورا مزدا فتعبر الصراط إلى الجنة حيث يستقبلها ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها أدخل سالماً آمناً وتمتع بحياة رغدة هنيئة ولك فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك " (٤٠) .

وهناك في الجنة تعيش الروح مع أهورا- مازدا سعيدة منعمة إلى أبد الدهر. أما الروح الخبيثة فلا تستطيع أن تجتاز القنطرة فتتردى في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب وأعمال سيئة شريرة في الدنيا .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً }

## الجنة والجحيم :

ولم يكن هذا الجحيم مجرد دار سفلى تذهب إليها كل الأرواح طيبة كانت أو خبيثة كما تصفها الأديان الأقدم عهداً من الدين الزرادشتي، بل كانت هاوية مظلمة مرعبة تعذب فيها الأرواح المذنبة أبد الأبدين .

وقد اسس الثواب والعقاب في الزرادشتية - كما هو الحال في الإسلام - على " العدل والرحمة فالله يكافئ الطائع ويثيبه على أدنى خير يصدر منه بعدله ورحمته وينظر إلى المذنب والمخطئ الناخذ لقوانين الله نظرتة إلى مريض في حاجه إلى اصلاح وتطهير والحق عز وجلّ بعدله يعاقبه على ما اقترف من خطايا وبرحمته يتجاوز عما ارتكب في حقه ولا يخل ذلك في الحالتين بعدل الله ولا برحمته " (٤١) .

والجحيم في الديانة الزرادشتية يختلف في وصفه عن الأديان الأخرى، فالديانة الزرادشتية تقول بأن الجحيم عبارة عن منطقة باردة وفيها أنواع من الحيوانات المتوحشة التي سوف تعاقب المذنبين بما اقترفت أيديهم من إثم في الدنيا ولجهنم " عدة طبقات كما كانوا يعتقدون ، يقع أدناها في أحشاء الأرض حيث بالإمكان القبض على الظلمة باليد من شدة كثافتها وحيث النتن لا يحتمل " (٤٢) .

بينما تمثلت الجنة بطبقات " متعالية متطابقة للأفكار الخيرة والقول الصالح والأعمال الصالحة وتقع بحسب الترتيب في أقاليم النجوم والقمر والشمس وتمر الروح عبر هذه المحطات المتصاعدة حتى تصل إلى أعلى سماء .. حيث يستوطن الفكر الخير وحيث تتمتع الروح بنعيم يتجاوز متع الأرض بما لا يوصف " (٤٣) .

وفي كتب بعض المتأخرين من الزرادشتيين ، أن الروح بعد أن تعبر الصراط ، تأخذ منزلة من ثلاث منازل بحسب درجة أعمال صاحبها " فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو في منزلة السعداء في جنات النعيم ومن رجحت سيئاته على حسناته فهو في منزلة الأشقياء في دركات الجحيم ومن استوت حسناته وسيئاته فهو بين هاتين المنزلتين أي الأعراف بين الجنة والنيران " (٤٤) . ويتضح من كل ما سبق - وخصوصاً لمن يقرأ القرآن - مدى التشابه بين مقولات الزرادشتية - عن يوم القيامة والبعث والنشور والملائكة والشياطين والهور العين والصراط والجنة والنار - وما تقوله المصادر الإسلامية عنها ، مما يرجح أن الزرادشتية ديانة سماوية وليست ديانة وضعية كما يعتبرها البعض .

## الأخلاق الزرادشتية :

الزرادشتية كغيرها من الشرائع السماوية - أو الديانات الوضعية - تجعل من الأخلاق في مركز اهتمامها ودعوتها ، وتجعل الصراع بين الخير والشر من ضرورات الحياة ، كنوع من الاختبار الذي ينتهي بالنجاح والمكافئة لأتباع الخير، والملتزمين به ، فقد صوّر الزرادشتيون العالم ميداناً للصراع بين الخير والشر ، وأيقظوا بعملهم هذا في خيال الشعب حافظاً قوياً مبعثه قوة خارجة عن القوى البشرية، يحض على الأخلاق الفاضلة ويصونها.

إن الدين الذي جاء به زرادشت " كان دين وحدانية أخلاقي فريد جوهر القول أنه اعتقد أن الشريعة الاخلاقية تتطلب صلاحاً بشرياً صادراً عن إله واحد خيرٍ وعندما وعظ زرادشت باسم الإله العلي أهورا مزدا الرب الحكيم لم يكن قد أبتدع شيئاً جديداً ، حيث كان الاسم متداولاً ولم يكن مجهولاً في ذلك الزمان ولم يكن سوى إله الاخلاق والنظام الطبيعي " (٤٥).

والملاحظ أن الأخلاق الزرادشتية ليست أخلاق زهد وتقشف وضعف واستكانة وانزواء - كما هو موجود لدى البوذية والمسيحية - بل هي اخلاق قوة تدعو للإقبال على الحياة وعمارتها وتحرم الرهبانية " وكل ما من شأنه اضعاف الإنسان حساً أو معنى ، إنها خلقية تعرف معنى الحق والواجب وتضع على كاهل الإنسان واجبات نحو نفسه وأخرى نحو وطنه وثالثة نحو مجتمعه ورابعة نحو الإنسانية جمعاء " (٤٦).

وكانوا يمثلون النفس البشرية، كما يمثلون الكون، في صورة ميدان كفاح بين الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة وبذلك كان كل إنسان مقاتلاً، أراد ذلك أو لم يردده، فمن سار في حياته في طريق الخير فهو في جيش أهورا مزدا ومن سار في طريق الشر في جيش الشيطان، وكان كل عمل يقوم به أو يغفله يرجح الخير أو الشر أو قضية أهورا مزدا أو قضية أهرمان.

والزرادشتية تحث الإنسان على التمسك بالفكر الصادق والقول الصادق والعمل الصالح للوصول إلى ذاته وليضمن سعادته فالإنسان كائن حر وعليه اطاعة الاله الواحد، كما أن الزرادشتية تحرم الرهبانية بكل أنواعها.

وتدعو الزرادشتية إلى الفضائل التي تدعو إليها جميع الشرائع السماوية - وحتى الأديان الوضعية باعتبار الأخلاق فطرية - وتأمّر باجتئاب الفحشاء والمنكر والبغي وتنتهي عن الرذائل التي تنهى عنها جميع الشرائع السماوية .  
وقوام الأخلاق لدى زرادشت ثلاثة أمور هي :

الفكر الطيب والكلام الطيب والعمل الطيب ( الصالح ) ولا يقبل دخول أي إنسان في الزرادشتية إلا بعد أن يؤخذ عليه ميثاق وعهد بالتزامه بتلك الأمور ينتهي بالعبرة التالية : " ولن أقدم على سلب أو نهب أو تدمير أو تخريب أقراني ، أعبد أهورا مزدا واعتنق دين زرادشت والتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح " (٤٧).

وتقول الأبتاق أن على الإنسان واجبات ثلاثة ، أن يجعل العدو صديقاً وأن يجعل الخبيث طيباً، وأن يجعل الجاهل عالماً .

كانت الفضائل لدى الزرادشتيين كما هي عند غيرهم من الامم " تتألف من صفوف ودرجات ، لكل صفٍ منها منزلته الخاصة ، فمثلاً الشرف والإحسان والأمانة الزوجية من الجانبين كانت في الصف الأول ولقد كانت العدالة والعفة والإخلاص والصدق من أجل الفضائل " (٤٨) .

وأعظم الفضائل عندهم هي التقوى، ويأتي بعدها مباشرة الشرف والأمانة عملاً وقولاً. وحرّم زرادشت أخذ الربا من الفرس، ولكنه جعل الوفاء بالدين واجباً يكاد أن يكون مقدساً ورأس الخطايا كلها (في الشريعة الأبتاقية كما هي في الشريعة الموسوية) هو الكفر.

يقوم مبدأ زرادشت الأخلاق الأولى على أن روح كل إنسان هي " مركز الجهاد بين الخير والشر وهذا الجهاد الذي في الصدر ذو أهمية مصيرية ، فعندما خلق أهورا مزدا الإنسان منحه الحرية ليقرر أفعاله ومن ذلك القدرة على الاختيار بين الحق والباطل.. الخير والشر غير محددتين بوضوح .. فالأخيار بالنسبة لزرادشت هم أولئك الذين قبلوا الدين الحق والناس الأشرار هم الذين رفضوا هذا الدين واستمروا في ممارسة طقوس الديانة الشعبية ، بالإضافة لعبادتهم للآلهة القديمة " (٤٩) .

### الشرائع و العبادات الزرادشتية :

تحت الشريعة الزرادشتية على العمل والسعي في مناكب الأرض طلباً للرزق وتهتم بالزراعة والرعي وتربية الماشية وتجعل ذلك جزءاً من العبادة ومن النصوص الموجودة في كتبها المقدسة أن من يشق الأرض بمحراثه خير ممن يقدم ألفاً من القرابين وممن يقدم عشرة ألف من الادعية والصلوات وتحت كذلك على النظافة والقضاء على الحيوانات المؤذية والهوام - كالحيات والعقارب - وتحرم الانتحار تحريماً مطلقاً ، باعتباره جناية على النفس والوطن والزواج في الزرادشتية واجبٌ على كل قادر عليه وتحت على تعدد الزوجات لتكثير النسل ولزيادة عدد المحاربين في سبيل أهورا مزدا .

وقد جاء في كتابهم المقدس ( الأُبستاق ) أن الإله أهورا مزدا أوحى إلى زرادشت أن المتزوج أرفع منزلة من العازب - حتى لو كان تقياً عفيفاً - ومن له زوجة ومنزل أعلى منزلة لدى أهورا مزدا ، ممن ليس له زوجة ومنزل ومن له أولاد وذرية أرفع منزلة ممن ليس له أولاد ، ومن الكوارث لديهم أن يكون الرجل عقيماً لا ذرية له ويعتقدون أن من يموت بدون ذرية لا يدخل باب الجنة وأكبر جرم يرتكبه الآباء أن يحرّموا الفتيات من الزواج ومن انجاب الأولاد (٥٠) .

للماء والنار أهمية في الطقوس الزرادشتية والنصوص المقدسة تعتبر ان الماء والنار يمثلان حياة مستقلة بحد ذاتها ولا يخلو المعبد الزرادشتي من وجودهما و يُعتبر الماء والنار عوامل تدل على طهارة الطقوس، وتُعتبر طقوس التطهير المرتبطة بهما أساس المراسم.

وتحت الزرادشتية اتباعها على النظافة والطهارة بشكل يومي ، فيجبُ على كل مؤمن زرادشتي أن ينظف جسمه على الأقل مرة واحدة في اليوم من خلال غسل وجهه ويديه وذلك يعتبر بمثابة تطهير شامل لكامل البدن لديهم - وليس مرهوناً بالغسل للجنابة أو النجاسة التي تلحق بالبدن - ويستخدم في نظافة الجسم الماء الطاهر بالقدر الذي يطمئن اليه المتطهر في أداء الغسل الواجب عليه ويجب ايضاً غسل الملابس وتنظيفها جيداً ويعد لبس الملابس القذرة أو الممزقة من الأمور المكروهة في الزرادشتية وعلى المومن تجنبها (٥١) .

وتشبه أسفار الأُبستاق الزرادشتية وشروحها أسفار اليهود - كما سنتعرف عليها عند الحديث عن الشريعة الموسوية - في استيعابها لجميع فروع الشريعة ، فهي لا تغادر أي فرع من فروع الحياة - الفردية والاجتماعية - إلا وقد وضعت له قواعد يسير عليها حتى شئون الأكل والشرب وحلق الشعر وتقليم الاظافر ، يذكر سفر الفانديداد الزرادشتي أنه من " الواجب على الإنسان أن يضع قلامات أظافره وقصاصات شعره على منضدة أمامه ويحرص عليها كل الحرص حتى لا يضيع منها شيء ، ثم يحملها بعناية ويخفيها في حفرة عميقة وإلا كانت عرضة لأن تمتد إليها أيدي السحرة والمشعوذين فيستخدمونها في سحر صاحبها " (٥٢) . وكل من يترك شعر رأسه ولحيته أو قلامات أظافره تتساقط على الأرض ولم يفعل بما تأمر به تعاليم زرادشت في الكتب المقدسة ، فهو لا يراعي حرمة جسد المؤمن حياً ويُعد من المحقرين للشريعة الزرادشتية وما يصدر عنه ذلة تتجسد فيها أعمال الشيطان ولا يجرؤ عليها سوى من لا دين له ولا شريعة (٥٣) .

## الصلاة :

تمثل لدى الزرادشتيين أهم العبادات التي يلتزمون بها وهي لديهم خمس صلوات يومية ، تبدأ الصلاة الأولى عند طلوع الشمس وتنتهي الأخيرة عند غروبها - وبينهما تقع الثلاث الصلوات الباقية - وهي صلوات جماعية تؤدى في المعابد ( أو الهياكل كما تسمى لديهم ) حول النار المشتعلة بقيادة رجال الدين وجوهر صلاتهم الدعاء والتضرّع للإله أهورا مزدا وتختتم كل صلاة بمواعظ وارشادات دينية (٥٤) .

## الفاحشة وعقابها :

الزنا لديهم محرّم وتعريفه في الشريعة الزرادشتية هو عين تعريف الشريعة الإسلامية له والعقوبة الحدية التي يطهر بها الزاني والزانية من جرمهما الفاحش هي التمثيل والتشهير بهما تمثيلاً يجعلهما عظة وعبرة للغير .  
أما جريمة اللواط فقد وصفت في الأستاق ( بالفعل المتعذر التكفير عنه ) ويندرج في الشريعة الزرادشتية تحت بند الأفعال الشاذة المحرّمة والمخالفة للطبيعة وأطلق على الفاعل والمفعول اسم الشيطان الرجيم وليس على الفاعل والمفعول عقوبة محددة ، لأن فعلهما ذنب لا يعتقر وقد ساوى الإله بين الفاعل والمفعول وبين الشيطان في الحياة وبعد الممات ، بمعنى أنهما مطرودين من رحمة أهورا مزدا ومن ثمّ فلا غرامة ولا كفارة ولا تطهير بالنسبة لهما (٥٥) .

## عقوبة السرقة :

السارق في الشريعة الزرادشتية هو من أخذ مال غيره خفية أو علانية ويعد قاطع الطريق الذي يستولي على ممتلكات الناس سارقاً و الذي لا يرد المال الذي استدانه من دائنه حال طلبه يعد سارقاً .

والعقوبة المطهرة لجرم السرقة ، في شريعة زرادشت إما التمثيل بالسارق أو قطع يده ، بحسب نوع السرقة ومقدار المال المسروق .

وفي عهد الملك أردشير أستبدل الحد السابق ، وأصبح كل من سرق وشهد عليه ثلاثة شهود عدول - أو اعترف على نفسه بالسرقة - يقطع أو يخرم انفه ويُعْرَم قيمة ما سرق ويلحقه العار بسبب تخريم أنفه ولا تقطع يده ، لأن ذلك ينقص من قوته في الحصول على عمل في المستقبل .

أما قاطع الطريق ومروع الأمنين في الأسفار والمغتصب لمال الغير بقوة السلاح ، فيعتبر مفسداً في الأرض - بحسب شريعة زرادشت - وعقوبته القتل بلا رحمة ، ثم أضيف إلى القتل فيما بعد ، غرامة أربعة أمثال المال المسروق (٥٦) .

### الأعياد :

لدى الديانة الزردشتية العديد من الأعياد من أشهرها النيروز، وهو عيد بداية العام وأوانه الاعتدال الربيعي - ٢١ مارس - وقد عرفته الأقوام الإيرانية منذ القدم، ولا يزال يعد عيداً قومياً في إيران وكردستان العراق حتى اليوم . وترتبط لدى الزرادشتية " ارتباطاً وثيقاً بالدين ولعل من أهم الأعياد لديهم هو عيد النيروز ويسمونه يوم التوبة " (٥٧) .

ينهضون فيه باكراً ويستحمون ويتطيبون ويذهبون للمعابد ويطعمون الصوات حول النار بقيادة رجال الدين ويخرجون ، يزور بعضهم البعض للتهنئة بالعيد ويتصدقون فيه على الفقراء والمساكين من أجل الحصول على رضى الإله أهورا مزدا ورحمته .

### الخاتمة :

تعرفنا في الصفحات السابقة على الديانة الزرادشتية ، ومن خلال ما تم عرضه ، تعرفنا على نقاط التشابه الكثيرة بينها وبين العقيدة الإسلامية وخصوصاً ما يتعلق بالحياة الآخرة وبعض التشريعات التي تناولت حد السرقة والحراية والزنا .

ومن الملاحظ أن التحريف قد طالت تلك الديانة - التي اعتبرها الشهرستاني ديانة توحيد- بسبب احراق كتابها المقدس وبسبب تقادم العهد بتعاليمها مثلها مثل اليهودية والمسيحية .

## قائمة المراجع :

- (١) ينظر : محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ( د - ن ) القاهرة . ط / ١٩٣٨ م . ص ١٨٨ .
- (٢) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . دار نهضة مصر / القاهرة . ط / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- (٣) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ١٨٧ . سابق .
- (٤) ينظر : الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية . الكويت . الحولية ٢١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م . ص ١٧ - ١٨ .
- (٥) ينظر : ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٧٠ . سابق .
- (٦) ينظر : الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ١٩ . سابق .
- (٧) ينظر : فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الخامس . دار التكوين / دمشق . ط / ٢٠١٨ م . ص ٣٢ .
- (٨) الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٢٦ . سابق .
- (٩) ينظر : ابي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . تح : عبدالعزيز الوكيل . مؤسسة الحلبي / القاهرة . ط / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م . ص ٤٦ .
- (١٠) ينظر : ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٧٢ . سابق .
- (١١) ينظر : الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ٤٦ . سابق .
- (١٢) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ١٣٢ . سابق .
- (١٣) ينظر : المرجع السابق : ص ١٣٥ - ١٣٦ .
- (١٤) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . دار رامتان / جدة .
- (١٥) السعودية . ط ٢ / ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ . ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . سابق .
- (١٦) ينظر : الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ٤٣ . سابق .
- (١٧) ينظر : ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٨١ . سابق .
- (١٨) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ١٤٤ . سابق .
- (١٩) ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٨٢ . سابق .
- (٢٠) الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٣١ . سابق .

- (٢١) ينظر : فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ٣٦ . سابق .
- (٢٢) ابي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ٤٢ - ٤٣ . سابق .
- (٢٣) المرجع السابق : ص ٤٣ .
- (٢٤) ينظر : علي عبدالواحد وافي : : الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام . ص ١٤٤ . سابق .
- (٢٥) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ص ٣٧ . سابق .
- (٢٦) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام . ص ١٤٥ - ١٤٦ . سابق .
- (٢٧) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢١٠ . سابق .
- (٢٨) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٣٠ . سابق .
- (٢٩) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ٣٩ . سابق .
- (٣٠) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٣٢ . سابق .
- (٣١) ابي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ٤٤ . سابق .
- (٣٢) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٤٢ . سابق .
- (٣٣) ابي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل . ص ٤٨ . سابق .
- (٣٤) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ص ٤٠ . سابق .
- (٣٥) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٤٧ . سابق .
- (٣٦) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢١٢ . سابق .
- (٣٧) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٤٨ . سابق .
- (٣٨) المرجع السابق : ص ٤٣ .
- (٣٩) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ص ٤٠ . سابق .
- (٤٠) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٤٨ . سابق .
- (٤١) ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٨٨ . سابق .
- (٤٢) الشفيح الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٣٤ - ٣٥ . سابق .
- (٤٣) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . ص ٥٣ . سابق .
- (٤٤) المرجع السابق : نفس الصفحة .

- (٤٥) ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٨٨ . سابق .
- (٤٦) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الخامس . ٣٤ . سابق .
- (٤٧) ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٩٣ - ١٩٤ . سابق .
- (٤٨) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ١٥٥ . سابق .
- (٤٩) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ١٩٩ . سابق .
- (٥٠) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الخامس . ص ٣٧ . سابق .
- (٥١) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ١٥٣ - ١٥٤ . سابق .
- (٥٢) ينظر : الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٥٣ . سابق .
- (٥٣) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢١٧ . سابق .
- (٥٤) ينظر : الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٥٤ . سابق .
- (٥٥) ينظر : ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٨٩ - ١٩٠ . سابق .
- (٥٦) ينظر : الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . ص ٥٤ ، ٥٥ و ص ٥٦ سابق .
- (٥٧) ينظر : المرجع السابق . ص ٥٦/٥٥ .
- (٥٨) ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . ص ١٩٠ . سابق .

## الفصل الثاني : الكونفوشيوسية

### مدخل :

الكونفوشية هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ في الفلسفة الصينية، طُورت عن طريق تعاليم كونفوشيوس ( ٥٥١ - ٤٧٩ ق - م ) وأتباعه، تتمحور في مجملها حول الأخلاق والآداب وطريقة إدارة الحكم والعلاقات الاجتماعية .

كثيراً ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسي الديانات وهذا تعبير غير دقيق - إن لم يكن خاطئاً - فمذهبه ليس ديناً، فهو لا يتحدث عن إله وإنما مذهبه هو طريقة في الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعي والسلوك السياسي .

ومذهبه يقوم على الحب ، حب الناس وحسن معاملتهم والرقّة في الحديث والأدب في الخطاب ونظافة اليد واللسان و يقوم مذهبه أيضاً على احترام الأكبر سناً والأكبر مقاماً وعلى تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها ولكنه في نفس الوقت يكره الطغيان والاستبداد (١) .

من المؤكد أن كونفوشيوس لم يسع لتأسيس دين وتكوين ديانة ، لكن الأكيد أنه أصبح " مفتاح الدين الصيني ، فقد تمثلت في حياته وكتاباته وجهة النظر الصينية العادية في الحياة وفي الدين وهو المثل الذي يحتذيه الرجل الصيني في أسمى أوضاعه وله في نفوس القوم مكانة التوقير والاحترام ويتخذونه نموذجهم الكامل " (٢) .

رغم أن الكونفوشيوسية أصبحت المذهب الرسمي للدولة الصينية القديمة، لكنها لم تشق طريقها حتى تصبح ديانة بالمعنى المعروف، فقد كان ينقصها وجود هياكل أساسية " وطبقة رجال الدين رسميين ولا اتباع بالمفهوم الديني ولا نصوص مقدسة أو شعائر دينية بسبب كل هذه العوامل فقد جرى تحويل الانتباه عن الجوانب الدينية فيه " (٣) .

واستنتج الباحثون أن الكونفوشية الجديدة لم تكن سوى ايدلوجيا تقّس الدولة التي رأت في الإمبراطور مقدماً للقرايين إلى السماء وأمرأً للدولة ، إن " الكونفوشية بما شهدته من تطور واضافات ومحطات من الاندفاع والامتداد أو الانكفاء عبر قرون عدة بلغت ٢٥ قرناً تبلورت على شكل ديانة لها معتقداتها وطقوسها ومعابدها وإن كان الجانب الاجتماعي والسياسي والأخلاقي غالب عليها " (٤) .

تأثرت الكونفوشية تأثراً كبيراً بالمعتقدات الروحية للديانتين البوذية والطاوية في عهد أسرة هان ( ٢٠٦ ق . م - ٢٢٠ م ) وكان مؤسسها محافظاً في نظرتة إلى الحياة فهو يرى بأن العصر الذهبي للإنسانية " كان في القدم

وراءها، أي كان في الماضي. وهو لذلك كان يحن إلى الماضي ويدعو الناس إلى الحياة فيه و لكن الحكام على زمانه لم يكونوا من رأيه ولذلك لقي بعض المعارضة " (٥) .

وقد اشتدت تلك المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين، من قبل بعض الحكام ، الذين رءوا فيها نكسة مستمرة ، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها. بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الورا.. ومنهم ( تشي إن شهوانج ) الذي أحرق كتبه وحرّم تعاليمه، عام ٢١٢ ق - م ، ورأى فيها نكسة مستمرة وقام بدفن بعض معتقّي الكونفوشية أحياء ، فثار عليه الشعب جراء تلك الأفعال . وفي عهد الإمبراطور ووتي ( ١٤٠ - ٨٧ ق . م ) اصبحت الكونفوشية ديناً رسمياً للصين ، وفي عام ٩٥ م صدر مرسوم من الإمبراطور بتقديم القرابين لكونفوشيوس باعتباره أحد الآلهة (٦) .

ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته في كل مكان. واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم في الحياة الصينية قرابة عشرين قرناً، أي من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد.

### نبذة عن المؤسس :

ولفظ اسم كونفوشيوس هو الصيغة اللاتينية لأسم الفيلسوف الصيني الكبير. كونغ فوتسو حيث تعني كلمة كونغ السيد ويعني الاسم الملك الفيلسوف (٧) في حوالي سن الستين استقال من وظيفته وأنشأ مدرسة يعلم فيها تلاميذه أفكاره، تمهيداً لإرسالهم إلى الأرياف الصينية لنقل تعاليمه إلى سكانها، وكان مخططه كبيراً وطموحاً، ويتناول الأخلاق والواجبات العائلية والإصلاح الاجتماعي، العلاقات الشخصية الفردية ويقال إنه لم يدوّن الكثير من آرائه وأفكاره كتابة ولكن أتباعه فعلوا ذلك، ومن بين الأعمال التي تُعزى إلى تعاليمه ( المنتخبات الأدبية) وهي سجل محاضراته.

اعتاد كونفوشيوس منذ أن بدأ دعوته على الطواف والترحال في الأقاليم الصينية لا يقيم في بلد إلا على نية الخروج منه وكلماً حل على أمير مقاطعة دعاه إلى السلوك الفاضل ، ولم يكن كونفوشيوس يعاني سوى من رفض الناس لتعاليمه وعدم تقبلها - أو تقبلها بعض الوقت ثم الخروج عليها فيما بعد - وهذا هو ما عانى منه في حياته وجعله يطوف في شتى مقاطعات الصين عله يجد من يتقبل تعاليمه، إلا أن بعض حكام المقاطعات كانوا يكرمونه ويعينونه في مناصب رفيعة كوزارة العدل .

لم يشأ كونفوشيوس أن " يكون زعيماً لمذهب ديني إلا أن تعاليمه سوف يكون لها أثرها في العقائد الصينية لأن الأسس التي ارتكزت عليها تعاليمه الاخلاقية والسياسية هي دينية وبعد قرنين من وفاته قرر حاكم مملكة هان أن يتولى الكونفوشيوسيون مقاليد السلطة ووضحت الكونفوشية دين الدولة " (٨) .

في الميدان التربوي كانت له آراء تقدمية، كان يدعو إلى تعميم التعليم بين كل أبناء الشعب بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية " واستطاع أن يجعل التعليم متاحاً للجميع من دون تمييز بين الطبقات بعد إن كان محصوراً بطبقة النبلاء قبل ذلك " (٩) .

أثرت الكونفوشية في حياة الصينيين، فقد حددت لهم أنماط الحياة التي يجب أن تُعاش بالنسبة لهم وسُلم القيم الاجتماعية التي يجب أن تسود فيما بينهم - داخل الأسرة وفي المجتمع - كما وفرت المبادئ الأساسية التي قامت عليها النظريات والمؤسسات السياسية في الصين و انطلاقاً من الصين، انتشرت تعاليمها إلى كوريا، و إلى اليابان وفيتنام و أصبحت ركيزة ثابتة في ثقافة شعوب شرق آسيا ، عندما تم ادخالها إلى المجتمعات الغربية، جلبت تعاليمها انتباه العديد من الفلاسفة الغربيين.

### الوحي وبداية التحول:

كان لدى كونفوشيوس احساس عميق بتكليف السماء له لتبليغ رسالة إلى الأرض وقد قال مرة أنه تلقى أمر التكليف في سن الخمسين مع أنه نادراً ما كان يتحدث عن الأرواح إلا أنه أهتم كثيراً بالأسلاف ودعا إلى المشاركة في طقوس التقرب منهم وجعل ذلك فرض عين على كل فرد في المجتمع الصيني كما كان يرى ويعتقد (١٠) .

ويؤثر عنه قوله: وقتما كنت في الخامسة عشر وقفت نفسي على الاطلاع، فلما بلغت الثلاثين توطدت معلوماتي، فلما أصبحت في الأربعين زالت شكوكي وفي الخمسين ميزت إرادة السماء، وفي الستين كنت مستعداً للإصغاء إليها، وفي السبعين تيسر لي إطاعة رغبة قلبي دون أن أتجاوز ما هو حق. (١١)

حظي كونفوشيوس بمكانة رفيعة لدى رجال أهل العلم في الصين، وكانوا يطلقون عليه لقب المعلم والحكيم، إلا أن تبجيلهم إياه لم يرق أبداً إلى درجة التأليه - كما فعل البوذيون مع بودا - يبدو أن بعض المؤرخين في الغرب أساء فهم هذا التصور، نظراً لملازمة مفهوم عبادة الأسلاف للديانة الصينية.

لم يكن كونفوشيوس نفسه يدعي أنه إله ، عكس الديانات الأخرى، لم تكن المعابد التي شُيّدت على شرفه أماكن لتجميع طوائف من الأتباع المنتمين، ولكن مبانٍ عمومية مخصصة لمراسيم سنوية للاحتفال به - وبالأخص يوم عيد ميلاده - بسبب الطبيعية الأساسية الدنيوية لهذه الفلسفة، فشلت كل المحاولات التي كانت تهدف لأن تجعل من الكونفوشيوسية عقيدة دينية لدى البعض .

### العقائد الكونفوشية:

تدور الكونفوشية حول السعي إلى وحدة الذات الفردية وإله السماء أو مثلما يُقال : حول العلاقة بين الإنسانية والسماء ، وقد جمعت في فكرها بين السماء والأرض ، بين العديد من الصيغ والانماط المتناقضة ، فعلى الرغم من اعترافها بوجود إله مجرد ، نجدها تقر بتأليه البشر ويتمثل ذلك في عبادة الأبطال والأباطرة بحجة أن لهم انساباً إلهية مقدسة ، وتجمع كذلك بين فكرة الوحدة والثنائية والكثرة ، فتبدو الوحدة في إله السماء السرمدى الذي ترد إليه كل الموجودات وتتمثل الثنائية في طريقين :

الأول : علاقة إله السماء بإله الأرض وتعاونهما في خلق الحياة .

الثاني : تبدو في تفويض إله السماء ابنه الحاكم في تسييس شئون دولته . أما الكثرة فتمثلها عبادة أرواح الأجداد والأجرام السماوية (١٢) .

والسماء في معتقداتهم تقوم بتنظيم الخلق وهي مصدر السلطة الإلهية الواحد في بنيته و قد يدرك الأفراد إنسانيتهم، من خلال التأمل عند ذلك يسعون للاتحاد مع السماء .

والروح لدى الصينيين خالدة ، لا تفنى بل تظل حارسة لذوي المتوفي تراقبهم وتبعد عنهم الأخطار وهذا هو السبب في عبادتهم للأسلاف " ومن عقائد الصينيين أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرهم ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم ووفاءً لعهودهم وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم ويقدمون لهم القرابين " (١٣) .

وبالنسبة للصينيين عبادة الأسلاف تعتبر أهم من عبادة الأرواح وهذا هو الدين الحقيقي لشعب الصين ويرجع تأريخه إلى العصور القديمة - وما يزال شائعاً في هذا العصر - وليس لحرص شعب الصين على شيء حرصه على هذه العبادة.. وقد بدأت ضرباً من ضروب التكريم للميت بعد الوفاة ثم استحالت إلى عبادة الأبطال الحكماء من رجال الشعب وهذه هي الخيوط الثلاثة التي يتكون منها نسيج الدين في الصين : عبادة شنغتاى ( الروح الأسمى أو الإله المتعالى

( وفي مصطلحات الآداب القديمة يطلق عليه لقب تيان أو السماء وتأتي بعدها عبادة الأسلاف ، ثم عبادة الأرواح <sup>(١٤)</sup> .

وأساس عقيدتهم أنهم يعبدون ثلاثة أشياء " السماء والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء ( الملائكة ) وأرواح الآباء " <sup>(١٥)</sup> .

و تعد فكرة تأليه الأجداد من الأفكار التي ورثتها الكونفوشية من الديانات الشعبية القديمة ويبررون ذلك بعدد من المبررات منها : " أنها تعبر عن الحب والشوق الذي يكنه الأبناء نحو الآباء ومظهراً للطاعة والانصياع لهم تقديراً للبركات التي تمنحها هذه الأرواح لأحفادها مثل وهبهم القدرة على الانجاب والمباركة في الزرع والبيع وشكراً لهم على النصائح التي يسدونها تبعاً لعلمهم غير المحدود " <sup>(١٦)</sup> .

ولدى الصينيين خمسة كيانات كونية هي الجديرة بالتقديس والاحترام والعبادة بالنسبة لهم وهي : السماء والأرض و الحكومة والأسلاف والأسياد أو الحكام و يمكن تحديد " العقيدة الكونفوشية بأنها قائمة أولاً على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب ، ثم عبادة الأرض لأنها الأخرى إلهاً ثم عبادة أرواح الأجداد ثم عبادة الجبال والأنهار " <sup>(١٧)</sup> .

وهناك اعتقاد سائد بأن السماء لم تقطع صلتها بسكان الأرض ويعتقد الكونفوشييون بأن " هناك لغة رمزية يرسلها ساكنوا السماء إلى ساكني الأرض لأبنائهم عن الأخطار الآتية والخيرات المنتظرة " <sup>(١٨)</sup> .

ويسمى إله السماء في الاعتقاد الصيني، ب ( تيان ) ويُشير للقوى المذهلة خارج سيطرة الإنسان ، وقد استخدم كونفوشيوس المصطلح بطريقة باطنية. وكتب في كتاب التعاليم أن تيان أعطاه الحياة وأنه يراقبه ويحكم عليه وأنه تحدث معه، ولكن ليس بالكلمات ويمكن مقارنة تيان أيضاً بتقاليد براهما الهندوسية وكتاب فيدا المقدس .

### الأخلاق الاجتماعية :

بلغت الاخلاق عند الصينيين درجة من الرقي والسمو أدهشت المفكرين في الغرب عندما علموها وتعلموها " ولقد انبهر المبشرون الغربيون عندما علموا ما عند الصينيين من حكم موروثه ووصايا وآراء خلقية سامية ولذا قرروا أن الصينيين لا بد أن قد بعث فيهم رسل ولقد أخذوا لهذا يوازنون بين التوراة والكتب الصينية في الأخلاق والحكم والوصايا " <sup>(١٩)</sup> .

ويمكن القول أن الاخلاق هي الديانة التي دعا لها كونفوشيوس ، فهي كما يرى الأساس الذي يجب أن تبنى عليه العلاقات داخل الأسرة وتتوسع لتشمل

المجتمع بأسره ، يبدأ تلقين مبادئ الاخلاق وأسلوب التعامل داخل الأسرة ، فالحكمة تبدأ في البيت، وأساس المجتمع هو الفرد المنظم في الأسرة المنتظمة، فالفرد هو حجر الأساس في بناء الأسرة التي هي أول خلية حيّة في البناء الاجتماعي ، ومتى استقامت اللبنة الأولى استقامت الحياة داخل الأسرة وعندما تصلح الحياة الأسرية تستقيم الحياة الاجتماعية وتستقر أوضاع الدولة . وكان كونفوشيوس يتفق مع جوته في أن الرُقّي الذاتي أساس الرُقّي الاجتماعي (٢٠)

والأمة في جوهرها لدى كونفوشيوس " عائلة واحدة حيث يرتبط خير الفرد على نحو لا سبيل إلى فصر عراه بخير المجتمع بأسره وفي الإطار نفسه فإن خير المجتمع هو خير الكثير من أولاده " (٢١) .

وكما أن كيان الأسرة يقوم على الطاعة والاحترام من الأبناء للآباء - ومن الزوجات للأزواج - فالمجتمع يجب كذلك أن يقوم على الطاعة والاحترام من المحكومين للحاكم ومن صغار السن لكبارهم و يعتقد الصينيون أن تنصيب الحاكم من الأقدار " ومن ثمّ على المؤمنين طاعة أوامر الحاكم باعتبارها أوامر الهيئة أفضى بها إله السماء لمن استخلفه على الأرض وقد طوّر كونفوشيوس هذا المعتقد إذ جعل طاعة الآباء الأحياء واجباً مقدساً على كل من يؤمن بالكونفوشية أداءه حتى لا تصيبه اللعنات " (٢٢) .

فإذا ذهبت الطاعة حلّت محلها الفوضى وليس ثمة ما هو أسمى من قانون الطاعة هذا إلا شيء واحد وهو القانون الأخلاقي الذي يترجم من خلال ما سماه بالعلاقات الخمس .

#### التبادل أو العلاقات الخمس :

كل تعاليم كونفوشيوس يمكن تلخيصها بعبارة واحدة هي ( التبادل ) بين أداء الحقوق للحصول على الواجبات ، إذ يعتبر أن جوهر الحياة الصالحة للفرد والأمة " يقوم على حسن أداء الفرد لواجبه ورعايته للروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض وعندهم علاقات رئيسية خمس هي : علاقة الأمير بالرعية ، علاقة الأب بالابن ، علاقة الأخ الأكبر بأخيه الأصغر ، علاقة الزوج بالزوجة ، علاقة الصديق بصديقه ، فإن روعيت كل هذه العلاقات حسن حال الدولة " (٢٣) . ويرتبط بقانون التبادل ، ما يسمى لدى كونفوشيوس بالفضيلة الكاملة والتي يجب على كل من يعتقد بأفكاره ويؤمن بها أن يتمسك بتلك القاعدة الذهبية التي نص عليها صراحة - قبل المسيح بخمسة قرون والذي أعاد

صياغتها - بالقول : " ما لا تتمناه لنفسك لا تتمناه لغيرك " وتعني : " ألا تفعل بغيرك ما لا تحب أن يفعل بك " وهذه هي المبادلة التي يقصدها كونفوشيوس . ومن معانيها : الإخلاص تجاه الذات وتجاه الآخرين أو الصدق وعندما يلتزم بها الإنسان قولاً ويطبقها في حياته فعلاً ، يصبح إنساناً شريفاً - بفضائله وليس بنسبه - ويطلق على الشخص الذي تجتمع فيه عدة فضائل، على غرار الاستقامة، اللباقة، التأدب، النزاهة بالإضافة إلى التقوى والورع.

ويرى كذلك أن النظامين السياسي والاجتماعي يشكلان وحدة متكاملة وكل منهما يكمل الآخر ، ويرى بأن الفضائل والاخلاق الشخصية الحسنة التي يتمتع بها الحكام ورجال البلاط هي الكفيلة بضمان صحة عافية المجتمع والدولة.

### صفات الحاكم :

من المسلمات لدى الصينيين القدماء أن الحاكم أو الملك هو ابن السماء وأن الحكام الاقطاعيين يستمدون شرعية حكم الناس من قوة " اجدادهم النبلاء الذين يعيشون في السماء ويرعون مصائر احفادهم ، فخرج كونفوشيوس على هذه الفكرة بأن بين أن من شروط الحاكم توفر الخلق الصالح ورجاحة العقل في الحاكم دون النظر إلى منبته وكان يُشير إلى أحد مُريديه من ذوي الأصل المتواضع بأنه لرجاحة عقله قد يلي العرش يوماً " (٢٤).

ويرى كونفوشيوس أن المبدأ الأول الذي يقوم عليه الحكم هو نفس المبدأ الأول الذي تقوم عليه الأخلاق : وهو الإخلاص.

ولهذا كانت أداة الحكم الأولى هي القدوة الصالحة من لدن الحاكم للمحكومين ومعنى هذا أن الحاكم يجب أن يكون هو المثل الأعلى في السلوك الحسن ، حتى يحذو الناس حذوه ويتبعونه كما تتبع النجوم النجم القطبي فيعم السلوك الطيب جميع أفراد شعبه. وما أشبه الذي ينهج في حكمه نهج الفضيلة بالنجم القطبي الذي لا يتحول عن مكانه والذي تطوف النجوم كلها حوله.. وإذا سلك الحاكم الطريق القويم فلن يواجه صعوبة في ادارة نظام الحكم " وإذا لم يقوم نفسه فلن يستطيع تقويم الآخرين " (٢٥).

يرى كونفوشيوس أن امور الدولة لا تستقيم وأميرها غير مستقيم ، و العلاقة القائمة بين الأعلى والأدنى ، بين الحاكم والرعية شبيهة بالعلاقة بين الريح والكأ ، فالكأ يميل إذا هبت عليه الريح وبحسب المقولة المنسوبة له : " إن اخلاق الرؤساء كالريح وأخلاق المرؤوسين كالعشب وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب " (٢٦).

وعلى الحكومة أن تُعنى أيضاً بغرس الأخلاق الطيبة ، ذلك أن الأخلاق إذا فسدت لدى بعض أفراد الشعب ، فإن الأمة تفسد معها.

وآداب اللياقة هي التي تكوّن على الأقل المظهر الخارجي لأخلاق الأمة وإن لم يدرك الناس هذا ، فلن تقوم لهم دولة ولن يهنئوا بحياة سعيدة مستقرة ، فالأخلاق تضي على الحاكم لطف الرجل المهذب وآداب التعامل والسلوك يجب تسود بين جميع أفراد المجتمع وأن يلتزم بها الجميع ؛ ويجب أن تتحول الاخلاق إلى عادات يومية ، فليس هناك شك في أن المرء ابن عاداته.

و الأخلاق الكونفوشية يُهمين عليها النظام الأبوي، والذي يُعبر عنه في عبادة الأسلاف، و في أضرحتهم .

وتوصف القوانين الأخلاقية تلك بأنها إنسانية ، شاملة للجميع ويمارسها جميع أفراد المجتمع و تتسم الأخلاق بتشجيع جميع أنواع الفضائل التي تدعو إليها الشرائع السماوية المختلفة .

سياسيا كان كونفوشيوس يدعو إلى حكومة أبوية (تسلطية) يقودها حاكم يحظى بالاحترام ومطاع بين رعيته ، لكن يجب على الحاكم أن ينمي أخلاقه لتبلغ الكمال، حتى يكون مثالا يحتذى به شعبه.

### أهمية الأخلاق لدى كونفوشيوس:

للأخلاق عند الصينيين - عموما وعند كونفوشيوس بشكل خاص - أهمية خاصة على المستوى الفردي والاجتماعي ، فهي من لوازم قيام الأسرة والأمة والمجتمع والدولة وظلت الحكمة الخالدة لكونفوشيوس " إن الجوهر الأساسي العملي للشعب يجب أن يكون هو الأخلاق وإن سياسة الدولة لا تنجح نجاحاً حقيقياً إلا إذا استت على الاخلاق " (٢٧) .

لقد ساد الاعتقاد لدى الصينيين منذ أقد العصور أن الأحداث الكونية تتبع الاخلاق التي تسود بين الناس - وخصوصاً لدى ملوكهم - فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل يسودان المعاملة بين الناس ويربطان العلاقات بينهم برباط من المودة والرحمة ، فإن الكون سوف يسير في فلكه بانتظام و من غير اضطراب ، ولكن إذا حاد الناس في المجتمع عن سمت الحق والسلوك إلى الرذيلة ، سوف يضطرب بعض ما في الكون بسبب مخالفة القانون الاخلاقي وما الزلازل وخسف الأرض وكسوف الشمس وخسوف القمر إلا إمارات لفسادٍ خلقي أحدث ذلك الاضطراب الكوني (٢٨) .

وإذا كانت الرذيلة تحدث الاضطراب والقحط، فإن الفضيلة والسلوك القويم يجلب الخير والبركات ويجعل كل ما في الكون يأتي بحسب رغبة الناس

والسبب في ذلك أن الصينيين يعتقدون أن " المؤثرات في الأكوان ترجع إلى ثلاثة : أولها السماء ولها السلطان الأعلى وثانيهما الأرض لقبولها أحكام السماء وثالثها الإنسان بما يؤثره بإرادته ، فإرادته الفاضلة وسلوكه سبيلها يجعل مظاهر الكون إلى خير الإنسان ، فالجو يمتلئ بالنسيم العليل والحرارة المنعشة والغيث المحيي لنبات الأرض من غير أن يخرب العمران " (٢٩) .

**مفهوم الإنسانية :**

تتمحور الفكرة العامة للأخلاق الكونفوشيوسية في مفهوم الـ ( رن ) والتي يمكن ترجمتها بالإنسانية أو طيبة القلب ، والرن - أو الجوهر السليم للإنسان - هي رمز العقل الرحيم، هي الفضيلة السامية والتي تمثل أفضل ما في النفس البشرية ، إنها الفضيلة الممنوحة من السماء وفي الوقت نفسه الوسائل التي يمكن للإنسان أن يحقق بها التوحد مع تعاليم السماء بفهمه لأصله وبالتالي الجوهر الإلهي الي يتكون منه .

و في عصر كونفوشيوس كان مفهوم الإنسانية مقرونا برجال الطبقة الحاكمة، ومع الزمن تحول مدلوله وأصبح يعني طبقة النبلاء ، على أن هذا المفهوم أصبح أشمل فيما بعد من خلال أفكار كونفوشيوس وتعاليمه .

لم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث " عن أمور ما وراء الطبيعة ولا بحث في نظام الكون وسننه ولا أهتم في البحث في الماديات وظواهر الطبيعة ومظاهرها إنما تركز اهتمام كونفوشيوس على الإنسان " (٣٠) .

والإنسان عنده مشتمل على قوتين - كالتبيعة سواء بسواء - وكل الفروق الموجودة بين الناس ناجمة عن تغلب إحدى القوتين على الأخرى ، فإذا كانت الغلبة في " الإنسان مثلاً للقوة الايجابية المؤثرة كان ذلك الإنسان حكيماً بالمعنى الكامل وإذا غلبت فيه القوة السلبية كان حكيماً عادياً قد يتعرض لعواصف الأهواء والشهوات المختلفة فإذا نجا منها ظل كما كان على الفطرة أي في درجة الحكمة العادية وإذا غلبه الهوى فحاد به عن صراط الطبيعة السوي نزل من درجة العادية إلى درجة العامة الذين يحدثون الشر والسوء " (٣١)

ويرى كونفوشيوس أن " الإنسان ليس إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية ، أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة : التراب ، الخشب ، النار ، المعدن ، الماء " (٣٢) .

وقد كان المفهوم الفلسفي الإنساني يتطور على امتداد عدة قرون ، لكنه لم يصل إلى حد النضج إلا على يد كونفوشيوس ، فعند سؤاله عن الأرواح أجاب : "

إذا لم يستطع المرء خدمة البشر ، فكيف له أن يخدم الأرواح ؟ وعندما سُئل عن الموت أجاب : إذا لم تستطع معرفة الحياة فكيف تستطيع معرفة الموت ؟ وأعلن أن الإنسان هو الذي يستطيع أن يجعل السراط - المبادئ الأخلاقية - عظيماً وليس السراط هو الذي يرفع من شأن الإنسان " (٣٣) .

وهنا كان يؤكد على الممارسة الأخلاقية التي تجعل من الإنسان إنساناً. بالفعل وليس بالطول والعرض - وقدم مفهوماً جديداً للإنسان الكامل الذي دعاه ب ( تشون تزو ) الذي كان يدل على الحاكم ، لكنه أعطى المصطلح معنىً جديداً ، قصد به الرجل الكامل أخلاقياً والذي هو الإنسان المتسامي أو الملهم .

والإنسان الملهم هو " ابن السماء الذي يحرس الصراط السوي ويرعاه بفضائله في جميع أحوال الوجود وهو مشتمل على سر إلهي عظيم .. وعنده أن حكمة وجود الحكيم الموحى اليه هي إذاعة قانون السماء والسهر على تنفيذه وانقاذ بني الإنسان من الخروج على الصراط السوي وما ذلك إلا رحمة بهم وإشفاقاً عليهم " (٣٤) .

والسبب في ذلك الإشفاق هو أن لا ينحرفوا عن الصراط السوي عن الواجب الأخلاقي الذي من خلاله يتم انقاذ الإنسانية من الدمار والاضطراب بالحرص على تنفيذه والاحتفاظ بتعاليمه .

لقد اهتم بالكيف دون الكم " فمقياس حياة الإنسان ليس كم طول عمره ولكن كيف كان نصيبها من الصلاح " (٣٥) .

ولا ينبغي للإنسان أن يكون عادياً ، بل عليه أن يتفوق من خلال إنسانيته ومن خلال الأخلاق الذي يتحلى بها والتي يعيش بها ولها ومن خلاله كي يصبح إنساناً سامياً ومتعالياً على من هم دونه أخلاقاً وإنسانية أيضاً .

### الإنسان المتسامي أو الأعلى :

يفرق كونفوشيوس بين الإنسان المتسامي ، الذي تسيّره أخلاق الواجب وبين الإنسان الذي يتبع غرائزه فتتنحط به إلى أدنى من منزلة الحيوانية ، فالأول هو الإنسان " الحكيم والمحب والشجاع صاحب التجارب في الحياة ، يقف في خشوع في حضرة السماء ويستوعب مشيئتها ، يركز جهوده على المبادئ الأساسية ولا يهتم بإشباع شهواته .. ليس بالوعاء الذي ينفع لمهمة واحدة وليس إمعة مع أو ضد ، بل يتخذ الموقف الصائب ، يقرأ كثيراً دون أن يخرج عن آداب السلوك " (٣٦) .

ذلك يعني أن الإنسان المتسامي الذي يحمل تلك الصفات ، ليس إنساناً عادياً ، إنه الإنسان الفيلسوف الذي يلمّ بكل المعارف والعلوم - وليس بالوعاء الذي

ينفع لمهمة واحدة بحسب تشبيهه - الذي يتخذ موقفاً مسئولاً بناءً على قناعاته التي يملئها الواجب - ويسمى المثقف الملتزم بحسب جرامشي - والذي لا تغيره القراءة الكثيرة فيخرج عن قواعد السلوك العام ، لأنه يرى نفسه مختلفاً . من وجهة نظري أن كونفوشيوس كان يصف نفسه ويُرِيد من الآخرين أن يكونوا مثله وان يحذو حذوه وتلك الصفات التي ذكرها تنطبق على الأنبياء فقط الذين اصطفاهم الله وطهرهم تطهيراً .

وقد حدد بدقة ما يعنيه بالإنسان المتسامي ، عندما قارنه بالإنسان الغرائزي بالقول : " الإنسان المتسامي يجبه البر ، بينما الإنسان الغرائزي توجهه المنفعة ، يتطور الإنسان المتسامي تصاعدياً بينما يتطور الإنسان الغرائزي تنازلياً ، يسعى الإنسان المتسامي إلى أن يتم الصفات الحميدة في الآخرين ، بينما الإنسان الغرائزي لا يفعل ذلك .. أهم فضائل الإنسان المتسامي هي الإحسان والمروءة والإنسانية " (٣٧) .

وقد جمع كونفوشيوس صفات الرجل المتسامي - أو الأعلى أو الماجد كما يحلو للبعض ترجمتها - في عبارته التالية :

" يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقلبها في فكره ، فإما عيناه فهو يحرص أن يرى بوضوح .. وأما من حيث وجهه فهو يحرص أن يكون بشوشاً ظريفاً وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقوراً وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصاً وفي تصريف شئون عمله يحرص أن يبذل فيع عنايته وأن يبعث الاحترام فيمن معه وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس وإذا غضب فكر فيما يجره غضبه من الصعاب وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة " (٣٨) .

لقد أضاف مفهوماً جديداً للإنسان المتسامي ، لم يكن متواجداً قبله ، هو الإنسان المرتبط بالأخلاق ، ذلك المفهوم للإنسان المتسامي يقربه من مفهوم النبوة ، ألم يقل النبي الكريم محمد ﷺ : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وهذا ما ذكره كونفوشيوس من ضمن صفات الإنسان المتسامي أن يتم الصفات الحميدة في الآخرين وهذا يعني أنه ربما يقصد بذلك المفهوم الإنسان النبي - لأن تلك الصفات لا تنطبق سوى على الأنبياء والله أعلم .

وهكذا عرفنا أن كونفوشيوس أهتم بالأخلاق اهتماماً شديداً وأنشأ فلسفة اخلاقية تركز على بناء الفرد الصالح داخل الأسرة والأسرة الصالحة داخل المجتمع والمجتمع الصالح داخل الأمة ، من خلال القدوة الحسنة في الأقوال والأفعال وخصوصاً من هم في مركز القيادة والحكم .

## قائمة المراجع :

- (١) ينظر : انيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد .المكتب المصري الحديث / القاهرة .( د - ت ) ص ٣٢ .
- (٢) حبيب سعيد : أديان العالم . دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة . ( د - ت ) . ص ١١٦ .
- (٣) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الخامس ص ٣٩١ . سابق .
- (٤) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان ٤٥٩ . سابق .
- (٥) انيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد . ص ٣٢ . سابق .
- (٦) ينظر : عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٣٣ . سابق .
- (٧) ينظر: فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الرابع . دار التكوين / دمشق . ط ٤ / ٢٠١٧ م . ص ٣٤٣ سابق .
- (٨) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان ٤٥٣ . سابق .
- (٩) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الرابع . ص ٤٤٣ . سابق .
- (١٠) ينظر: المرجع السابق : ص ٣٤٦ .
- (١١) ينظر : محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ٢٤٧ . سابق .
- (١٢) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٣٨ . سابق .
- (١٣) محمد أبو زهرة : مقارنة أديان : الديانات القديمة . دار افكر العربي / القاهرة . ط / ١٩٦٥ م . ص ٩٠ .
- (١٤) ينظر : حبيب سعيد : أديان العالم . ص ١٢٠ . سابق .
- (١٥) ابو زهرة : مقارنة أديان : الديانات القديمة . ص ٨٨ . سابق .
- (١٦) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ١٣٩ . سابق .
- (١٧) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٦٢ . سابق .
- (١٨) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٤٠ . سابق .
- (١٩) محمد ابو زهرة : مقارنة أديان : الديانات القديمة . ص ٨١ . سابق .
- (٢٠) ينظر: عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . سابق ص ٢٢٣ . سابق .
- (٢١) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٦٢ . سابق .
- (٢٢) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٤٠ . سابق .

- (٢٣) حبيب سعيد : أديان العالم . ١٢٠- ١٢١ . سابق .
- (٢٤) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٦٤ . سابق .
- (٢٥) ينظر : فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الرابع ص ٣٤٩ سابق .
- (٢٦) محمد ابو زهرة : مقارنة أديان : الديانات القديمة . ص ٨٧. سابق .
- (٢٧) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ٢٥٦ . سابق .
- (٢٨) ينظر : محمد ابو زهرة : مقارنات الأديان . ص ٩١ . سابق .
- (٢٩) المرجع السابق : ص ٩٢ .
- (٣٠) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان ٤٥١ . سابق .
- (٣١) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ٢٥٨ . سابق .
- (٣٢) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان ٤٦٤ . سابق .
- (٣٣) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الرابع . ص ٣٤٦ . سابق .
- (٣٤) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ٢٥٩ . سابق .
- (٣٥) هـ . ج . كريل : الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ما توشي تونج . تر : عبدالحميد سليم . الهيئة المصرية للتأليف والنشر / القاهرة . ط / ١٩٧١ م . ص ٥٤ .
- (٣٦) فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان / الكتاب الرابع . ص ٣٤٧ سابق .
- (٣٧) المرجع السابق نفس الصفحة .
- (٣٨) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٦٧ . سابق .

## الفصل الثالث : الديانة الهندوسية

### مدخل :

هي الديانة السائدة في الهند ونيبال ، أتباعها يربون على المليار نسمة، منهم ٨٩٠ مليون نسمة يعيشون في شبه القارة الهندية ذات الـ ٩٦% من تعداد الهندوس في العالم وتعتبر بذلك ثالث أكبر ديانة انتشاراً في العالم بعد المسيحية والإسلام .

لا يوجد تعريف موحد للهندوسية بسبب أنها تعود لأكثر من مؤسس فليس هناك طريق واحد للخلاص لديهم بل توجد طرق متعددة لذلك .

وتتعدد أهدافها تبعاً للأجزاء المختلفة في النصوص التي كُتبت على مر العصور وبعد التعمق في دراستها ، نكتشف أنها لا تتبع نبياً بعينه و لا تعبد إلهاً واحداً و لا تؤمن بمفهوم فلسفي واحد و لا تتبع نمطاً موحداً للشعائر الدينية، وهي لا تمثل في الواقع المظاهر المتعارف عليها للأديان، إنها فقط أسلوب حياة ولذلك لا يمكن تعريفها، يمكن فقط اختبارها و هذا يجعل من الصعب تعريف الهندوسية كديانة طبقاً للمعايير الغربية .

### أصل المصطلح ومعناه :

أصل مصطلح الهندوسية يعود إلى كلمة هِنْدُو وهي كلمة فارسية الأصل و هذه الكلمة ليست وصفاً للديانة الهندوسية بل استخدمها الفرس ليشيروا للقوم الذين يسكنون ما وراء نهر السند في الجزء الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية، وأول ما ورد ذكرها كان في كتاب الريحفدا - الكتاب المقدس بالنسبة للهندوس - ويقصد بها بالهندية النظام الاجتماعي الرباعي والروحي .

وباللغة السنسكريتية تعني لغة الملائكة، وهي اللغة التي دون بها كتاب الفيدا وهو لدى الهندوس بمثابة القرآن والإنجيل المسلمين والمسيحيين .

ويمكن اعتبار الهندوسية مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، ولا يوجد لها مؤسس معين تنتسب إليه شخصياً وإنما تشكلت عبر امتداد كثير من القرون وهي في الحقيقة ليست ديانة واحدة بل هي أسرة من الديانات وكلمة " هندوسية يجب أن لا تحمل معنى أن الهندوس قد وضعوا ديانتهم في نظام مكتمل من العقائد يقف جانباً باعتباره مقياساً لمدى استقامة إيمانهم ، فالهندوسية تتصف بدلاً من ذلك بالمرونة والتغيير ، إنها تستوعب الديانات الحية للناس الذي يسمون أنفسهم هندوساً " (١) .

والهندوسية هي فلسفة في النظرة للحياة أكثر مما هي " مجموعة من العقائد والمعتقدات ، تاريخها يوضح استيعابها لشتى المعتقدات والفرائض والسنن وليست لها صيغ محدودة المعالم ولذا تشمل من العقائد ما يهبط بها إلى عبادة الاحجار والاشجار وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة " (٢) .  
وأطلق عليها أيضاً البرهمية - وفق لفظ قدماء المؤلفين العرب - ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد " نسبة إلى براهما ومنه اشتقت كلمة البراهمة لتكون علماً على رجال الدين الذين يعتقد أنهم يتصلون في طباعهم بالعنصر الإلهي وهم لذلك كانوا كهنة الأمة ، لا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم وعلى أيديهم " (٣) .

(و براهما ) اسم الله في اللغة السنسكريتية ويمثل لديهم ما يمثله الله سبحانه وتعالى في الديانات التوحيدية وهو في نظرهم " جوهر الكون والحقيقة بأكملها السائدة في كل الأشياء والمتداخلة في كل الأشياء ويسمى الذات السامية وليس لهذا الجوهر صفات ولا يوصف إلا بأوصاف سلبية .. براهما ليس خالقاً فهو فكرة ذهنية أكثر منه إرادة عاملة " (٤) .

وتعود الأصول المباشرة للهندوسية إلى ديانة الفيذا التاريخية منذ العصور القديمة في الهند، ولذلك فكثيراً ما يطلق عليها أقدم ديانة حية في العالم وتضم الديانة الهندوسية القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله وأهم ما أدخله كهنة الهندوس على الدين الفيدي القديم من تجديد هو " وجوب تقديس رجال الدين ووضعهم في الصف الأول في الأمة ، بل واعتبارهم العمود الفقري للحياة الاجتماعية كلها .. والسبب أنهم الذين يملكون التأثير على الآلهة وقد لقبوا بالآلهة الإنسانيين .. وإكرامهم في مقدمة أنواع العبادات واهانتهم والإساءة اليهم من كبريات الجرائم " (٥) .

#### أهم كتب الهندوسية وأشهرها :

للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم، غريبة اللغة وقد ألفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح وكلها مقدسة عندهم، وأهمها:

١ - الفيذا : (veda) " وهي أهم وأشهر وأقدم الكتب الدينية الهندية على الإطلاق ، وهي كلمة سنسكريتية، معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الأريين ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، وهي تتألف من أربعة كتب :

- ريج فيدا وهي من ملحقات الفيديا .  
 - والياجور فيدا منظومة نثراً مخصصة لتوفير التكريس والانقطاع للعبادة والصلوات والابتهالات المصاحبة للاستعمال التبتلي للريج فيدا .  
 - الساما فيدا وهي مجموعة من الاناشيد الايقاعية المخصصة لتأديتها من قبل الكهنة المغنون .

- الأثارفا فيدا وهي أكثر استقلالاً من غيرها وتعتبر كنزاً من الفتنة والسحر والكهانة من الماضي السحيق وقد عبرت عن جوانب من التجربة ، بقيت غير واضحة في الريج فيدا ، مثل الخوف والرغبة والغضب والبغض والشدة البدنية وكذلك الجهد الإنساني المبذول لتعديلها (٦) .

٢ - مها بهارتا : ملحمة هندية تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان، ومؤلفها " وياس " ابن العارف " بوسرا " الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق.م، وهي تصف حرباً بين أمراء من الأسر المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب؛ . كما تروي الأساطير الموجودة في كتبهم (٧) .

### التوحيد والتعددية في الهندوسية :

في الفكر الديني الهندوسي نجد نزعتان متلازمتان ومختلفتان حول الإله : نزعة الوحدانية ونزعة التعدد والأخيرة أكثر انتشاراً بينهم ، فقد عبد الهنود - ولا يزال البعض منهم يفعلون ذلك حتى الآن - قوى الطبيعة المختلفة وكانوا يعتبرونها آلهتهم ويدعونها لتبارك لهم في ذريتهم وأموالهم وتنصرهم على أعدائهم ولذلك يتجه الميل لديهم للتفاضل بين آلهتهم المختلفة والتفكير في كل منها وكأنه أسمى من غيره ، ولا تزال فكرة تعدد الآلهة هي الغالبة حتى اليوم عندهم . فقد كثرت الآلهة عندهم كثرة زائدة عن الحد ، لكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً إلى التوحيد - أو إلى اتجاه قريب منه - فربما يتقربون لإله من آلهتهم ويقبلون عليه بكل عواطفهم وجلّ ميولهم حتى ينسوا بقية الآلهة ويصير إلههم هو ذلك الإله لا غير ، فيسمونه بكل اسم حسن ويصفونه بكل صفة كمالية ويخاطبونه برب الأرباب وإله الآلهة تعظيماً وإجلالاً - لا تحقيقاً وإيقاناً - فتعبير رب الأرباب أو إله الآلهة ، كان إطلاقه تعظيماً في البداية ، لكنه أصبح ثابت المعنى ، فقد اعتقدوا أن في صف الآلهة رئيساً ومرووسين وأمراً ومأمورين وأن الرئيس والأمر هو وحده رب الأرباب وإله الآلهة وهذا وصف ثابت لا ينتقل لسواه والكائنات كلها تحت يده وسائر الآلهة تحت أمره (٨) .

يقسم البيروني الهندوس في اعتقادهم ببراهما ( الله ) إلى خاصة وعامة ويرى أن العامة وثنيون ، أما الخاصة فأنهم موحدون ، يقول في ذلك : " يختلف اعتقاد الخاص والعام في كل أمة بسبب أن طباع الخاصة ينازع المعقول ويقصد التحقق في الاصول وطباع العامة يقف عند المحسوس ويقتنع بالفروع ولا يروم التدقيق وخاصة فيما أفتنت فيه الآراء ولم يتفق عليه الأهواء " (٩) .

وبرهما هو اسم الله في اللغة السنسكريتية وهو عند البراهمة " الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس ولا يدركه العقل وهو مصدر الكائنات كلها ، لا حد له وهو الاصل الأزلي المستقل الذي يستمد منه العالم وجوده " (١٠) .

وكما يقال أن الأديان جميعها " طرق ووسائل للوصول إلى الله ولكن الأديان ليست هي الله ، الله واحد في جميع الديانات والمذاهب ولكن اسماءه تختلف ، فالماء هو نفسه في أي مكان في العالم تطلق عليه أسماء مختلفة " (١١) .

وقد بين البيروني اعتقاد الخاصة منهم في الله - من خلال ايراده من كتبهم - بأنه: " الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحيي المدبر المبقي الفرد في ملكوته عن الاضداد والانداد لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء " (١٢) .

و تعود فكرة التوحيد لديهم إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، من خلال جمعهم لأسماء صفات الإله في إله واحد - كما يحاول المسيحيون تفسيرهم للقول بالتثليث - فقد " جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا أنه هو الذي خلق العالم وهو حافظ له وهو يهلكه وكانت الأسماء الثلاثة له : فهو براهما الخالق وشيفا المهلك وفشنو الحافظ وهنا يظهر لنا تأثير المسيحية بما قدمه الكهنة الهنود في مسألة التثليث في وحدة ووحدة في تثليث " (١٣) .

فبراهما هو رأس الثالوث المقدس لدى الهندوس ، فهو خالق العالم منذ البداية ، بدأت منه الآلهة و تعود إليه في نهاية المطاف لأنه منشئها وقد أطلقوا على آلهتهم ثلاثة أسماء " فهو براهما من حيث هو موجد وخالق للعالم وهو فشنو من حيث هو حافظ للعالم وموجوداته وهو أيضاً شيفا المهلك والمدمر للعالم وما فيه ومن هذه التعددية في الوحدة ظهر التثليث في الهندوسية " (١٤) .

وهكذا عادوا إلى توحيد آلهتهم في شخص براهما ورجعوا إليه في كل شيء ، فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى ، فلا يوجد فارق بينها ، فالآرباب المتعددة لديهم - كما يرى البعض - ما هي إلا " رمز لوجود وواقع اسمى لإله مجرد وأن تجليات هذا الإله وحلوله في بعض الصور

ليس في الحقيقة أكثر من تواضع منه ليتواصل مع سائر الموجودات المعلولة له لعلة الوجود والمنبثقة منه مع الاحتفاظ بوجهه المستقل عنها " (١٥) .

البعض يرى أن تسميات الإله الواحد بأسماء متعددة ، يعتبر توحيداً لا ضير فيه - وتشبه الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى - والبعض يرى أنه ليس كذلك ، بل هو " مبدأ التفريد للإله الأعظم لا عقيدة التوحيد ، لأنهم لم يفرّدوا براهما في العبادة والخلق والاعتقاد وإنما كان اعتقادهم شبيهاً باعتقاد عرب الجاهلية ، حيث كانوا يعتقدون بإله خالق لكل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى " (١٦) .

وهذا الرأي فيه الكثير من الوجاهة والاعتبار ، لأنه شخص واقعهم بشكل تشبيهي قربه من الأذهان .

والملاحظة الجديرة بالذكر أنه على الرغم من كثرة آلهة الهندوس ومعبوداتهم وتباينها ، لا نجد بين طوائفهم شقاً ولا نزاعاً وذلك يرجع لديهم في أن " كل الصور المعبودة من ابقار وأناس وجمادات ما هي إلا أجزاء أو صور للإله الكامن في الوجود بكل ما فيه " (١٧) .

ويعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد تحل في الانسان فيسمى افاتار - ككرشنا على سبيل المثال - " فالآفاتار أو التجسدات المتنوعة للآلهات النازلة على الأرض من أجل مساعدة من يعيشون عليها وتأمين القليل من النظام في مجتمع يشكو في المحصلة من الاضطراب " (١٨) .

وهذا تصور أسطوري ، الغرض منه تجسيد فكرة قرب الإله من الناس وخصوصاً وقت الشدائد والهدف منه منح الهندو الثقة بوجود الإله القريب منهم وخصوصاً في حياتهم البائسة التي يعيشونها .

### المعتقدات الهندوسية:

تظهر معتقداتهم بشكل واضح فيما يسمى بالهندية الكارما - قانون الجزاء والثواب والعقاب بحسب المصطلح الإسلامي - وفي تناسخ الأرواح بعدها تأتي مرحلة الانطلاق وتتوحد المراحل السابق بما يسمى وحدة الوجود ولا يمكن فهم كل مصطلح منها إلا بمعرفة المصطلح الذي يسبقه وسوف نتناول كل من تلك العقائد في الصفحات التالية .

١ - الكارما : ويعني لديهم قانون الجزاء والثواب أو العقاب على كل عمل قام به الإنسان ويعتبر نظاماً إلهياً قائماً على العدل المحض، الذي سيقع لا محالة، إما في الحياة الحاضرة في الدنيا - أو في الحياة الآخرة يوم القيامة - وجزاء الأعمال التي تزرعها النفس في حياتها الحاضرة ، تقطف ثمرتها في حياة

أخرى، والأرض هي دار الابتلاء، كما أنها دار الجزاء والثواب بالنسبة للهندوس الذين أدركوا أن الجزاء في هذه الحياة الحاضرة لا ينسجم مع العمل ولا يتكافأ معه ، لذلك ابتكروا نظرية التناسخ لحل تلك الإشكالية .

٢ - تناسخ الأرواح: من الأشياء الراسخة في جميع الديانات الهندية ، فكرة تناسخ الأرواح وانتقالها بعد موتها " كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والإسبات علامة اليهودية كذلك التناسخ عَلمُ النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها " (١٩) .

يرجع القول لديهم بالتناسخ - أو تكرار الولادة في جسد آخر - لاعتقادهم أن الحياة قصيرة ولا تستطيع فيها النفس أن تحقق كل رغباتها وشهواتها في حياة واحدة وبجسد واحد ، فكل نفس خرجت من جسدها السابق ، لا تزال لها رغبات وشهوات لم تتحقق ومرتبطة بالعالم المادي الذي كانت فيه وعليها أن تحققها في جسد آخر - قد يكون جسد إنسان أو حيوان أو نبات - يتحدد نتيجة أعمالها في حياتها الأولى بحسب قانون الكارما .

وهناك سبب آخر في القول بالتناسخ يعود إلى أن النفس خرجت من الجسد ولها وعليها ديون كثيرة للآخرين ، يجب أن تؤديها وأن تدفعها في حياة أخرى وفي جسد آخر ، فهم يعتقدون أن الإنسان إذا مات يفنى منه الجسد وتنطلق روحه لتتقمص وتحل في جسد آخر ونوع الجسد الجديد يتحدد بحسب قانون الكارما وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة ، فالروح لديهم " أبدية الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلفٍ وعدم ، بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يعضها ولا ريح تُببسها ، لكنها تنتقل عن بدنها إذ عتق نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس " (٢٠) .

لقد قامت عقيدة التناسخ عند الهندوس على ثلاث دعائم رئيسية هي :

١- اعتقادهم بخلود الأرواح .  
٢ - اعتقادهم أن الروح بعد مزاولة الجسد تكون في حنان دافع إلى الأجسام ، لما أنطبع فيها من المحسوسات وأثر فيها من الماديات وإن كان ذلك التأثير قد عكر صفاءها وكدر نقائها .

٣- أن النفس في بقائها في الجسم تحيط علماً بالجزئيات وهي في تنقلها من جسم لآخر تستفيد من كل جسم علماً جديداً بجزئيات لم تكن تعلمها (٢١) .  
وليس من المعقول لديهم أن تحيط النفس علماً بكل الجزئيات ببقائها مدة قصيرة في جسم واحد ، من أجل ذلك احتاجت " لتتبع الجزئيات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددتها المتناهي كثرة والاثبات على الكثرة مضطرة

إلى مدة ذات فسحة ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والاحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة " (٢٢) .

ولا يكون ذلك لديهم إلا من خلال التناسخ ودورات الحياة المتعددة للروح . والهندوس يطلقون على عودة الروح إلى جسد أنسان آخر بعملية " النسخ أما إذا جاءت إلى جسد حيواني فيطلقون عليه ( المسخ ) ويطلقون على مجيء الروح إلى نبات أو شجرة الفسخ ولكن إذا عادت الروح إلى جماد فيطلقون عليه الرسخ " (٢٣) .

وكي تتخلص الروح من دورة حياتها المتكررة ، عليها أن تحسن العمل كي تتحرر من التناسخ وتنطلق من خلال التأمل والزهد لتتحد مع براهيم في نهاية المطاف .

### ٣- الانطلاق:

يأتي نتيجة أدراك الروح ، ضرورة التخلص من التناسخ ، بعدما أدركت بالتجربة أن صالح الأعمال وفسادها ينتج عنه حياة جديدة متكررة لتثاب فيها الروح أو لتعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة ، والانطلاق يمثل " محاولة النفس الإفلات من دورات تجوالها ونتائج اعمالها .. وذلك من خلال الاندماج مع براهيم كما تندمج قطرة الماء في المحيط الضخم وهدف الحياة الأسمى هو الانطلاق عن طريق الاستنارة الإلهية " (٢٤) .

وتلك الاستنارة الإلهية لا يصل إليها الهندوسي إلا بعد معاناة عبر طريق يمر بالتأمل في الحياة والزهد فيها ويتوج بالتصوف وعندها تصبح الروح لا ترغب في شيء - ولن ترغب في شيء - وتتحرر من رق الأهواء وتصل لمرحلة الطمأنينة وعندما تطمئن الروح ، لا تعاد للجسد وتتصل بالحواس مرة أخرى، بل تنطلق لتتحد بالبراهما والهدف الذي يسعى وراءه الهندوسي هو الوصول إلى مرحلة الانطلاق - تسمى النيرفانا في البوذية - والذي يعني : تحرر الروح من الجسد من أجل الاتحاد بالإله براهيم ويكون ذلك " بالعمل الجيد الصحيح الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقاته حتى يصل إلى أعلى الطبقات ويستمر بعمله الصالح لتنتقل روحه بعد ذلك إلى الاتحاد مع براهيم " (٢٥) .

وعندما تتحد الروح بالبراهما يحل فيها الباهما لتصل إلى مرحلة وحدة الوجود التي يحصل فيها الاندماج بين الخالق والمخلوق ، وسوف نحاول أن نقرب الفكرة إلى ذهن القارئ قدر الإمكان .

## ٤- وحدة الوجود\*:

وصل التجريد الفلسفي لدى الهندوس إلى أن الإنسان يستطيع أن يتحد مع الآلهة، وتصير النفس هي عين القوة الخالقة بالنسبة لهم ويرى فقهاء الهندوس أن العلاقة بين الإله براهما وسائر الموجودات تشبه علاقة " انبثاق الضوء عن الشمس وأن الصلة بين الروح الإنساني والروح الإلهي هي الصلة التي تربط البذرة بالشجرة ومن ثم يكون الموت هو بداية رحلة التطهر التي تسلكها الروح للعودة مرة ثانية للاتحاد بالله صاحب القوى الثلاث : الخلق والحفظ والهلاك ... وذلك لأن المعبود وثناً كان أو حيواناً أو إنساناً ما هو في حقيقته إلا جزء من الإله ومن ثم ليس هناك شركاً أو الحاداً في تغيير المعبود أو تفضيل إله على غيره ويفسر هذا الاعتقاد سبب عزوف الهندوس عن الحرب والقتال وتحريمهم قتل الحيوانات والحشرات بحجة أنها إحدى تجليات الإله.. ويبرر كذلك عدائهم للمسلمين الذين يذبحون الأبقار وهي من أكبر معبوداتهم " (٢٦) .

يعتقد الهندوس أن الروح كالألهة - لأنها بعض منها - أزلية سرمدية، مستمرة وأن العلاقة بين الإنسان والآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة وكالعلاقة بين قطرة الماء والمحيط الذي

\* يمكن اعتبار المتصوف محيي الدين ابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) هو المؤسس الحقيقي لمذهب وحدة الوجود بشكله الفلسفي المكتمل في الفكر العربي الإسلامي ، إذ أن جميع الذين سبقوه " كانت لديهم اتجاهات متفرقة حول وحدة الوجود ، وجميع الذين أتوا من بعده كانوا متأثرين به أو ناقلين عنه " .

وهو الذي وضع مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية المكتملة ووضع له مصطلحا صوفيا كاملا استمدته من كل المصادر التي أمكنه الأخذ منها ، فلم يظهر ذلك المذهب في صورته الكاملة في الفكر العربي الإسلامي قبله ، فهو المؤسس لمدرسته والمفصل لمعانيه ومراميه والمصور له بتلك الصورة النهائية التي أخذ بها كل من تكلم عن المذهب من المسلمين من بعده .

فالمتكلمون والفلاسفة يرون أن هناك وجودين منفصلين هما : واجب الوجود (الله) وهو ما كان وجوده بذاته ولذاته وهو أبدي أزلي، وممكن الوجود (ما سوى الله) وهو ما وجد لسبب وهو مُحدث . هذا الكلام يعود إلى القول باثنينية الوجود ، أي: وجود الله ووجود العالم بما فيه من مخلوقات، فالله خالق والعالم مخلوق والله مدبر والعالم مُدبر وليس الله حالاً في العالم وإنما خالقه ومدبره . لقد استخدم ابن عربي مفهوم وحدة الوجود ليحل التناقض - الذي أوجده المتكلمون والفلاسفة - بين الوحدة المطلقة للذات الإلهية والاتصال الصوفي بها ، لقد لجأ إلى ذلك المفهوم " - عن وعي أو عن غير وعي - لحل التناقض الداخلي الذي يعانيه مفهوم (التوحيد) الصوفي . لأن هذا التناقض أوقع

يحتويها ، ويعتقدون كذلك هذا الكون كله ليس إلا مظهراً وتجلياً للوجود الحقيقي للإله، والروح الإنسانية هي جزء من الروح العليا وهو ما تم التعبير عنه بوحدة الوجود ، وبناء على تلك النظرية يمكن أن نفهم الكثير من العادات الهندية منها : أن الهندوسي لا يرى فارقاً " بين الإنسان والحيوان ، لأن كلاً منها روح ، فالأرواح تمضي منتقلة دائماً بين الحيوان والإنسان .. وتتمتع البقرة في كل هذه الحيوانات جميعاً بقداسة تعلق على أي قداسة ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين ولها الحق في الانتقال من مكان إلى مكان ولا يجوز للهندوسي أن يسمها بأذى أو يذبحها وإذا ماتت ذبحت بطقوس دينية " (٢٧)

### النظام الاجتماعي الطبقي :

نشأ النظام الطبقي في الهند نتيجة لتعايش الآريين - القادمين إليها كغزاة من الشمال - مع السكان الأصليين ومعنى ذلك أنه نشأ على أساس الجنس أو العرق

.....  
 الصوفية في مازق يضعهم أما خارج الاسلام أو خارج التجربة الصوفية نفسها " لقد حاول أن يقدم حلاً للمشكلة التي كانت قائمة في الفلسفة العربية الإسلامية ونعني بها مشكلة التنزيه والتشبيه، فلم تعد تلك المشكلة مسألة لاهوتية بل تحولت إلى قضية انطولوجية فلسفية عامة نظر إليها نظرة جدلية أكدت على وحدة التنزيه والتشبيه ، على اعتبار ان العلاقة بين الله وبين العالم ، بين الذات الإلهية وجميع الأشياء الملموسة هي علاقة الكل بأجزائه أو الجوهر بأعراضه - صفاته - هذه العلاقة تنطوي على جانبين : جانب العلو و المحايثة وجانب التنزيه والتشبيه أو - بعبارة ابن عربي - الاطلاق والتقيد  
 لقد عبارة ابن عربي الشهيرة التي قال فيها : "فسبحان من خلق الأشياء وهو عينها " أي أن حياة كل الكائنات ترتبط بالروح التي تسري فيها وتمنحها الحياة ولولا تلك الروح ما وجدت الكائنات ، وهي تشبه التيار الكهربائي الذي ينير المصابيح ، لكن الخالق يختلف عن المخلوق كما يختلف التيار الكهربائي عن المصباح الذي يظهر فيه .  
 وقد اشتهرت ابياته ابن التي عبر فيه عن وحد الوجود وتعرض لكثير من الانتقادات بسببها :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني  
 لقد صار قلبي قابلاً كل صورة .. فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ  
 وبيتٍ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآنٍ  
 أدين بدين الحب أتى توجّهت ركائبه ، فالحب ديني وإيماني \*\*

.....  
 \*\* ينظر : عرفات عبد الخبير الرميمة : مقام الإنسان في الفلسفة العربية الإسلامية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب / جامعة عدن . ٢٠١٣ م . ص ١٤١ - ١٤٢ .

، من أجل ذلك يرى البعض أن السبب في وجود النظام الطبقي التراتبي لدى الهندوس هو سبب عنصري ، يعود " إلى رغبة الغزاة الأريين القدماء في حفظ سلالاتهم نقية فلا يندسها الامتزاج بالسكان الوطنيين في بلاد الهند وهم جنس يختلف عن جنسهم ، أسمر منهم في اللون وأحط في درجة الرقي " (٢٨)

ويرى البعض أن السبب وراء ظهور ذلك النظام ، كهنوتي وليس عنصرياً و " هو استيلاء الكهنة على مراسم الدين وقصرهم إياها على طائفتهم ، فالسبب كهنوتي لا عنصري " (٢٩) .

من أجل ذلك : يؤمن الهندوسي بان الإله (براهما ) خلق المجتمع مكوناً من أربع طبقات تختلف في خصائصها وصفاتها الشخصية ووظائفها الاجتماعية واحتياجاتها الاقتصادية وتترتب تلك الطبقات على النحو الآتي :

- ١- الطبقة البيضاء او البراهمانا : خلقها الإله ( برهما ) من رأسه وهي تضم طبقة الحكام ورجال الدين والمفكرون والمثقفون على وجه العموم .
- ٢- الطبقة الحمراء أو الكشترايا : خلقها الإله من ذراعيه وتشمل الأمراء الفرسان وتضم العسكر والموظفين الإداريين في أجهزة الدولة المختلفة .
- ٣- الطبقة الصفراء ، أو الويشايا : خلقها الإله من فخذيه وتضم التجار والحرفيين واصحاب المهن المختلفة .
- ٤- الطبقة السوداء ، أو الشودرا : خلقها الإله من قدميه وتضم العمال والفقراء المنبوذين (٣٠) .

واستحدثت طبقة خامسة سببت الإزعاج للحكومة الهندية - وقامت الحكومة الهندية رسمياً بإلغاء هذه الطبقة في عام ١٩٥٠ - وهي طبقة (باريان)، أو ما يعرف بطبقة الأنجاس فتشمل أهل الحرف المتدنية وتتكون هذه الحرف من حفاري القبور وعمال نظافة دورات المياه وخلافه من أعمال النظافة .

ولكل طبقة من تلك الطبقات آداب خاصة بها ، تناسب مكانتها الاجتماعية والعمل الذي كُلف به، فمثلاً فيجب على البرهمي - الطبقة الأرقى - أن يكون وافر العقل ، ساكن القلب ، صادق اللهجة ، ظاهر الاحتمال ، ضابطاً للحواس ، مؤثراً للعدل ، مظهراً للنظافة ، مقبلاً على العبادة ، مصروف الهمة إلى الديانة . ويجب على الجندي أن يكون مهاباً شجاعاً ، غير مبالٍ بالشدائد ، حريصاً على خوض الخطوب ، لا يخشى الأخطار ، ويجب على المزارع والتاجر والحرفي أن يكونوا منشغلين بمهنتهم ، مهتمين بها ، متقنين لها .

ويجب أن يكون الخدم والأسرى مجتهدين في الخدمة والتملق للناس والتحبيب اليهم ، لأن ذلك مناسب للآداب التي تتفق مع عملهم (٣١) .

وبناء على ذلك النظام الطبقي القاسي هناك عادات غير إنسانية - ما أنزل الله بها من سلطان ، إذ يعتبر مجرد لمس المنبوذ " دنساً أو رجساً .. وفي أحيان أخرى يلحق الدنس والرجس إذا مرّ به المنبوذ على بعد بضعة أمتار وتمنع بعض القواعد المؤاكلة بين ابناء الطبقات المختلفة أو تناول طعام لمستته أيدي أحدهم والخطر كل الخطر مخالفة هذه القواعد، أما التزاوج بين الطبقات فقد حُرّم من زمن بعيد وما يزال هذا الحرمان قائماً في أشد اوضاعه " (٣٢) .

والنظام الطبقي في الهند نظام مقدس - بالنسبة للهندوس وقد عززته حكومة الراج البريطاني التي جعلت من التنظيم الطبقي الصارم آلية أساسية للنظام الإداري - لأنهم يعتقدون أن الطبقات خلقها الإله براهما وبالتالي يصبح التقسيم أبدياً وغير قابل للتغيير أو التجاوز أو الإزالة ، فلا يجوز أن يرتفع شخص من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى ولا أن يتزوج امرأة من طبقة أعلى من طبقاته ولكن يجوز له أن يتزوج من طبقة أدنى من طبقاته على أن لا تكون من طبقة المنبوذين ويتبع نظام الطبقات وجود أسماء خاصة للأطفال في كل طبقة منها - تدل عليها - فالبراهمة تختار أسماء أطفالها من كلمات تدل على البهجة والكشترية تختارها من كلمات تدل على القوة والصلابة والويشيا تختارها من كلمات تدل على الغنى والثروة أما الشودراء فتختارها من كلمات تدل على ما تعانيه من الذل والمهانة (٣٣) .

وقد قسم البريطانيون الهنود في الفترة بين عامي ١٨٦٠ و ١٩٢٠ حسب طبقاتهم، مانحين الوظائف الإدارية والمناصب الرفيعة فقط لأولئك الذين ينتمون إلى الطبقات العليا ، غير أن القلاقل الاجتماعية التي وقعت في عشرينيات القرن العشرين أجبرت البريطانيين على تغيير تلك السياسة واتباع سياسة التمييز الإيجابي بتخصيص نسبة معينة من وظائف الحكومة لأبناء الطبقات الدنيا وبعد استقلال الهند، صار تقسيم الوظائف على أساس الطبقة أمراً رسمياً حسب قوائم رسمية تُدرج فيها الطبقات والقبائل المختلفة.

وقد فعلت الهند منذ سنة ١٩٥٠ عدة قوانين ومبادرات اجتماعية لحماية وتعزيز الظروف الاجتماعية لأبناء الطبقات الدنيا ، فقد حكمت المحكمة العليا الهندية بأن يكون تقسيم الأنصبه عند القبول في الكليات والجامعات والوظائف وغيرها على أساس الوراثة، ولا يُسمح بانتقال تصنيف الفرد من طبقة إلى أخرى، وتجرم المادة ١٥ من الدستور الهندي التمييز ضد الطبقات الدنيا، ورغم ذلك تقع أعمال عنف بين الحين والآخر ضد طائفة المنبوذين .

أدت تلك المبادرات الحكومية بمرور الوقت إلى تمكّن أبناء الطبقات الدنيا من الوصول إلى المناصب السياسية العليا، وكان أبرز مثال على ذلك انتخاب ك. ر. نارايانان - الذي ينتمي إلى طائفة الداليت - رئيساً للبلاد بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٢ م .

ومن التناقضات التي تلحق بالهندوسية أن الهندوسي الذي يؤمن بقانون التراتب الطبقي ، يؤمن كذلك بالقانون المسمى : الأهمسا أو اللاعنف وهو معتقد يرى " أن ازهاق حياة حيوان أو انسان تحت أي ظرف من الظروف وهو عمل آثم ويؤدي إلى ميلاد جديد في كائن حي آخر أدنى " (٣٤).

فهو يؤيد ممارسة (عدم العنف)، واحترام كل أشكال الحياة لأنه يعتقد أن الله يتغلغل في كل المخلوقات متضمنة النباتات والحيوانات بناء على وحدة الوجود التي يؤمنون بها ، من أجل ذلك نرى أن الكثير من الهندوس نباتيون - لا يأكلون اللحوم - كي يحترموا الأشكال الأعلى للحياة وتتنوع العادات الغذائية وفقاً للتجمع أو المنطقة، بعض الطوائف لديها عدد نباتيين أقل والسكان الساحليون يعتمدون على تناول الأسماك، والبعض يتجنبها .

وفي نهاية هذا العرض ، يمكن تلخيص المبادئ التي تركز عليها الديانة الهندوسية من خلال التالي :

- ١ - بنت كيانها على أساس الكارما ( قانون الجزاء أو الثواب والعقاب ) .
- ٢ - تركز على القول بعقيدة تناسخ الأرواح ، فتنقل روح الإنسان الصالح إلى جسم صالح بعد موت الجسم الأول، وليس بالضرورة انتقال الروح إلى إنسان آخر، فقد تنتقل الروح إلى حيوان أو حشرة.
- ٣- تنظر إلى الحياة نظرة متشائمة وذلك من خلال الدعوة إلى التخلص من الروح كي تنطلق وتتحد بروح براهما .
- ٤ - تدعو إلى حياة التقشف والزهد في الحياة .
- ٥ - تركز كثيراً على الفضائل .
- ٦ - تؤمن بألهة كثيرة وتركز على الإيمان بكتب الفيदा .

#### - أفكار ومعتقدات أخرى:

-الأجساد تحرق بعد الموت لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى، وبشكل عمودي، لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.

-عندما تتخلص الروح وتصعد يكون أمامها ثلاثة عوالم:

- ١ - إما العالم الأعلى: عالم الملائكة.

٢ - وإما عالم الناس: مقر الأدميين بالحلول.  
 ٣ - وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب.  
 - ليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.  
 -البعث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد.  
 -المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم،  
 وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم،  
 ولذلك قد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفادياً للعذاب المتوقع الذي  
 ستعيش فيه، وقد حرم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة.  
 ومن العادات المقيمة في الديانة الهندوسية التبكير بالزواج ، فقد كانوا يعتقدون  
 للأطفال وهم لا زالوا صغاراً يحبون على الأرض وإذا مات الولد الذي يعتبر  
 زوجاً ترملت زوجته الطفلة وأمضت حياتها أرملة حزينة عليه وكثيراً ما كانت  
 الزوجة تلقي بنفسها في النار لتحرق نفسها بنفس النار التي أشعلت ليحرق بها  
 جثمان زوجها (٣٥) .

والهندوسية من الديانات القليلة التي لم تستطع - ولن تستطيع - الديانات  
 الوافدة إلى الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها ، كما يرى الكثير من الباحثين  
 في علم الأديان والسبب في ذلك أنها متغلغلة في نفوس وعقول معتنقيها منذ  
 آلاف السنين ويتم تلقينها من الآباء إلى الأبناء منذ الصغر ، فكأن تعاليمها تحفر  
 حفرأ داخل نفوسهم وأرواحهم ولذلك لا يمكن تغييرها بسهولة .

### تعقيب :

يمكن القول أن قانون الكارما في الهندوسية الذي يقول أن كل عمل يعمله  
 الإنسان سوف يلاقه في حياة أخرى - إن خيراً فخير وإن شراً فشر - يتطابق  
 مع قوله تعالى : { يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من  
 سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً } ال عمران : ٣٠  
 وتلتقي الهندوسية مع الدين السماوي في جانب ، لكنها سرعان ما تبتعد عنه  
 وتطول المسافة بينهما ، نقطة الالتقاء هي خلود الروح وحسابها على ما قدمت  
 ، لكن الدين السماوي يرى في الروح كائناً مستقلاً بجسم ، فهو يحاسب على ما  
 ارتكب مع هذا الجسم ويتم الحساب بعد أن يعترف الإنسان بأخطائه وتشهد  
 عليه جوارحه { يوم تشهد عليهم السنتهم ... }

أما في الهندوسية فهناك انقطاع تام بين الدورتين ، الأمر الذي يعني أن الروح  
 تعاقب على ذنب لا تعرفه ولا تذكره ، الدين السماوي يرى أن الأرض هي دار

بلاء واختبار وأن الآخرة هي دار الجزاء والحساب بخلاف الهندوسية التي  
اعتبرت الحياة الدنيا دار جزاء وليس الآخرة .

لكن الشيء الذي يجعل من الهندوسية ديانة وضعية هو النظام الطبقي  
الاجتماعي الذي لا يزال سارياً حتى اليوم وهو نظام ما أنزل الله به من سلطان  
ويدل على أن وضعه هم البشر الذين أرادوا التمييز عن غيرهم وهو بخلاف ما  
ذكره الله سبحانه وتعالى عن المساواة في القرآن الكريم كما قال تعالى : { يَا

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات : ١٣ .  
والحمد لله على نعمة الإسلام أولاً وأخيراً .

#### قائمة المراجع :

- (١) فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان : الكتاب الرابع / الشرق الأقصى .  
ص ١١ . سابق .
- (٢) أحمد شلبي : مقارنة أديان ٤ : أديان الهند الكبرى . مكتبة النهضة المصرية . ط ١١ /  
٢٠٠٠ م . ص ٣٨ .
- (٣) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٢٨٨ . سابق .
- (٤) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ٧١ . سابق .
- (٥) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ١٠٤ - ١٠٥ . سابق .
- (٦) ينظر : فراس السواح : : موسوعة تاريخ الاديان : الكتاب الرابع / الشرق الأقصى  
ص ٢٩ . سابق .
- (٧) ينظر : عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٠٧ . سابق .
- (٨) ينظر : أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ٤٥ - ٤٦ . سابق .
- (٩) ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة . عالم  
الكتب / بيروت . ط ٢ / ١٩٨٣ م . ص ٢٣ .
- (١٠) ينظر : أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ٤٥ - ٤٦ . سابق .
- (١١) مصطفى الزين : الحقائق الروحية : مختارات من راما كرشنا . ص ٦٩ .

- (١٢) ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة . ص٣٩ . سابق .
- (١٣) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٢٨٩ . سابق .
- (١٤) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٣٩٩ . سابق .
- (١٥) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٠٥ . سابق .
- (١٦) سعدون محمود الساموك ، هدى علي الشمري : الأديان في العالم . ص٣٥ . سابق
- (١٧) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٠٥ . سابق .
- (١٨) كلود ب . لفسون : البوذية . تر : محمد علي مقلد . دار الكتاب الجديد المتحدة / فرنسا . ط١/٢٠٠٨م . ص٣٠ .
- (١٩) ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة . ص٣٩ . سابق .
- (٢٠) المرجع السابق : ص٤٠ .
- (٢١) ينظر : محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان : الديانات القديمة . ص ٤٤ . سابق .
- (٢٢) ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة . ص٣٩ . سابق .
- (٢٣) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٤٠٣ . سابق .
- (٢٤) حبيب سعيد : أديان العالم . ص٧٥ . سابق .
- (٢٥) سعدون محمود الساموك / هدى علي الشمري . : الأديان في العالم . ص ٣١ . سابق .
- (٢٦) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٠٩ . سابق .
- (٢٧) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٠١ . سابق .
- (٢٨) حبيب سعيد : أديان العالم . ص٧٢ . سابق .
- (٢٩) محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ص ١٠٣ . سابق .
- (٣٠) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . من ص ٤١٣ إلى ص ٤١٦ . سابق
- (٣١) ينظر : محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان : الديانات القديمة . ص ٤٦ . سابق .
- (٣٢) حبيب سعيد : أديان العالم . ص٧٣ . مرجع سابق .
- (٣٣) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . من ص ٤١٣ إلى ص ٤١٤ .
- (٣٤) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١١٤ . سابق .
- (٣٥) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص٢٤٩ . سابق .

## الفصل الرابع : البوذية

### مقدمة :

تنسب البوذية إلى مؤسسها ( سدهارتا جوتاما ٥٦٠ - ٤٨٠ ق. م و الملقب ببودا) تم تأسيسها عن طريق التعاليم الشفوية التي تركها بودا .  
 بودا ليس اسم علم على شخص إنما هو لقب أطلقه ( جواتاما ) على نفسه عندما وصل إلى معرفة الحقيقة وسأله أتباعه : هل أنت إله أو ملاك؟ قال : لا ، قالوا إذا أنت قديس؟ قال : لا ، قالوا من أنت إذا؟ أجاب : أنا بودا .  
 وتعني كلمة بودا بلغة بالي الهندية القديمة : الرجل المتيقظ - وتترجم أحيانا بكلمة المستنير - وبودا تعني العالم ويلقب أيضاً بسكيا موني ومعناه المعتكف .  
 والتتاجانا أي الغامض وتعني كذلك : المُلهم ، العارف بالحقائق ، صاحب الإشراق ، وقد عده مايكل هارت - صاحب كتاب الخالدون مائة - الرابع في الترتيب بعد النبي محمد ﷺ واسحق نيوتن والمسيح .  
 تقول الأسطورة البوذية : أن روح بودا خالدة خلود الدهر وعندما يموت ، يموت جسده فقط وتنتقل روحه لأحد المواليد الجدد من أتباع البوذية ليصبح بودا عصره وبودا هذا العصر هو ( الدلاي لاما ) الزعيم الروحي للبوذية في إقليم التبت الواقع بين الهند والصين .  
 نشأت البوذية في شمالي الهند والتبت وانتشرت بالتدرج في أنحاء آسيا في سريلانكا، ثم إلى الصين، ومنغوليا، وكوريا، فاليابان .  
 تعتبر البوذية من الديانات الرئيسية في العالم، فهي رابع أكبر ديانة في العالم - بعد المسيحية والإسلام والهندوسية - ويصل تعداد أتباعها إلى أكثر من ٥٢٠ مليون نسمة، أي أكثر من ٧% من سكان العالم ويعرف أتباعها باسم البوذيين .  
 ويمكن اعتبار البوذية حركة الحادية عن الديانة الهندوسية وهي أقرب في تعاليمها إلى حياة التصوف والزهد والتقشف - أكثر منها ديانة طقوس شعائر وعبادات - مع إيمانها بعقيدة الهندوس الروحية حيث التناسخ والكارما .  
 وقد سعت منذ نشأتها إلى البحث عن طريق الخلاص من الدورات اللانهائية للروح ( ما يعرف بالتناسخ ) وذلك عن طريق تأمل الذات والتقشف والزهد في الحياة <sup>(١)</sup> .  
 تجدر الإشارة إلى أن اللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية (بودا) هو "بودا"، بالذال، وليس بالذال كما يتم كتابته خطأً في جل المراجع العربية .

وسوف نحاول تتبع مسيرة حياته لمعرفة حقيقته وحقيقة ما أتى به .  
**نشأة بودا والمراحل الأربعة :**

تباينت واختلفت الآراء حول حقيقة بودا ، فيزعم أحد الباحثين في فلسفة الدين أنه شخصية أسطورية - وليست حقيقية - خلفتها الآداب الشعبية ويرى آخر أنه " أحد أنبياء الله المرسلين وزعم أنه مذكور في القرآن في سورة التين إذ رمزَ الله في قسمه بالتين إلى بودا وبالزيتون إلى عيسى عليه السلام وبطور سينين إلى موسى وبالبلد الأمين إلى سيدنا محمد " (٢) .

ويرى بعض الباحثين الغربيين أنه نبي وأن ما نزل عليه تحت شجرة الإشراق كان وحياً من الله مع أن بودا صور ما حدث له بأنه صوت حادثة وقعت له (٣) وقد نسجت بعد موته العديد من الأساطير، مثل ولادته من أم عذراء وظهور نجم في السماء بشرّ بقدمه وتحذته في المهد وحديثه مع الشيطان الذي انتهى بانتصاره ، ووقوع زلزال عند وفاته وتم تأليهه بعد ذلك من قبل أتباعه ومريديه وهم بالآلاف و يقال أنه " النسخة الهندية من المسيح وقد اختلفوا حوله فقال بعضهم أنه نبي يتلقى الخبر من السماء والبعض الآخر عدّه فيلسوفاً روحياً وعدّه فريق ثالث مصلحاً اجتماعياً أثر الثورة والألحاد على قبول الدين السائد والفكر المهيم " (٤) .

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر وهو أن الأوصاف التي يصف بها البوذيون بودا تتطابق تماماً مع الأوصاف التي يطلقها المسيحيون المنحرفون على سيدنا عيسى عليه السلام ولذلك يقال بأنه النسخة الهندية من المسيح ، وعلى سبيل المثال - لا الحصر - يقول البوذيون : كان تجسد بودا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا ، ويقول المسيحيون : كان تجسد يسوع بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم ، ويقول البوذيون : ولما نزل بودا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بودا فيه كزهرة جميلة ، ويقول المسيحيون : ولما نزل يسوع من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مريم صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بودا فيه كزهرة جميلة . يقول البوذيون : وقد دلّ على ولادة بودا ظهور نجم في أفق السماء ويدعونه نجم بودا ، ويقول المسيحيون : وقد دلّ على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق وقال دوان : من الواجب أن يدعى نجم المسيح . يقول البوذيون : لما ولد بودا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك ، يقول المسيحيون : لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك (٥) .

والمتتبع لحياة بودا ونشأة البوذية ، يمكن أن يلاحظ أن حياته مرت بأربع مراحل مختلفة ، كل مرحلة شهد فيها تطوراً كبيراً لأفكاره ونظرته للحياة عن المرحلة السابقة وقد أطلق على كل مرحلة اسماً جديداً عن سابقتها لأنها تختلف عنها جوهرياً وتلك المراحل هي :

- المرحلة الأولى ولادته : وكان يسمى في هذه المرحلة ( سيدهارتا ) وتعني الشخص الذي يصل إلى هدفه ، فقد ولد بودا في منطقة ( كايلافاستو ) على الحدود الفاصلة بين الهند والنيبال ، كان والدُه حاكماً على مملكة صغيرة ، تقول الأسطورة عند مولده تنبأ له بعض الحكماء بأن تكون له حياة استثنائية وأن يصبح أحد اثنين : إما حكيماً أو سلطاناً.

وقد كان أميراً - عائلته تنتمي إلى طبقة الكشترايا الهندوسية والتي كانت لها السلطة السياسية على منطقتهم - فشبَّ مترفاً في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره .

المرحلة الثانية الأخذ بتعاليم النساك : ويمكن تسمية هذه المرحلة من حياته ( غوتاما ) وتعني الراهب ، فعندما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته وعاش حياة قاسية ، منصرفاً إلى الزهد والتقشف والخشونة في المعيشة ، فقد خلع ثيابه ولبس ثياب النساك البالية وعاش مع خمسة منهم وكان أكثرهم قسوة على نفسه ، فقد كان يأكل الفتات حتى أصبح جسمه هزيلاً من الجوع وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات وذهب يبحث عن الطمأنينة الداخلية وحالة التيقظ والاستتارة محاولاً أن يخرج من دورة التناسخ - حسب التقاليد الهندوسية - قام بممارسة اليوغا لبعض السنوات، وأخضع نفسه لتمرين قاسية وكان الزهد والتقشف شعاره في هذه المرحلة من حياته.

وبعد سبع سنوات من الجهد في صراعه العنيف مع نفسه لم يحس فيها بأي أثر يسير به إلى غايته ، أدرك أنه يعذب جسده فقط ، فتخلى " جوتاما " عن هذه الطريقة، والتي لم تُعد تقنعه، واتبع طريقاً وسطاً بين الحياة الدنيوية وحياة الزُّهاد ، حياة الانغماس في الملذات وحياة التقشف والتنسك والزهد وهذا هو الطريق المؤدي إلى السعادة تحقيق السعادة الروحية وقد أوضح بودا ذلك بقوله : " هناك طرفان يجب على كل من يُريد أن يحيا حياة روحية أن يبتعد عنهما ، أحدهما حياة اللهو وهي وضیعة تافهة ومخالفة للعقل والآخر حياة الزهد والحرمان وهي كئيبة لا طائل تحتها ، والحكيم من يكتشف الطريق الذي يمر بين هذين الطرفين وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل ويؤدي إلى النيرفانا أو إلى الطمأنينة والسلام " (١) .

وسرعان ما حقق الاستنارة وبعد أن وصل إليها بدأت المرحلة الثالثة .  
 المرحلة الثالثة وتسمى اشراق المعرفة : وهي المرحلة التي سُمِّيَ فيها بودا وتعني  
 الرجل المستنير ، فقد ترك زملائه من الرهبان وذهب إلى غابه وكان يجلس  
 تحت شجرة التين - والتي أصبحت تُعرف بشجرة الحكمة - أو العلم أو الشجرة  
 المقدسة وقد احتلت لدى البوذيين مكانة مقدسة إلى اليوم تعادل مكانة الصليب  
 لدى المسيحيين - ثم أخذ في ممارسة التأمل و في إحدى الليالي وبينما كان  
 جالسا تحت الشجرة المقدسة بلغ حالة الاستنارة أو الإشراق الذي يصفه بودا  
 قائلاً : " كلمني صوت من داخلي قائلاً : إن الهوى هو أصل الحزن والنفس  
 هي التي تجلب الشقاء وذلك أن المرء يقول دائماً : أنا أنا ويقول أيضاً :  
 زوجتي وأولادي ، فهم أيضاً نوع من أنا ، أما سواهم فليسوا أنا . قال بودا  
 للصوت إن قبلت قولك فهل أنا الحرية ؟ أجاب الصوت: نعم انه يجلب لك  
 الحرية أيها الناسك " (٧) .

وهنا تحول ( جواتاما ) وأصبح بودا وتعني : المتيقظ (أو المستنير) وفي هذه  
 المرحلة رأى بودا في حالة تأمله الحقائق الأربع النبيلة التي غيرت مجرى  
 حياته .

المرحلة الرابعة : وتسمى بمرحلة دوران عجلة الشريعة أو ( النظام ) وقد ظلَّ  
 فيها متردداً بين نشر ما عرفه من حقائق أو الاحتفاظ بها لنفسه ، وبعد أن بلغ  
 أعلى درجات الحقيقة ، استقر رأيه على أنه يجب أن يبشر بالمعرفة التي  
 انكشفت له ويذيعها بين الناس ، حتى يصلوا إلى السعادة التي وصل إليها و  
 شرع بودا يدعو إلى مذهبه، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس  
 كثيرون (٨) .

فنتقل من قرية إلى قرية، أخذ يجمع الناس من حوله، و كرس بودا بقية حياته  
 لتعليم الناس حقيقة دعوته والتي تنحصر في " العمل على تخليص الآخرين  
 ومن أقواله بهذا الصدد : يا من خلصت نفسك إعمل على خلاص الآخرين ،  
 وإذا كنت قد وصلت إلى شاطئ الأمان فساعد الآخرين على أن يعبروا " (٩) .

وظل بودا يدفع عجلة الشريعة إلى الأمام أكثر من اربعين عاماً حتى وصل  
 سن الثمانين واختار حياة " المبشر المتسول مع كل ما تشمل عليه من  
 صعوبات وحرمان وسخرية ومقاومة ولم يكن وحده الذي يدعو إلى النظام بل  
 اختار نخبة من اتباعه ليقوموا بالدعوة لها في مختلف النواحي " (١٠) .

كان لابد أن تلاقي تعاليم بودا بعض النجاح في مجتمع يرزح تحت وطئه النظام الطبقي الهندوسي الصارم ويئن من التفاوت الطبقي ليل نهار، جاء بودا بالخلاص الذي يحلم به كل من يقبع في اسفل السلم الاجتماعي وهم الغالبية .  
انتشار البوذية :

كانت التعاليم التي خلفها بودا لأتباعه تعاليم شفوية - مثله مثل سقراط - و لم يترك وراءه أي مصنف أو كتاب يعبر فيه عن معتقداته وآرائه و بعد وفاته قام أتباعه بتجميع تلك التعاليم ثم كتابتها وشرحها ودخل عليها الكثير من التحريف والدجل ، كما فعل اتباع المسيح عليه السلام في صياغتهم للأناجيل المختلفة ، وقد لاقت البوذية نجاحاً كبيراً وانتشرت انتشاراً واسعاً والسبب في ذلك يرجع لصفات بودا الشخصية - وسمعته الطيبة التي سمع بها الجميع - ومن ابرز صفاته عدائه للتعصب الديني ودعوته إلى إلغاء الطبقات الاجتماعية ، التي كرستها الديانة الهندوسية والتي فرقت بين الناس على أساس المولد والعرق والانتماء الطبقي ، فقد كان يرفض المبدأ القائل بأن القيمة الروحية للإنسان تتحدد عند ولادته و كان ذلك داعياً إلى أن يتبعه الكثير ممن انحطت طبقاتهم وكانوا يرون ضرورة الثورة عليها .

لم يكن بودا الوحيد الذي يدعو لمذهبه ، بل هناك الكثير من أتباعه من قاموا بتلك المهمة في اصقاع الهند وكان يختبرهم قبل أن يرسل بهم للدعوة لمذهبه ولا يختار لها إلا من يجده متحلياً بالصفات التي يدعو إليها .

وكمثال على ذلك الاختبار ما فعله مع أحد المريدين ويدعى ( بورنا ) أراد أن يذهب إلى قبيلة ( سرونابارانتا ) المعروفة بالخشونة والشراسة والغلظة في التعامل ، أراد بودا أن يعرف مدى استعداده لتحمل ما قد يواجهه من صعاب ومشاكل ، قال له بودا : إن رجال القبيلة قساة القلوب سريعو الغضب ، فإذا سبوك ووجهوا اليك ألفاظاً بذيئة ماذا ستفعل ؟ أجاب بورنا : أقول لا شك أنهم قوم طيبون لأنهم لم يضربون بأيدهم ولم يرمون بالحجارة .. سأله بودا : فإن ضربوك بأيدهم ورموك بالحجارة ؟ رد بورنا : أقول بأنهم طيبون لأنهم لم يضربون بالعصي ولا بالسيوف . قال بودا : فإن ضربوك بالعصي والسيوف ؟ أجاب : أقول أنهم طيبون لأنهم لم يحرمون الحياة نهائياً ، سأله بودا : فإن حرموك الحياة ؟ أجاب : أقول أنهم طيبون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء بغير ألم .

وفعلاً ذهب المريد إلى القبيلة فأمنوا بدعوته جميعاً<sup>(١)</sup> .

لكن البوذية توسعت بشكل لافت خارج حدود الهند بعد انضمام حاكم ولاية ماغادا الإمبراطور ( أسوكا ٢٧٣ - ٢٣٢ ق . م ) لها في القرن الثالث قبل الميلاد ويعد هو المؤسس الثاني للبوذية التي تحولت على يديه من حركة تقشف وزهد إلى ديانة عالمية واسعة الانتشار ، فقد حرص منذ انضمامه على بناء المعابد الضخمة ونحت التماثيل الضخمة لبودا وبناء اديرة للرهبان وأرسل الدعاة للتبشير بها في شتى أنحاء مملكته وفي الامبراطوريات المجاورة .

### مفاهيم أساسية في البوذية :

هناك مفاهيم رئيسية لا يمكن فهم البوذية إلا بها ومعها من خلالها ومن أهمها :  
الكارما :

هي باختصار ما نعنيه بقانون العقاب - أو مقولة الجزاء من جنس العمل - ويطلق لفظ كارما على الأفعال التي يقوم بها الإنسان، والعواقب الأخلاقية الناتجة عنها ، إن أي عملٍ يقوم به - خيراً كان أو شراً وأي كان مصدره - فعل، قول أو مجرد أعمال فكرة، لا بد أن تترتب عنه عواقب، ما دام قد نتج عن وعي وإدراك مسبوق.

وكي نفهم المقصود بالكارما علينا قراءة الاسطورتين المذكورتين في كتاب السلال الثلاث المقدس لدى البوذيين ، الأولى تروي أن راهباً زاهداً جلس تحت شجرة وأطال التأمل والنظر في عالم الملكوت ولما انتهى من تأمله همّ بالقيام ، فصدمه غصن الشجرة في رأسه فتألم وحمله ألمه إلى قطع الغصن ولم يكد ينتهي من قطعه حتى مات وانتقلت روحه في الحال إلى جسم ثعبان وكانت صيرورته وتحوله ثمرة لعمله السيء وهو الخضوع للغضب .

أما الأسطورة الثانية فتروي قصة زاهد طلب إلى أحد زملائه أن يُعيّره مصفاة يصفى بها المياه ، فلما رفض زميله ذلك ، فضّل أن يموت عطشاً على أن يشرب الماء بما فيه من الحشرات التي يمكن أن يقتلها في بطنه ، وظل ظمآن حتى فارق الحياة مدفوعاً بإشفاقه على تلك الحشرات ، فانتقلت روحه بعد موته إلى جوار الآلهة ، عقب بودا على الاسطورتين بقوله " إن أثر الأعمال على مصيرنا من الأمور غير القابلة للنقاش ، فما هو كائن ثمرة ما كان وإن كل إنسان يولد من جديد حسب ما فعل " (١٢).

وتأخذ نتائج أعمال الإنسان في حاضرة شكل ثمارٍ، تنمو وبمجرد أن تنضج تسقط على صاحبها في حياته الأخرى - مستقبلة الأبدى - فيكون جزائه إما الثواب أو العقاب. قد تطول أو تقصر المدة التي تتطلبها عملية نضوج الثمار

(أو عواقب الأعمال) غير أنها تتجاوز في الأغلب فترة حياة الإنسان، فيتحتّم على صاحبها الانبعاث مرة أخرى لينال الجزاء الذي يستحقّه. ويمكن أن نجد مصداق قانون الكارما يوم القيامة التي يحاسب فيها الناس على ما قدموه من أعمال وفيها يولد الإنسان من جديد تكون حياته الحقيقية فيها ثمرة لعمله ، كما قال تعالى { يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم \* فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } الزلزلة : ٦ - ٨ .

### النيرفانا :

الهدف الأسمى بحسب البوذية هو التحرر التام من الشهوات عبر كسر دورة الحياة والانبعاث، والتخلص من الآلام والمعاناة التي تحملها تلك الشهوات خلال حياته، وبما أن الكارما هي عواقب الأفعال التي يقوم بها الأشخاص، فلا خلاص للكائن ما دامت الكارما موجودة.

يستعمل لفظ نيرفانا لوصف حالة التيقظ التي تخمّد معها نيران العوامل التي تسبب الآلام وهي الشهوة و الحقد والجهل بما لا يعرفه الإنسان والأنانية المتولدة عن حب الذات وعندما تتمحي الأنانية من أفكار الإنسان الخاصة ومن سلوكه فذلك يعني أنه قد توصل إلى الحكمة وإلى السعادة الخالدة وإلى النيرفانا التي هي صفو الروح وسكينتها .

لكن هذا المبدأ طرأ عليه معناً جديداً فيما بعد ، إذ قُصد به وصول الفرد إلى أعلى " درجات الصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية والفرق بين المعنى الأول والثاني واضح : فالأول كان يقول أنه لا يمكن الوصول للنيرفانا إلا بعد الموت ، أما الثاني فيقول بأن الإنسان يمكن أن يصل إليها في حياته إذا استطاع الوصول إلى الدرجات العليا من درجات الرقي الروحاني وبالتالي لا داعي إلى تناسخ روحي " (١٣) .

فالنيرفانا ليس معناها الفناء كما يعتقد الكثير من الناس خطأ وإنما معناها انتهاء الأغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة أو ذليلة مروعة " (١٤) .

لا يحدث التبدد الكلي للكارما عند بلوغ النيرفانا، يمكن وصف هذه الحالة بأنها بداية النهاية في طريق الخلاص.

و النيرفانا حالة من الوعي والإدراك لا يمكن تعريفها ولا حتى فهمها ويجب أن تظل لديهم في حالة غموض حتى تكتسب القداسة التي تليق بها لدى معتنقي البوذية ويزيد في غموضها ما نسب إلى بودا عندما قال لمريديه عنها : " أيها المریدون هي طور لا أرض فيه ولا ماء ولا هواء ولا نور ، لا فيه

مكان غير متناه ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق .. هي طور لا أقول عنه بائيان ولا بذهاب ولا بوقوف ، لا يموت ولا يولد ، هي من غير اساس من غير مرور من غير انقطاع وذلك نهاية الحزن " (١٥) .

بعد أن يصلها الكائن الحي، ويُصبح متيقظاً، يستمر في العيش ومع الوقت يقوم بتبديد كل الكارما الخاصة به، حتى يبلغ عند مماته "النيرفانا الكاملة- " parinirvana- أو التبديد الكلي للكارما عندما يموت هؤلاء الأشخاص فإنهم لا يُبعثون - فقد استنفذت الكارما- ولا يمكن لأي كان أن يستوعب حالة الطوبى الأزلية التي يبلغونها بحسب أقوال بودا نفسه.

### الجواهر الثلاثة :

تتمحور العقيدة البوذية حول ثلاثة أمور - تسمى الجواهر الثلاث - وهي على الترتيب :

- ١ - الإيمان ببودا كمعلمٍ مستتير للعقيدة البوذية .
- ٢ - الإيمان بـ " دارما" ، وهي تعاليم بودا وتسمى هذه التعاليم بالحقيقة .
- ٣ - المجتمع البوذي.

تقوم العقيدة الأصلية على مبدئين:

ينتقل الأحياء أثناء دورة كينونتهم من حياة إلى أخرى، ومن هيئة إلى أخرى: إنسان، إله، حيوان، شخص منبوذ وغير ذلك. تتحدد طبيعة الحياة المقبلة تبعاً للأعمال التي أنجزها الكائن الحي في حياته السابقة، ينبعث الذين أدوا أعمال جلييلة إلى حياة أفضل، فيما يعيش الذين أدوا أعمال خبيثة حياة بائسة وشاقة.

عُرف المبدأ الأول بين الهندوس حتى قبل مقدم بودا، فيما يُرجح أن يكون هو من قام بوضع المبدأ الثاني.

### الحقائق الأربع النبيلة :

ويمكن تلخيص تعاليم بودا بالحقائق النبيلة الأربع، فقد رأى وهو في " حالة التأمل الحقائق الأربع النبيلة التي تمهد الطريق إلى الخلاص من كل أنواع الألم وهي :

١- الحقيقة الأولى وجود الألم : نتألم عندما نولد عندما نهزم وعندما نمرض وعندما نفكر بالموت - مجرد تفكير - نتألم عندما نجتمع بمن لا نحب ونفارق من نحب ونتألم عندما نرغب فيما لا نستطيع الحصول عليه .

وقد عبر بودا عن هذه الحقيقة بقوله : " اليكم ايها الرهبان معنى العذاب : الولادة عذاب والموت عذاب والمرض عذاب والاتحاد مع ما لا نحب عذاب

والانفصال عما نحب عذاب وعدم اشباع الرغبة عذاب . والحقيقة أن أنواع التعلق الخمسة بالحياة : الجسد ، الأحاسيس ، التمثلات والأفكار ، والمعرفة التي تشكل الأنا " (١٦) .

وكل ذلك يعني أن الحقيقة الأولى هي : أن الحياة كلها ألم وهي لا تخلو من المعاناة التي يسببها الشقاء ومصادر الشقاء في العالم سبعة: الولادة- الشيخوخة- المرض- الموت- مصاحبة العدو- مفارقة الصديق- الإخفاق في التماس ما تطلبه النفس، وفي هذا المجال يقول بودا: ان سر هذه المتاعب هو رغبتنا في الحياة وسر الراحة هو قتل تلك الرغبة .  
فالحياة الإنسانية لدى بودا في أساسها معاناة متواصلة، منذ لحظات الولادة الأولى وحتى الممات.

٢- الحقيقة الثانية : سبب الألم : هو ميل الإنسان إلى الشر وإلى الشهوات والملذات الحسية ، يولدها وهم ( الانا ) ويظهر من خلال التعلق بالأشياء وتسيّرنا الرغبة في الحياة لإشباع الشهوة ، واللذة هي الطعم والنتيجة هي الألم وذلك يعني أن الأصل في منشأ المعاناة وعدم وجود السعادة ، ناجم عن التمسك بالحياة ويقول بودا: ان منشأ هذه المعاناة الحتمية يرجع إلى الرغبات التي تمتلئ بها نفوسنا للحصول على أشياء خاصة لنا أننا نرغب دائماً في شيء ما مثل: السعادة أو الأمان أو القوة أو الجمال أو الثراء.... ويقول كذلك : " إن الحياة كلها من الولادة إلى الموت لهيب وحريق : إنها نار الشهوة ونار البغض والعداء والهوى ، من هم أولئك الخدم الذين يشعلون هذه النيران ؟ العواطف الستة والحواس الستة " (١٧) .

ويشرح بودا مصدر العذاب قائلاً : " اليكم أيها الرهبان حقيقة مصدر العذاب : إنها الرغبة في الوجود المفضية من تجدد إلى تجدد ، الرغبة في اللذة الرغبة في الرغبة ، الرغبة في العابر الفاني إذ لا شيء خالد في الحياة " (١٨) .  
أي أن سبب الشقاء وعدم السعادة هو الأنانية الإنسانية وحب الشهوات والرغبات .

٣ - الحقيقة الثانية توقف الألم: من يخضع أنه يتخلص من الميل إلى الشر والملذات الحسية وهو لا يشعر أبداً بالتعلق ، لأن لهيب الشهوة لا يجد طعاماً ليتغذى وهكذا يتم إطفاء لهيب الشهوة .

وذلك يعني : أن الانسياق وراء الشهوات، والرغبة في تلبيتها هي أصل المعاناة، تؤدي هذه الرغبات إلى الانبعاث من جديد لتذوق ملذات الدنيا مرة أخرى ، تولدت هذه الرغبة نتيجة عدة عوامل إلا أن الجهل هو أصلها جميعاً.

يقول بودا : " الهوى أصل الألم ، إذا وجدت الشهوة والهوى وجد التحديد والتخصيص وإذا التحديد والتخصيص وجد الجهل وإذا وجد الجهل وجد الخطأ وإذا وجد الخطأ وجد الحزن ، فالحزن نتيجة للهوى والشهوات " (١٩) .

إن الجهل بالطبيعية الحقيقة للأشياء ثم الانسياق وراء الملذات يُؤلِّدان الجذور الثلاثة لطبيعة الشر، وهي: الشهوانية، الحقد والوهم، وتنشأ من هذه الأصول كل أنواع الرذائل والأفكار الخاطئة وتدفع هذه الأحاسيس بالإنسان إلى التفاعل معها، فيقحم نفسه بالتالي في نظام دورة الخلق والتناسخ.

ويشرح بودا لمريديه كيفية التخلص من العذاب قائلاً : " اليكم ايها الرهبان حقيقة ازالة هذا العذاب : اطفاء هذا العطش بإلغاء اللذة الغاءً كاملاً عن طريق طردها ورفضها والتخلص منها وعدم ترك أي محل تحل فيه " (٢٠) .

فالحقيقة الثالثة :هي حقيقة التخلص من المعاناة ولا يتم الا بالكف عن التعلق بالحياة والتخلص من الأنانية وحب الشهوات في نفوسنا وهي تتحدث عن إيقاف المعاناة : وتقول بأن الجهل والتعلق بالأشياء المادية يمكن التغلب والقضاء عليهما و يتحقق ذلك عن طريق كبح الشهوات ومن ثمة القضاء الكلي عليها ، للوصول إلى مرحلة النيرفانا التي تعني " انتهاء الأغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة أو ذليلة مروعة ويصبح المقياس هو : كل من شاء أن ينقذ حياته عليه أن يخسرها .. لأن إنقاذ الإنسان نفسه من ربة الكارما ومن تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر " (٢١) .

وللقضاء على الشهوات وتجنب الألم على الإنسان أن يسلك الطريق ذي الثمان شعب وهذه هي الحقيقة الرابعة التي يجب عليه إدراكها .

٤ - الحقيقة الرابعة الطريق ذات الشعب الثمانية لتوقيف الألم: وذلك بأن يخضع إرادته للواجب ويسلك الحكيم هذا الطريق ويضع حداً نهائياً للألم (٢٢) . وذلك يعني أن الحكيم إذا أراد التخلص من الأنانية والشهوات ومتاع الدنيا يجب عليه اتباع الطريق النبيل ذي الفروع الثمانية وهي:

الإدراك السليم للحقائق الأربع النبيلة و التفكير السليم الخالي من كل نزعة هوى أو جموح شهوة أو اضطراب في الأمانى والأحلام ، الفعل السليم الذي يسلكه الإنسان في سبيل حياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك والعلم والحق ، الكلام السليم أي قول الصدق بدون زور أو بهتان والمعيشة السليمة القائمة على هجر اللذات تماماً والمتطابقة مع السلوك القويم والعلم السليم - السلوك السليم -الملاحظة السليمة -التركيز السليم .

فالحقيقة الرابعة حدد فيها بودا الطريق الذي يؤدي إلى إيقاف المعاناة والألم وهو يقول : "اليكم أيها الرهبان حقيقة السبيل الأيل إلى توقيف العذاب : إنه الممر المثمن وفروعه هي الإيمان الصحيح والإرادة الصحيحة واللغة الصحيحة والعمل الصحيح ووسائل العيش الصحيحة والتطبيق الصحيح والذاكرة الصحيحة والتأمل الصحيح " (٢٣) .

ويسمى هذا الطريق بالقواعد الثمان الضابطة ويرتبطها البعض ترتيب آخر ، لكنه يؤدي إلى نفس المعنى وهي : " الاعتقاد الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والعمل الصحيح والعيش الصحيح والجهد الصحيح والفكر الصحيح والتأمل الصحيح " (٢٤) .

ويمكن أن نحصر تلك القواعد والأسس بثلاث وهي :

١ - الفضيلة أو الاستقامة .

٢ - الحكمة .

٣ - التأمل .

وتعتبر الاستقامة هي الخطوة الأولى التي يبدأ بها التتابع أما محتوياتها العملية في ما يسمى الوصايا العشر البوذية (٢٥) .

ويتم الوصول إلى كل واحد منها عن طريق وسائل مختلفة أول هذه الوسائل هي اتباع سلوكيات أخلاقية صارمة، والامتناع عن العديد من الملذات.

**الوصايا العشر لبودا :**

١ - لا تقض على حياة حي ( لا تزهق روحا ) .

٢ - لا تسرق ولا تغتصب ( لا تأخذ ما لا تستحق ) .

٣ - لا تكذب أو تغش أحداً .

٤ - لا تتناول مسكراً .

٥ - لا تزن .

٦ - كل باعتدال ولا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه ولا تأكل شيئاً أبداً بعد الظهر .

٧ - لا تشهد حفل رقص ولا تسمع غناءً أو تمثيلاً .

٨ - لا تلبس حلياً ولا تتعطر ولا تتخذ زينة .

٩ - لا تنم في فراش وثيرة باذخة .

١٠ - لا تقبل ذهباً ولا فضة (٢٦) .

ويمكن أن نلاحظ ان الوصايا الخمس الاولى واجبة على كل بوذي على الدوام والخمس الثانية واجبة الاتباع عليه في أيام الصوم ، أما الرهبان فإن عليهم اتباع كافة الوصايا في سائر الأوقات <sup>(٢٧)</sup> .

ويمكن ملاحظة أن الوصايا العشر البوذية التي تتشابه في المضمون - وإن اختلف الشكل أو الصيغة - مع ما ورد من الوصايا في العهد القديم - كما سنتعرف عليها لاحقاً - وكذلك ما ورد في الوصايا العشر التي فصلتها الآيات التي وردت في سورتي الأنعام والإسراء\* .

### أصول الرذائل ومنبعها :

وفي تعاليم بودا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة:

١ - الاستسلام للشهوات والملذات ، يجعل الحياة كلها في ألم مستمر وفوق ذلك يعكس نظر الأشياء في العقل والقلب .

٢ - سوء النية في طلب الأشياء ، لأن الغرض الفاسد يتحكم في طلب الإنسان للأشياء وهو أصل الكثير من الرذائل : كالغش والكذب والنميمة وغيرها .

٣ - الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح ، وفي أكثر الأحيان يكون منشأ ذلك استيلاء الشهوات على النفس وسدها سبيل الإدراك الصحيح ، فيصبح العقل لا يرى إلا ما تعكسه عليه الشهوات ويمنع الإشراف على النفس ، لأنه يأتي من التجرد من الملذات والشهوات وهجرها <sup>(٢٨)</sup> .

### بعض المبادئ الأخلاقية في البوذية :

وهي بمثابة الدستور المكمل للوصايا العشر وهي :

١ - الإيمان الحق : بأن الحياة والتناسخ هو العذاب بعينه وأن الخلاص من هذا العذاب يأتي لمن يستطيع قمع شهواته وغرائزه .

٢ - الرجاء الحق : يتمثل في حب الآخرين وعدم السعي لإيذائهم وتجنب قتل الروح أينما حلت .

\* الوصايا العشر وردت في سورة الأنعام في قوله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ ۖ وَلَا تَكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۖ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۖ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } .

٣ - الكلام الحق : والسلوك الحق يتمثل في الصدق مع الآخرين وتقدير النفس حق قدرها واختيار العمل المناسب لقدرات الإنسان ، ثم اخلاصه في أداء المهام الموكلة له .

٤- السعي الحق : ويعني التمييز بين الجيد والرديء في الرغبات والعلاقات .

٥ - التأمل الحق : وهو تتويج لكل المبادئ السابقة وفيه يحرص الإنسان على عدم العودة مرة ثانية في دورة روحية أخرى للحياة<sup>(٢٩)</sup> .

### القيود العشرة :

هناك عشرة قيود ترى البوذية أنها تكبل الإنسان في كل زمان ومكان وتحول دون بلوغ الإنسانية درجة النجاة والسلام وتلك القيود هي :

١ - الوهم الخادع في وجود النفس .

٢ - الشك في وجود بودا وتعاليمه .

٣ - الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية .

٤ - الشهوة .

٥ - الكراهية .

٦ - الغرور .

٧ - الرغبة في البقاء المادي .

٨ - الكبرياء .

٩ - الاعتداد بالبر الذاتي .

١٠- الجهل .

ومن الممكن تحطيم القيود لمن يؤمن بالحقائق الأربع النبيلة ويعمل في ضوء هديها ويطبّقها في حياته المعاشة<sup>(٣٠)</sup> .

### أوجه الكمال العشرة في البوذية :

تركز البوذية على الجانب الأخلاقي أكثر بشكل كبير وهي تسعى بأن يصل الإنسان من خلالها إلى الكمال في الدنيا وفي الحياة الآخرة ، وهناك عشرة وجوه للكمال عند البوذيين ، يحرصون كل الحرص للوصول إليها وهي :

١- الكمال الأول : العطاء بلا حدود وبدون تحفظ ، يشبون الإنسان المعطاء فيها بالجرة المقلوبة التي يخرج منها الماء حتى آخر قطرة .

٢ - الكمال الثاني : الواجب على الإنسان أن يقوم بواجبه في الحياة تجاه الآخرين ، حتى إذا تعرض للموت .

٣ - الكمال الثالث : النبذ ، أنبذ كل شيء في الحياة ، كأنك فيها سجيناً تتقرب اطلاق سراحك بالموت الذي يعني التحرر من سجن الجسد ايضاً .

- ٤ - الكمال الرابع : الفراسة والبصيرة ، أسال الحكماء أواي إنسان يمتلك الحكمة لاغتنام البصيرة .
- ٥ - الكمال الخامس : الجرأة ، عليك أن تكون شجاعاً وجريئاً كالأسد في كل المواقف التي يتعرض لها طوال حياته .
- ٦ - الكمال السادس : الصبر ، عليك أن تكون صبوراً مثل الأرض التي يُلقى فيها كل شيء، قابل الإحسان والغيبة بدون تمييز بينهما .
- ٧ - الكمال السابع : الصدق ، أثبت في طريق الصدق كما هو ثابت الميزان الذي يبقي الكواكب في السماء في مكانها لا تحيد عنه .
- ٨ - الكمال الثامن : القرار ، كما يصمد الجبل في وجه الزوابع ، عليك أن تصمد في قرارك إذا ما ابرمته .
- ٩ الكمال الثامن : الرحمة والشفقة ، كما يطفى الماء عطش الصالح والطالح ويظهر نجاستهم على السواء ، عليك أن تعامل صديقك وعدوك سواسية بالرحمة والشفقة .
- ١٠ - الكمال العاشر : الهدوء ، كما تنظر الأرض هادئة إلى من على ظهرها من فاسدٍ وظاهر ، كذلك عليك أن تتلقى الأفراح والأتراح إذا أردت بلوغ الحكمة (٣١) .

### فكرة المخلص البوذية :

فكرة الخلاص فكرة قديمة موجودة في الديانة الهندوسية وهي تركز على أن الآلهة تبعث كل فترة من الزمن من ينقذ البشرية من شرورها .

وقد أضاف لها البوذيون أن هذا المخلص يأتي " كل خمسة آلاف عام ليذهب الديانة السائدة وبودا لديهم أحد المخلصين وقد سبقه أربعة وعشرون مخلصاً وهذا يعني بأن البوذية ديانة عريقة لها أكثر من آلاف السنين " (٣٢) .

هذه الفكرة تشبه فكرة المهدي المنتظر لدى المسلمين وهذا يدل على المنبع الواحد الذي تخرج من مشكاته كل الأديان ويبشر البوذيون - ولا سيما جماعة الهينايانا - بقدم مهدي جديد يدعى ( ما تريا ) ليهدي الناس ويقوم المعتقدات الفاسدة ويخلص الناس من الشرور مستقبلاً .

وسوف نبحت الآن عن مفهوم الدين الحقيقي لدى بودا العصر الدلاي لاما .

### مفهوم الدين الحقيقي لدى الدلاي لاما :

كما قلنا سابقاً أن بودا هذا العصر هو الدلاي لاما وسوف نحاول أن نتعرف على مفهوم الدين لديه من خلال التالي : كان هناك مائدةٌ مستديرة للنقاش

حول موضوع الأديان والأخلاق ، جمعت مجموعة من رجال الدين من عقائد وأديان ومذاهب شتى.

وكان من بين المناقشين عالم في الدين من علماء الأزهر ، وحكيم التبت ( تنزين جياتسو ) القائد الروحي الأعلى الحالي لبوذية التبت الملقب بـ ( دلاي لاما ) وبعد انتهاء النقاش، وجه رجل الدين المسلم سؤالاً للدلاي لاما قائلاً له :  
- يا سماحة الدلاي لاما، ما أفضل الأديان من وجهة نظرك؟

وكان يظن بالطبع أنه سيقول: بوذية التبت هي الأفضل ، أو على الأقل الديانات الشرقية التي تسبق المسيحية بقرون بعيدة ، لكن دلاي لاما ابتسم، ثم قال بهدوء: العقيدة الأفضل هي تلك التي تجعلك شخصاً أفضل ، وتجعلك أقرب إلى صورة الله على الأرض .

ألح رجل الدين المسلم في السؤال، قائلاً: وما هي تلك العقيدة التي تجعل الإنسان شخصاً أفضل؟

فأجاب دلاي لاما: هي العقيدة التي تجعلك أكثر رحمةً، أكثر إدراكاً، أكثر حساسيةً، أقل تحيزاً، أقل عنصريةً، أكثر حباً، أنظف لساناً، أكثر إنسانيةً، أكثر مسؤوليةً، وصاحب أخلاق ، الدين الذي يجعلك كل ما سبق، هو الدين الأفضل. صمت رجل الدين مأخوذاً بالإجابة الحكيمة، التي لا يمكن مجادلتها ، لكن دلاي لاما أكمل قائلاً:

لست مهتماً يا صديقي بعقيدتك أو دينك أو مذهبك ، أو إذا ما كنت متديناً أم لا، الذي يعنيني حقاً هو سلوكك أمام نفسك، ثم أمام نظرائك، ثم أمام أسرتك، ثم أمام مجتمعك، ثم أمام العالم ، لأن جماع كل ما سبق سيشكل كيانك وصورتك أمام الله ، تذكر أن الكون هو صدى أفعالنا وصدى أفكارنا ، وأن قانون الفعل ورد الفعل لا يخص، وحسب، عالم الفيزياء ، بل هو أيضاً قانون يحكم علاقاتنا الإنسانية ، إذا ما امتثلت للخير سأحصد الخير، وإذا ما امتثلت للشر، فلن أحصد إلا الشر ، علمنا أجدادنا الحقيقة الصافية التي تقول: سوف تجنى دائماً ما تتمناه للآخرين ، فالسعادة ليست رهن القدر والقسمة والنصيب، بل هي اختيار وقرار، ثم ختم كلامه قائلاً:

انتبه جيداً لأفكارك، لأنها سوف تتحول إلى كلمات ، وانتبه إلى كلماتك، لأنها سوف تتحول إلى أفعال ، وانتبه إلى أفعالك لأنها سوف تتحول إلى عادات ، وانتبه إلى عاداتك لأنها سوف تكون شخصيتك، وانتبه جيداً إلى شخصيتك لأنها سوف تصنع قدرك، وقدرك سوف يصنع حياتك كلها.

ما يريد قوله دلالي لاما بكل بساطة هو أن الدين وسيلة، وليس غاية ، الغاية العليا هي الصلاح : صلاح الفرد والمجتمع على السواء ، والدين هو أحد السبل للوصول إلى الصلاح ، لهذا فإن الرُّسل كانوا يختمون دعائهم بعبارة: اللهم أَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، كقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ } . الشعراء ٨٣.

فإن قضى الإنسانُ عمره كله في مسجد أو كنيسة أو هيكل أو معبد، يُصَلِّي ويصوم ويتعبَّد، ولم يصنع منه كلُّ ذلك إنسانًا صالحًا رحيماً متحضراً عفَّ اللسان، فما جدوى ركوعه وسجوده وجوعه وعطشه، واللهُ تعالى غنيٌّ عن صلاتنا وذكرنا وقرابيننا؟! إنما خلقنا اللهُ لكي نصنع نموذجاً متحضراً للكائن المسؤول الذي يختار الخير وهو قادرٌ على الشر ، ويختار الرحمة وهو قادرٌ على القسوة ، ويختارُ العدل بدلاً من الظلم.

لقد لخص الدلالي لاما كل التعليم البوذية التي تدعو لمكارم الأخلاق من خلال تلك العبارات البسيطة، لكنها معبرة أبلغ تعبير عن جوهر الدين الحقيقي الذي يهدف لبناء الفرد الصالح في نفسه المصلح لغيره في كل زمان ومكان . ومن خلال عرضنا للبوذية يتضح لدارس التصوف الإسلامي مدى أخذ الأخير عنها وخصوصا ما يتعلق بترويض الروح والنفس والفكر من خلال قمع الجسد للوصول إلى الاتحاد بالذات الأعلى والروح الأبدية لدى متصوفة الإسلام أو للوصول لمرحلة النرفانا في البوذية وهما تتحدان في الجوهر والمضمون وتختلفان في الشكل والعرض فقط والله سبحانه وتعالى أعلم .

## قائمة المراجع :

- (١) ينظر : عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٦١ . سابق .
- (٢) ينظر : المرجع السابق . ص ١٦٧ .
- (٣) ينظر : أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ص ١٣٦ . سابق .
- (٤) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٦٢ . سابق .
- (٥) ينظر : محمد أو زهرة : محاضرات في مقارنات الأديان / الديانات القديمة . ص ٥٥ . سابق .
- (٦) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٥٥ . سابق .
- (٧) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٥٣ . سابق .
- (٨) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . من ص ٤٢٦ إلى ص ٤٢٩ . سابق .
- (٩) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٥٥ . سابق .
- (١٠) أحمد شلبي : ديانة الهند الكبرى . ص ١٤١ . سابق .
- (١١) ينظر : المرجع السابق . ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (١٢) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ١٧٢ . سابق .
- (١٣) المرجع السابق : ص ١٧٣ .
- (١٤) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ٢٥٩ . سابق .
- (١٥) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٥٤ - ١٥٥ . سابق .
- (١٦) كلود ب . لفسون : البوذية . ص ٤٧ . سابق .
- (١٧) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٥٢ . سابق .
- (١٨) كلود ب . لفسون : البوذية ص ٤٧ . سابق .
- (١٩) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ١٥٦ . سابق .
- (٢٠) كلود ب . لفسون : البوذية . ص ٤٨ . سابق .
- (٢١) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ص ١٥٥ . سابق .
- (٢٢) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٤٢٩ . سابق .
- (٢٣) كلود ب . لفسون : البوذية . ص ٤٨ . سابق .
- (٢٤) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٥٦ . سابق .
- (٢٥) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٦٢ . سابق .
- (٢٦) ينظر : أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٦٠ . سابق .
- (٢٧) ينظر كذلك : جوزيف كاير : حكمة الأديان . تر : حسين الكيلاني . دار مكتبة الحياة / بيروت . ( د - ت ) ص ٢٣ - ٢٤ .
- (٢٨) ينظر : محمد أو زهرة : مقارنات الأديان : الديانة القديمة . ص ٧٥ . سابق .
- (٢٩) ينظر : عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٧٦ . سابق .
- (٣٠) ينظر : أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى . ص ١٥٨ . سابق .
- (٣١) ينظر : جوزيف كاير : حكمة الأديان . ص ٢٤ - ٢٥ . سابق .
- (٣٢) عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان . ص ١٧٤ . سابق .

# الباب الثالث الديانات السماوية

## الفصل الأول : اليهودية أو الشريعة الموسوية

### مقدمة :

هي ديانة الشعب اليهودي وقد كانت ديانة توحيدية قديمة، إلهية المصدر في أصلها أرسل الله بها موسى عليه السلام داعياً إلى عبادة الله وحده وهجر عبادة الأوثان وكانت تستند في تعاليمها على التوراة كنصها التأسيسي والتي أنزلت على موسى بحسب المعتقدات اليهودية وبحسب المنطوق القرآني . لكنها لم تعد كذلك وطالها التحريف والتزييف والخروج على الشريعة الموسوية - وخصوصاً بعد وفاة موسى عليه السلام - وقد تعرضت في مسيرتها الطويلة منذ نشأتها ( حوالي ١٥٠٠ ق . م ) وإلى اليوم للكثير من " الأخذ والرد وقد شكّل من يزعمون الانتساب إليها حالة خاصة بين الأمم والشعوب حيث حرفوا كلام الله وما جاء به موسى عليه السلام وكان الأخطر في فكرهم تلك العنصرية المتولدة من زعمهم أنهم الشعب المختار " (١) . وتعتبر اليهودية من قبل اليهود المتدينين تعبيراً عن العهد الذي أقامه الله مع بني إسرائيل وتشمل على مجموعة واسعة من النصوص والممارسات والمواقف اللاهوتية وأشكال التنظيم .

والتوراة هي جزء من النص الأكبر المعروف بإسم التناخ أو الكتاب المقدس العبري، وأحكام وشرائع التوراة التي تشرحها الشريعة الشفوية والتي تمثلها النصوص اللاحقة مثل المدراس والتلمود .

وتتراوح أعداد أتباع الديانة اليهودية بين ١٤,٥ مليون إلى ١٧,٤ مليون معتنق في جميع أنحاء العالم، حيث أن تعداد اليهود في حد ذاته يعدّ قضية خلافية حول قضية من هو اليهودي ؟

واليهودية هي عاشر أكبر دين في العالم . والكيان الصهيوني الغاصب و موطن لحوالي ٤٣% من جميع اليهود في العالم، ويقيم حوالي ٤٣% من يهود العالم في الولايات المتحدة وكندا، ويعيش معظم النسبة المتبقية في أوروبا وهناك أقليات منهم منتشرة في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا وأستراليا .

### البداية أو قصة اليهود :

تبدأ تلك القصة من يوم استقر نبي الله يعقوب عليه السلام في مصر مع ابنائه بعد دعوة سيدنا يوسف عليه السلام - والذي كان الوزير الأول حينها - له بالقدوم إليها والاستقرار فيها ، بسبب ما أصابهم من جفاف في موطنهم كنعان ( فلسطين الحالية ) أدى إلى شحة المياه وجفاف المراعي ، توسط يوسف لهم لدى فرعون الذي منحهم حينها أخصب الأراضي للاستقرار فيها ، ظلّ بنو

اسرائيل فترة من الزمن يتمتعون فيها برعاية المصريين وحبهم وتقديرهم ، لأنهم أخوة يوسف وعشيرته ، فوصل الكثير منهم إلى أعلى المناصب وبمرور الأيام والسنين تكاثر بنو اسرائيل وأصبحوا يشكلون قوة بشرية لا يستهان بها في ذلك الوقت وفاق عددهم عدد المصريين في بعض الاوقات ، فتغيّر موقف المصريين منهم بسبب خوفهم من استفحال أمرهم ، فكان أن استخدمهم فرعون ذلك الزمان كعبيد بالسخرة في تشييد المعابد والقصور والمقابر والمباني .

فبعث الله إليهم رسولين من نسل لاوي بن يعقوب هما : موسى وهارون - عليهما السلام - دعيا قومهما مع فرعون لعبادة الله وحده وترك عبادة الاوثان والكواكب وكل العبادات الوثنية التي كانت سائدة حينها والتي ما أنزل الله بها من سلطان .

وحدثت المواجهة بين فرعون وموسى عليه السلام كما قصها القرآن الكريم ، فخرج موسى ببني اسرائيل هرباً من بطش فرعون متوجهين إلى ديارهم السابقة في أرض كنعان عبر صحراء سيناء ، حاول فرعون أن يتبعهم ويمنعهم من الخروج مع جنوده إلا أن الله سبحانه وتعالى أغرقه في البحر كما قال تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۗ } حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ { يونس : ٩٠

لكن بني اسرائيل لم يتعظوا بعد تلك المعجزة العظيمة وخرجوا من البحر ولا تزال ملابسهم مبتلة وطلبوا من موسى أن يصنع لهم صنماً يعبدونه من دون الله ، كما قال تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ۗ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۗ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ { الاعراف : ١٣٨ .

كان الهدف من الخروج من مصر التوجه إلى أرض كنعان ولكن لأن اليهود عصوا أوامر موسى بالدخول اليها واختلقوا الاعذار الواهية ، عاقبهم الله بالتيه في سيناء كما قال تعالى في سورة المائدة: { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۗ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ } قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا

أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۗ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝

توفى موسى وهارون ولا زال بنو اسرائيل في التيه و مات فيهم الجيل القديم وولد جيل جديد منهم أغاروا على بلاد كنعان بقيادة يوشع - فتى موسى مع الخضر - ودخلوها فاتحين فقتلوا معظم رجالها واستعبدوا النساء والأطفال واستولوا على بيوتهم وعلى ما فيها من خيرات واستقر بهم المقام فيها ، تاركين حياة البداوة والترحال التي كانوا عليها سابقاً لعدة قرون ، فاستوطنوا المدن والقرى وسكنوا المنازل والقصور التي استولوا عليها من سكان أرض كنعان واخذت ممارسات بني اسرائيل لأموال دينهم تمشي في طريق منتظمة تحت اشراف الفقهاء والرهبان وسدنة كنسهم ومذابحهم ومعظمهم كانوا من نسل لاوي بن يعقوب - كما اسلفنا - وكان رؤسائهم السياسيون في ذلك الوقت من القضاة وعندما اتسع نفوذ اليهود أصبح رؤسائهم السياسيون ملوكاً واصحاب سلطان كبير ومنهم جاء النبي داود ومن بعده ابنه النبي سليمان عليهما السلام .

### نكبة الغزو البابلي :

في العام ٥٨٧ ق. م . أغار ملك بابل حينها نبوخذ نصر - باختصر في الروايات العربية - على أرض كنعان وأنهى ملك بني اسرائيل فيها وأسر أعداداً منهم وأخذهم إلى بابل وقد ظلوا في الأسر قرابة الخمسين عاماً ولم ينقذهم منه سوى الملك الفارسي كورش ( قورش ) الذي تغلب على البابليين وهزمهم في عقر دارهم ، عام ٥٣٨ ق . م . وهو الذي أطلق سراح بني اسرائيل - وأطلق عليهم اسم اليهود - فعاد الكثير منهم إلى أرض كنعان واستعادوا حياتهم السابقة ، لكنهم ظلوا تحت حكم الفرس وسيطرتهم قرابة قرنين من الزمن إلى أن هُزم الفرس من الإسكندر المقدوني في تلك الفترة ، فاستولى المقدونيون ومن بعدهم اليونان على أرض كنعان .

في تلك الفترة بعث الله المسيح عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل ، لكنهم كذبوه وحالوا صلبه - وشبهه لهم أنهم فعلوا ذلك - واضطهدوا المؤمنين به .

وفي عام ١٣٥م اخمد الرومان في عهد الإمبراطور هاردين ثورة اليهود في أورشليم ضد حكمهم قادها زعيمهم اسكندر جاينوس الذي كاد أن ينجح في تحرير اليهود ، لكن الرومان أخذوا منهم أورشليم ، مما اضطر اليهود إلى الهجرة منها طلباً للنجاة بحياتهم خصوصاً بعدما شن الرومان حملة إبادة

جماعية ضدهم - انتقاماً منهم لأتباع المسيح عليه السلام - وأرسل الرومان زعماء اليهود وحاخاماتهم إلى روما مكبلين بالحديد ، بعدما هدموا هيكلهم المقدس الذي أعادوا بنائه .. ومن تلك الفترة بدأ تشريد اليهود وترك معظمهم أرض كنعان ، مهاجرين إلى كل بلاد العالم ، منهم من ذهب إلى اليمن وآخرين إلى مصر وبلاد المغرب والبعض ذهب إلى العراق وإيران ، ويشير القرآن إلى تلك الفترة في سورة الإسراء بقوله تعالى : { وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ } فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۗ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ } .

### أصل التسمية :

ينسب اليهود أنفسهم إلى النبي ابراهيم عليه السلام ويطلقون على أنفسهم اسم العبرانيون وحالياً يستخدمون اسم الدولة العبرية على دولة فلسطين المحتلة ، مع العلم بأن العبرية تسمية سابقة على وجود موسى - عليه الصلاة والسلام - ودعوته لليهود بقرون عديدة ، وكلمة عبري " تدل على من انحدر من ذرية ابراهيم عليه السلام وسمي كذلك لأن ابراهيم عبر النهر والمحمتمل أن يكون نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن " (٢) .

والإسم ( عبيرو ) أو ( هبيرو ) كان يطلق على كل من يعيش حياة البداوة ويعتمد على الترحال المستمر " وهي نمط اجتماعي لا علاقة لها ولا ارتباط بعقيدة أو دعوة دينية وقد سُمي أحد أجداد ابراهيم الخليل عابر بسبب الترحال وكذلك سُمي إبرام العبراني كما ورد في سفر الخروج " (٣) .

كان بنو اسرائيل في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان وترحل مع ابلها ومواشيها من بقعة إلى أخرى بحثاً عن الماء والمرعى وكلمة عبري مشتقة من الفعل الثلاثي عَبَرَ بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عبرة إلى عبرة ، وعبر السبيل : شقها ، المعاني السابقة موجودة في العربية والعبرية وتدل على التنقل والتحول الذي يتميز به سكان البادية ، وكلمة عبري تشبه كلمة البدوي وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني اسرائيل بالعبريين ، لعلاقتهم بالصحراء وتميزاً لهم عن أهل العمران وعندما استوطن بنو اسرائيل أرض كنعان وعرفوا

الاستقرار والتّمدّن صاروا ينفرون من كلمة عبري ، لأنها تذكرهم بماضيهم وحياتهم الأولى - حياة البداوة والخشونة - وأصبحوا يحبون أن يُعرفوا ببني إسرائيل فقط (٤) .

يدعي اليهود بأنهم اسرائيليون - نسبة إلى يعقوب عليه السلام - الذي لقب اسرائيل والإسرايلية بهذا المعنى ليست انتماءً دينياً عقدياً على الإطلاق وإنما انتماءً لنسب يعقوب بسبب الأسم الذي أعطى له على شكل مباركة من الرب كما ورد في سفر التكوين من العهد القديم ويتكون الأسم من " مقطعين : إسرا : عبد ، وإيل : الإله ومعناه عبد الإله ولكن هذا الانتساب ليعقوب ( اسرائيل ) عليه السلام غير سليم من قبل يهود اليوم لأن يهود العالم ليسوا كلهم من نسل يعقوب ولا حتى النزر القليل منهم " (٥) .

وبعد احتلال الملك الفارسي ( قورش ) لبابل في العراق عام ٥٥٨ ق.م وتحريره لليهود من الأسر البابلي ، أطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود وعلى عقيدتهم اسم اليهودية " ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة اليهود تعني من اعتنق اليهودية ولم يكن من بني إسرائيل " (٦) .

ويصفهم الشهرستاني بالقول : " هاد الرجل أي رجع وتاب وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام إن هدنا إليك أي رجعنا وتضرعنا . وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء " (٧) . وقيل في تسميته باليهود : " هم الذين هادوا أي مالوا عن دين موسى أو هم الذين تهودوا ويقول عنهم عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة " (٨) .

والاسم الأكثر انتشاراً وقبولاً أنهم يهود ، والاسم لغة من الهود ويعني " التوبة ، هاد أو تهود : تاب وإنما لزمهم هذا الاسم لما جاء في النص القرآني بلسان موسى عليه السلام ( إنا هدنا إليك ) ومنهم من ذهب القول بأن اليهودية نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل الأنثى عشر " (٩) .

والأسباط الأنثى عشر هم : أشير ، أفرايم ، بنيامين ، جاد ، دان ، رأوبين ، زبولون ، شمعون ، لاوي ، نفتالي ، يساكر ، يهوذا .

وهناك من يرى أن اليهودية هي الموسوية عينها واحتمال اشتقاق تسمية اليهود نسبة إلى يهوذا " احتمال لا مبرر له ، لأن الأسباط كانوا بعد موسى عليه السلام بما يزيد عن ثمانية قرون واليهودية هي الموسوية نفسها وبذلك يكون الأسم في الغالب مستخدماً من قبل عهد يهوذا السبط " (١٠) .

وتعترف الموسوعة الميسرة اليهودية بأنها : " ديانة العبرانيين المنحدرين من ابراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط ( بني اسرائيل ) الذين أرسل الله اليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ، ليكون لهم نبياً . واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب وهذه بدورها قد اختلفت في أصلها وقد تكون منسوبة إلى يهوذا أحد ابناء يعقوب وعممت على الشعب على سبيل التغليب " (١١)

ويذكرهم القرآن تارة باسم اليهود وأخرى بنو اسرائيل وتقوم عبارة ( الذين هادوا ) القرآنية في بعض المواضع مقام لفظ اليهود وليس هناك ترادف في القرآن ، فهو يطلق عليهم اسم اليهود عندما يتحدث عنهم بسخط وتنديد بأعمالهم أو عند حكاية ما أصابهم من الذل والعبودية نتيجة لفساد أفكارهم وسوء نفسياتهم ونياتهم ، كما قال تعالى عنهم : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ } { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۗ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا } .

يمتد تاريخ اليهودية لأكثر من ٣٠٠٠ سنة. وللديانة اليهودية جذور كدين منظم في الشرق الأوسط خلال العصر البرونزي وتعدّ اليهودية واحدة من أقدم الديانات التوحيدية - سابقاً قبل تحريفها - وكان يُشار إلى العبرانيين وبنو إسرائيل باسم يهود وفي كتب لاحقة في بعض أسفارهم ، استبدل مصطلح اليهود بمصطلح أبناء إسرائيل .

وقد أثرت العديد من جوانب اليهودية بشكل مباشر أو غير مباشر على الأخلاق العلمانية الغربية والقانون المدني وكانت العقيدة الدينية عاملاً مهماً في تطور الحضارة الغربية القديمة مثل الهلنستية واليهودية كخلفية للمسيحية، وشكلت إلى حد كبير المثل والأخلاق الغربية منذ المسيحية المبكرة. وما ميّز ويُميّز التاريخ اليهودي قدرته على " التكيف والاستمرار في البقاء ، فخلال أربعة آلاف سنة من المواجهة الحضارية مع البابليين والمصريين القدماء والرومان الوثنيين ثم الثقافة الإسلامية ومن بعد الحضارة الغربية المسيحية والثقافات العلمانية المعاصرة استطاعوا هضم وتمثل العناصر الأجنبية ، مما هيأ تقاليد عنصرية وثقافية متوارثة ومتواصلة بلا انقطاع " . وما كان يمكن لليهودية أن تستمر بدون وجود تراث مكتوب يتناقلونه جيلاً بعد جيل وكان سبباً جوهرياً فيحفظ كيانهم الذي تعرض لكثير من المحن .

### الكتب المقدسة عند اليهود :

الكتب المقدسة في اليهودية تتميز بالكثرة وبأنها استوعبت كل تفاصيل حياتهم في فترات التاريخ الممتدة عبر قرون ، وبأنها تشمل كل تفاصيل الحياة ، للفرد والمجتمع اليهودي منذ الولادة وحتى الوفاة .

ترتكز الديانة اليهودية على ثلاثة قواعد هي :

" الشريعة ( التوراة ) وتثنية تكرر الشريعة ( المشناة ) وفقه الشريعة (

الجمارا ) ومن جميع نصوص المشناة والجمارا يتألف كتاب في أربعين مجلداً يُعرف كجموعها بالتلمود " (١٣) .

وتعرف الكتب المقدسة في اليهودية باسم العهد القديم وهو " مجموعة مؤلفات خطية يُسميها اليهود الشريعة أو التوراة والأنبياء والمؤلفات أو الكتب " (١٤) .

ويراد بكلمة العهد لدى اليهود : الميثاق وذلك يعني أن تلك الأسفار تمثل ميثاقاً أخذه الرب عليهم وارتبطوا به معه ، والعهد القديم هو النص الرئيس الذي

تقوم عليه اليهودية وهي التسمية العلمية لأسفارهم وهو في صورته التي وصل

الينا يحتوي على ثلاثة أقسام هي : التوراة والأنبياء والكتب وقد تطلق التوراة

على الجميع " من باب اطلاق الجزء على الكل وهي ليست إلا جزءاً من العهد

القديم ويطلق عليها الكل لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى أبرز زعماء بني

اسرائيل حيث يبدأ تاريخهم عنده " (١٥) .

والتوراة والأنبياء يسيران في نسق تاريخي متصل ويحكيان قصة حياة

العبرانيين من البداية وحتى عودتهم من السبي البابلي - في القرنين الخامس

والرابع ق . م - ويعتبران بمثابة ملحمة " تدرس في نفس القارئ ايماناً

بعبرية هذه الفئة الصغيرة من الناس ويطولتها في مواجهة الأحداث الضارية

على مدى ألف وخمسمائة سنة من الزمان " (١٦) .

يومن اليهود - على اختلاف فرقهم - بأسفار العهد القديم ويزعمون أنها قد

وصلت اليهم " بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا اليهم قبل عيسى بن مريم فهي

عندهم وحيٌ تنزّل يستمدون منها عقيدتهم وشريعتهم ونظمهم واخلاقهم

ويستندون اليها في معرفة تاريخهم وأيامهم " (١٧) .

وقد كتبت اسفار العهد القديم على مدى يربو على تسعة قرون - وبلغات

مختلفة - واعتمدوا في كتابتها على التراث الشفاهي وقد صححت أكثر من

مرة واكتملت أكثرها بسبب أحداث وقعت وبسبب ضرورات خاصة استجدت

في عصور متباعدة و التوراة - أو أسفار موسى الخمسة كما يدعوها البعض -

ليست كلام الله إلى موسى " إذ يستحيل أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف

مات - ورد ذلك في سفر التثنية الإصحاح ٣٤ من ٥ - ١٢ - وفي العهد القديم روايات مختلفة عن موضوع واحد وأخطاء تاريخية وأمور متناقضة وأخرى غير معقولة أو يستحيل أن تتفق مع المعطيات العلمية الثابتة " (١٨) .

وتتعدل في اليهودية أهمية الشريعة المكتوبة ( التوراة ) وكتب الأنبياء مع أهمية الشريعة الشفوية المعروفة بشروحات الحاخامات المجموعة في التلمود

**التوراة :**

يعترف القرآن بالتوراة التي أنزلت على موسى - عليه الصلاة والسلام - ويتحدث عنها بأنه استوعبت جميع تفاصيل الديانة الموسوية : عقائدها وشرائعها وأخلاقها وقصصها وقد وضح القرآن ذلك بقوله :

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا

وَالرَّبَّابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } المائدة : ٤٤

ويقول عنها تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ

فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا } الأعراف : ١٤٥

ويوضح القرآن اليهود بأنهم قد أهملوا بعضاً من التوراة التي أنزلت على موسى فضاع وحرفوا بعضها الآخر ، كما قال تعالى : { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

مَوَاضِعِهِ ۗ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } المائدة : ١٣

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت ، والتوراة أو " تورة لفظ عبري معناه الهدى والإرشاد أو التعليم أو الشريعة وتسمى كذلك بالناموس أو ناموس موسى ، من الكلمة اليونانية ( نوموس ) ومعناها شريعة أو قانون " (١٩) .

وقد اشتملت التوراة بأسرها على دلالات وآيات " تدل على كون شريعة نبينا المصطفى عليه السلام حقاً وكون صاحب الشريعة صادقاً وما حرفوه وغيروه وبدلوه ، إما تحريفاً من حيث الكتابة والصورة وإما تحريفاً من حيث التفسير والتأويل وأظهرها ذكر ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل ودعاؤه في حقه وفي حق ذريته وإجابة الرب تعالى إياه : إني باركت على اسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخير كله وسأظهرهم على الأمم كلها وسأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتي " (٢٠) .

ويمكن أن يتبادر سؤال لذهن القارئ : متى ظهرت التوراة المحرفة ؟

## بدء كتابة التوراة المحرفة :

بدء حاخامات وكهنة اليهود بكتابة التوراة في القرن السادس قبل الميلاد ، عقب ترحيلهم من قبل نبوخذ نصر إلى بابل وبعد وفاة موسى عليه السلام بثلاث مائة عام وباللغة التي عُرفت لاحقاً بالعبرية أو بأرامية التوراة - كما تسمى لدى بعض الباحثين - والتي لا زالت موجودة حتى اليوم وهي غير التوراة التي أنزلت على موسى - عليه الصلاة والسلام - فقد تم تحريف بعضها ونسيان البعض الآخر منها وإضافة الكثير إليها ، بما يناسب أهواء واضعبيها ويتبين من قراءتها أن اليهود " قد انحرفوا عن ديانة موسى وعبدوا الاوثان وابتدعوا إلهاً خاصاً بهم هو ( يهوه ) لا يهتم من العالم والخلق غير اليهود ( شعبه المختار ) وذلك على غرار مبدأ التفريد الذي اعتنقته الأقوام القديمة وقد أخذ اليهود ذلك من البابليين عندما دونوا توراتهم في بابل " (٢١) .

كان اليهود يضيفون للتوراة ما يتوافق مع أهوائهم ومصالحهم ويستبعدون منها كل ما يتناقض مع كونهم شعب الله المختار والنتيجة " أن اليهود كتبوا التوراة انعكاساً لأخلاقهم وآمالهم وكانت لهم أهداف ومقاصد يريدونها وخاصة تبرئة أنفسهم من العيوب والصاقتها بغيرهم وصبغ أنفسهم ونسلهم بالمهتدين ورمي الآخرين بالضلال " (٢٢) .

ومن الأشياء التي تدعو للعجب والاستغراب أن في التوراة أن " الأسباط من بني اسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بني اسماعيل ويعلمون أن في ذلك الشعب علماً لدنياً لم تشتمل التوراة عليه وورد في التواريخ أن أولاد اسماعيل عليه السلام كانوا يسمون آل الله وأهل الله وأولاد اسرائيل آل يعقوب وآل موسى وآل هارون وذلك كسر عظيم " (٢٣) .

وكانت غاية اليهود من كتابة التوراة هي : " تمجيدهم لأنفسهم ليكونوا صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب وذلك بإرجاع أصلهم إلى أقدم شخصية قديمة ابراهيم عليه السلام وقد حالفهم في سرد تاريخهم حسب أهوائهم مسبغين عليه صفة دينية ليضمنوا قبوله من اتباعهم فارجعوا تاريخهم إلى ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب " (٢٤) .

والدليل على أن التوراة الموجودة حالياً لدى اليهود ليست توراة موسى عليه السلام ، أنها منقطعة السند إلى موسى و" ليس لدى اليهود إي سند يرجع التوراة الحالية إلى موسى إلا مجرد النسبة وهي لا تكفي ولأنه وجدت أسفار أخرى منسوبة إلى موسى كسفر اليوبيلات أو التكوين الصغرى وسفر انتقال موسى ولكنها رفضت من قبل اليهود والنصارى واعتبرت منحولة ولا تمت

لموسى بصلة مع أن التوراة الحالية تشترك معها في انقطاع السند فكان الواجب رد التوراة كما ردت تلك الأسفار " (٢٥) .

تصرف اليهود حيال التوراة الحالية ينطبق عليه قوله تعالى { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُم مِّثْلًا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ { البقرة : ٨٥

### تقسيمات العهد القديم وتعداد اسفاره :

قسم اليهود - ما عدا السامريون - العهد القديم إلى ثلاثة أقسام ، انطلاقاً من القانون العبري الذي ثبت واختتم نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين وتلك الأقسام هي :

#### ١ - القسم الأول التوراة :

و تتكون التوراة الحالية من خمسة كتب - أو أسفار- وقد كانت سابقاً تشكل كتاباً واحداً، ثم قسمت إلى خمسة أسفار خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ، ليسهل استعمالها وتلاوتها اثناء صلاة اليهود الجماعي وهي :

- سفر التكوين : يعرض لقصة خلق وتكوين العالم وبناء السموات والأرض ونشأة آدم وحواء وقصة نوح عليه السلام وأخبار الطوفان وقصة سام بن نوح - الذي ينتمي اليه اليهود - وقصة ابراهيم واسماعيل واسحاق - عليهم السلام - وقصة يعقوب عليه السلام والملقب بإسرائيل وابنائيه الاثني عشر وقصة رحيلهم إلى مصر عندما دعاهم يوسف عليه السلام .

ويتكون من ٥٠ اصحاحاً ويحتوي على ١٥٤٢ فقرة .

- سفر الخروج : فيه استعراض لتاريخ بني اسرائيل في مصر وقصة موسى عليه السلام - ودعوته فرعون لعبادة الله و خروجه من مصر مع بني اسرائيل قاصدين أرض كنعان وعصيائهم وتمردهم عليه وعلى هارون وفيه قصة انفلاق البحر لبني اسرائيل وعبورهم له وغرق فرعون فيه .

وفيه قصة التيه في صحراء سيناء أربعين سنة حرّم الله عليهم فيها دخول الأرض المقدسة التي كانت مقصدهم ووعد الله لهم ويحتوي كذلك على متفرقات من أحكام شريعة موسى عليه السلام .

ويتكون من ٤٠ اصحاحاً ويحتوي على ١٢٢٤ فقرة .

- سفر التثنية : يحتوي على الأحكام المتعلقة بمسائل العبادة وطقوسها وخاصة ما يتعلق بأحكام المعاملات والحروب والاقتصاد ، ويتكون من ٣٤ اصحاحاً ويحتوي على ٩٦٤ فقرة .

- سفر اللاويين : اللاويون هم من نسل ( لاوي ) أحد ابناء يعقوب - ومنهم موسى و هارون عليهما السلام - وقد كانوا سدنة الهيكل والمشرفين على شئون الذبح والقرابين وهم أحبار الشريعة الموسوية وكهنتها وقد أناطت بهم التوراة مهام دينية رفيعة ، لأنهم رجعوا عن عبادة عجل السامري إلى عبادة الرب ومن ثم سُمي السفر باسمهم . يحتوي هذا السفر على الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادة والذبائح والقرابين وطقوس تقديمها بواسطة الكهنة وأحكام المذبح وكذلك المحرمات من الذبائح و يتكون من ٢٧ اصحاحاً ويحتوي على ٨٥٩ فقرة .

- سفر العدد : وفيه إحصاءات لقبائل بني اسرائيل ورؤسائهم وقادة جيوشهم وأموالهم وإحصاء ما يمكن إحصاءه مما يتعلق بهم ويحتوي كذلك على شئون العبادة والمعاملة وما يتعلق بهما من أحكام ويتكون ٣٦ اصحاحاً ويحتوي على ١٣٨٨ فقرة (٢٦) .

## ٢ - القسم الثاني الأنبياء :

وهو عبارة عن مجموعتين - تتكون كل مجموعة من أربعة أسفار - المجموعة الأولى : الأنبياء الأولين وتشمل (يشوع ، القضاة ، صموئيل ، الملوك ) والمجموعة الثانية : الأنبياء الآخرين : ( أشعيا ، إرميا ، حزقيال ، الأثنى عشر وهم : هوشع ، يونس ، عاموس ، عوبديا ، يونس ، ميخا ، ناحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجي ، زكريا ، ملاخي ) .

## ٣ - القسم الثالث الكتب :

ويتكون من إحدى عشر سفاً هي : المزامير ، ايوب ، الأمثال ، راعوت ، نشيد الإنشاد ، الجامعة ، مراثي إرميا ، أستير ، داينال ، عزرا ، نحميا ، أخبار الأيام . وبذلك يكون مجموع الأسفار ٢٤ سفاً (٢٧) . ينسب اليهود أسفار العهد القديم إلى أسماء وشخصيات ، باعتبارهم كتابها ، مع أن أكثرهم لم يكتبوها وبعض من نسبت لهم تلك الأسفار " لم يكونوا موجودين في التاريخ إنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين وبعض هذه الأسفار ليست سوى أساطير وأغنيات شعبية الصقها الكتاب ببعض الأنبياء أو المتنبيين من اليهود " (٢٨) .

لقد تخلص اليهود من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، عندما انحرفت عقائدهم وأصبحت تخالف نصوص التوراة ، فلم يغيروا ويعدلوا عقائدهم الباطلة وإنما حرفوا التوراة وبدلوها بنصوص تتلاءم مع أرائهم الباطلة وتخالف عقيدة الرب وشريعته .

والدليل على ذلك ما نسبوه إلى موسى - عليه السلام - في توراتهم المحرفة كما جاء في سفر التثنية " فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره إلى الآن " (٢٩) .

وهل من المعقول والمنطقي أن يكتب موسى هذا الكلام عن نفسه ؟  
وتلك العبارة حقيقة لم تكتب إلا بعد موت موسى بزمان طويل ، لكن هي حال اليهود كما فضحهم القرآن بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه وهذا يعني أنهم يزورن الحقائق .

### الوصايا العشر :

لم يتبق من توراة موسى - عليه السلام - سوى الوصايا العشر - أو بعضاً منها - وهي " كل ما تبقى من التوراة التي انزلت على موسى وفيما عدا هذه الوصايا من تشريعات فإنه من صنع الكهنة والرهبان أبناء لاوي الذين لهم الحق في وضع الأحكام للعبرانيين " (٣٠) .  
والوصايا العشر التوراتية هي :

- ١- أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي وتدل هذه الوصية على وحدانية الله .
- ٢- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من الأرض ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور ، أفنقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي .  
وتنتهي هذه الوصية عن عبادة الأصنام والأوثان .
- ٣- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً هذه الوصية تنهى عن الحلف باسم الرب بالباطل .
- ٤- اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملاً ما ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح في اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقده .
- ٥- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يُعطيك الرب إلهك .  
هذه الوصية توصي بالبر للوالدين وطاعتها .
- ٦- لا تقتل .
- ٧- لا تزني .

٨ - لا تسرق .

٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ - لا تشتهي بيت قريبك ولا تشتهي أمراه قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك (٣١) .

ويمكن أن لاحظ أن الوصية الرابعة ليست صحيحة ، لأنها تتناقض مع ما ورد في القرآن في قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } ق : ٣٨

فهي تنفي أن الله سبحانه وتعالى قد استراح يوم السبت كما ادعى اليهود وهذا يعني أن هذه الوصية من توراة اليهود المنتحلة وليست من التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وكذلك الوصيتان التاسعة والعاشره التي تنهى عن شهادة الزور على اليهودي واشتهاء كل ما يخصه وتبيح كل ذلك على غيرهم وهذه النزعة العنصرية ما أنزل الله بها من سلطان وإنما هي من تقولات اليهود ، أما باقي الوصايا فهي عينها الموجودة في الوصايا التي تحدث عنها القرآن في سورة الانعام وسورة الأسراء والتي سماها الحكمة ، عندما اختتم الوصايا التي تأمر بعبادة الله وطاعة الوالدين بقوله تعالى : { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى

إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } الأسراء : ٤٠

وقد أوصى حاخامات التلمود منذ القدم بأن لا يمر على اليهودي أكثر من ثلاثة أيام من غير تلاوة فردية متدبرة للتوراة وأوصوا بالتلاوة الجماعية للأسفار الخمسة صباح ومساء السبت وأيام الخميس والأثنين من كل اسبوع ، من أجل ذلك جزئت التوراة إلى ٥٤ جزء ( سدره كما تعرف بالعبرية ) ورتبت بحيث تتم تلاوتها على أيام السنة - ختمة سنوية - وقد جرت العادة لديهم في أرض كنعان أن تختم التوراة خلال ثلاث سنوات ، ثم انقرضت تلك السنة المتبعة وحلت بدلاً عنها الختمة السنوية كما حددها التلمود البابلي (٣٢) .

### التلمود :

يحيوي التلمود الشريعة الشفوية وهو سجل للمناقشات التي دارت بين الحاخامات في الحلقات التلمودية عن القضايا الفقهية المسماة لديهم (هالاخاه) والقضايا الوعظية التي تسمى ( آجاده ) وباعتباره سجلا للمناقشات كتب على مدى قرون، ويحيوي موضوعات تاريخية، وتشريعية، وزراعية، وأدبية، وعلمية ،التلمود كلمة عبرية تعني الدراسة و هو " مشتق من الجذر

العبري لامد الذي يعني درس وتعلم كما في عبارة ( تلمود تورا ) أي دراسة الشريعة " (٣٣) .

وهو ما نعنيه في اللغة العربية بكلمة تلميذ وتلمذه ، وينقسم التلمود إلى جزئيين هما :

- المشناة - وتعني بالعبرية المعرفة أو القانون الثاني - وهو المتن أو الأصل والأساس .

- جمارا - تعني الاكتمال بالعبرية - وهي شرح للمشناة ، مع العلم أن مصطلحي التلمود والجمارا يردان عادة بالتوازي .

والمشناة هي "أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التورا جمعها يهوذا هاناس فيما بين ١٩٠ - ٢٠٠ م " (٣٤) .

وقد أدى ذلك التقسيم لظهور تلمودين اثنين هما :

- التلمود الغربي ويسمى التلمود الأورشليمي ، تيمناً وتمسحاً بمدينة أورشليم وتبركاً بها .

- التلمود الشرقي ، المسمى التلمود البابلي تذكيراً لليهود بقوة البحث الديني في العراق منذ السبي البابلي لهم على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق . م .

ولكن عندما ترد عبارة التلمود مجرة من النعت أو محلاة بأداة التعريف ، فهي تعني تحديداً " التلمود البابلي وذلك على أساس المزية والأفضلية والتفوق ولما كانت الجمارا البابلية أكمل وأشمل من الجمارا الفلسطينية فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً وهو الكتاب القياسي عند اليهود " (٣٥) .

وقد بدأ أول تدوين فعلي للتراث الديني اليهودي في القرن الخامس قبل الميلاد على يد ( عزرا ) الكاتب الذي يُعده اليهود واحداً من انبيائهم التالين وله في العهد القديم سفر خاص به ورد فيه لقبه عزرا الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وهو المدون الأول لأسفار اليهود والمؤسس الفعلي لليهودية الباكرا المستندة إلى التورا ( كتاب العهد ) وقد قام بمتابعة مهمة التدوين بعده طائفة من كتبة الشريعة الذين جمعوا أسفار التورا وشرحوها وربطوا التراث شفاهياً وراحوا يتناقلونه كشرح متواتر وعلى امتداد ٣٠٠ عام وقد قاموا باستنباط أحكام التورا وتكيفها حتى أضحت شريعة تفاعلية (٣٦) .

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً سماوياً منزلاً ويضعه البعض في منزلة التورا ، على اعتبار أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى موسى - عليه الصلاة والسلام - مدونة في طور سيناء ، لكنه أرسل على يديه التلمود شفاهياً ، وبعض اليهود يضعون التلمود فوق منزلة التورا ويعتقدون أن الخلاص يكون

بالاشتغال به وحده - دون التوراة - لأن أقوال الحاخامات الذين تولوا تدوينه أفضل مما جاء في شريعة موسى ، والتلمود وإن كان أقوال " الحاخامات فهو ايضاً في مكانة التوراة لأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحيّ وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب " (٣٧).

فمن يخالف شريعة موسى لديهم خطيئته قد تغتفر أما من يخالف التلمود وأقوال الحاخامات ، فيعاقب بالقتل في الدنيا ومصيره إلى جهنم وبحسب منطوق التلمود أن " كل من تسول له نفسه الخائبة معصية الحاخام يستحق الموت ويعاقب في الجحيم بأن يسلق في النجاسة المغلية " (٣٨).

وهذا افتراء من افتراءات اليهود على الله سبحانه وتعالى وينطبق عليهم قوله تعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ } التوبة : ٣١ .

وهو يشبه بعض الفرق الإسلامية - من المتأثرين بالتراث اليهودي - التي تضع قداسة لنصوص الاحاديث التي دونت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمأتي عام يوازي قداسة النص الديني ، ويتفوق عليه لدى البعض - الأوزاعي مثلاً - الذي قال أن السنة قاضية على القرآن وليس القرآن قاضياً على السنة .

يتخذ اليهود التلمود دستوراً للعمل به يهدفون من خلاله السيطرة على العالم واحتواء الأديان والأمم الأخرى والتلمود مركب عجيب " لأراء متناقضة أحياناً ويختلف في كثير من أحكامه عن التوراة فهو يُتيح الربا وتقديم الأطفال قرباناً للإله ويبيح الفسق ولا يجوز لليهودي معالجة الأجانب إلا بقصد الحصول على المال ولا يجوز له انقاذ أرواح الأجانب في مواسم الأمراض ولا ينبغي رد الأشياء التي يفقدها الأجانب " (٣٩) .

### فرق اليهود وطوائفهم الرئيسية :

لليهود العديد من الفرق والطوائف ، لكن أشهرها الفرق التالية :

١ - السامرية : وهو يقولون أن القدس هي نابلس ولا يعرفون لبيت المقدس حرمة ولا يعظمونه - كبقية فرق اليهود - ولهم تورا غير التوراة التي مع سائر اليهود ويبطلون كل نبوة جاءت في بني اسرائيل بعد موسى - عليه السلام - وبعد يوشع ويكذبون بنوّة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس وعاموس وحبقون وزكريا وارميا وغيرهم وهم لا يقرون بالبعث البتة

ويسكنون الشام ولا يستحلون الخروج عنها ولا يُعد السامريون " في نظر اليهود فرقة يهودية وإنما هم في نظرهم ديانة هجينة تلفيقية " (٤٠).

وإلى هذه الفرقة ينتسب السامري الذي أخرج لليهود عجلًا له خوار فعبدوه كما حكى القرآن ذلك ، لا تؤمن هذه الفرقة " إلا بسبعة أسفار فقط من العهد القديم وهي : التكوين ، الخروج ، اللاويين ( أو الاحبار ) العدد ، تثنية الاشتراع ، يشوع ، القضاة ، ولا يوجد لديها أي تقسيم للأسفار " (٤١).

وقد احتدم الخلاف واشتدت الخصومة بين السامريون وبقية فرق اليهود انتهت إلى عداوة راسخة وانفصال تام ، فمنعهم اليهود من أداء الصلوات والطقوس الدينية في المعبد السليماني الذي أعيد بنائه - بعد عودة اليهود من الأسر البابلي عام ٥٣٨ ق. م - من أجل ذلك بنى السامريون معبداً خاصاً بهم على جبل جرزيم المقدس قرب مدينة نابلس مما وسع هوة الخلاف بينهم وبين بقية اليهود .

٢- الصدوقية ( الصدوقيون ) : ينتسبون إلى رجلٍ يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن عزير - الذي وردت قصته في سورة البقرة - هو ابن الله تعالى الله عن ذلك وكانوا يسكنون اليمن ، والذي يجمع هذه الفرقة :

- انكارهم التام لبعث الأجسام وإنكار الملائكة والأرواح .
- رفض العمل بالتلمود لاعتقادهم الصارم بأن السبيل الوحيد لحفظ الدين هو التمسك الحرفي الشديد بأحكام التوراة المدونة ووجوب فرضها بالكامل .
- مناهضة ورفض كل أمر لم يثبت بنصٍ باعتباره بدعة مستحدثة .
- دفع انكارهم للبعث وليوم القيامة الكثير منهم للاستغراق التام في حياة اللهو والترف والسقوط في الاباحية الاخلاقية .
- تصورهم القومي للألوهية وبأن الله سبحانه وتعالى إله بني إسرائيل وحدهم (٤٢)

٣ - العنانية أو ( القراؤون ) : تزامن ظهورها مع تفاقم قوة الإسلام و انتشار سلطانه في الأرض - خصوصاً أيام فترة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ( ت ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م ) وهم أصحاب عانان الداودي اليهودي وتسميهم اليهود القرائين والمين وقولهم أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام وهم لا يعترفون بالتلمود ويتبرؤون من قول الأحبار ويكذبونهم وكان شعارهم الجامع : أقرأوا التوراة واتركوا التلمود وهذا الفرقة تتواجد في العراق ومصر والشام وفي طليطلة في الأندلس ؟

٤ - الربانية : وهو القائلون بأقوال الأحرار ومذاهبهم وهي على العموم تشكّل جمهور اليهود.

٥ - العيسوية : وهم اصحاب أبي موسى الأصبهاني في أصبهان ، يقولون أن عيسى يبعثه الله إلى بني اسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد انبياء بني اسرائيل وأن محمداً - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بني اسماعيل عليه السلام إلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً في عيص وبلعام نبياً في موآب (٤٣).

٦ - الفريسيون : اسم هذه الفرقة مشتق من الكلمة العبرية بروشيم والتي قد تعني المدح بدلالة : الذين اعتزلوا غيرهم أو تعني القدح والذم وتعني المنفصلون عن غيرهم ، وقد اعتبروا أنفسهم أكثر الجماعات اليهودية التزاماً بالتوراة ويعدّون أكثر المفسرين دقة للتوراة وقد عرفوا بالزهد في الحياة واعتبروا أنفسهم السلف الصالح لأباء الشريعة الموسوية (٤٤).

٧ - الأسينيون : زادت معرفة المؤرخين بهذه الفرقة بعد اكتشاف الواح البحر الميت في قمران عام ١٩٤٧م وهم ليسوا فرقة دينية خالصة كالفرسيين أو حزباً سياسياً بالدرجة الأولى كالصدوقيين وإنما مثلوا ظاهرة دينية اجتماعية قريبة في نظمها وسلوكها من الرهبنة المسيحية وعرفوا باهتمامهم بالطب الروحاني واشتغالهم بالأعشاب الطبية وتصنيفها وبالأحجار الكريمة والمعادن ، وعرفوا بكراهيتهم للمال ومعاشرة الأغنياء وكانوا لا يحبذون الزواج - وإن لم يمنعوه - ولا تقيم النساء بينهم وينكرون نظام العبودية أشد الأنكار باعتباره مدعاةً للظلم (٤٥).

وقد تسمى هذه الفرقة لدى البعض بالحسدبين - من كلمة حسديم العبرية وتعني المشفقين - وهي فرقة حديثة الظهور بالنسبة للفرق الأخرى القديمة ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد وتختلف عن بقية الفرق اليهودية اختلافاً جوهرياً في عقائدها وعباداتها وتقاليدها ، فهي تحرّم الأضاحي والقرايين - والتي تعتبر لدى اليهود من أهم العبادات وقد خصصوا لها سفراً هو سفر اللاويين - وتتنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية (٤٦).

لقد كان للفريسيين التأثير الأكبر اتساعاً والأكثر انتشاراً في تطور الفكر الديني اليهودي من بين جميع الفرق اليهودية ، فبينما انقرضت الفرق الأخرى بعد تدمير أورشليم والهدم الثاني للهيكل عام ٧٠ م ، فإن تراث الفريسيين ظل مستمراً واعتبر الربانيون أنفسهم خلفاء للفريسيين .

ما سبق يحتم علينا أن نتعرف على عقائد اليهود الموجودة في كتبهم المقدسة .

## المفاهيم والعقائد اليهودية :

اليهودية في عقيدة المؤمنين بها تقوم على جملة أصول هي :

١ - عقيدة توحيد الله وهي ترفض وتتكفر كل صور الشرك والوثنية .

٢ - عقيدة الاختيار الإلهي لبني اسرائيل وادعائهم - زوراً وبهتاناً - أنهم شعب الله المختار .

٣ - عقيدة توريث الأرض المقدسة لسيدنا ابراهيم ومن بعده ليعقوب ومن بعده لموسى - عليهم الصلاة والسلام - والتي تؤكد التوراة - كما يزعمون - في عدة مواضع .

٤ - عقيدة المخلص المنتظر وهذه ظاهرة اختصت بها العقلية اليهودية ورسخت في أذهان اليهود منذ القدم ونعني بها انتظار المخلص المنقذ الموعود ، ليُعيد إلى لبني اسرائيل مجدهم الغابر وينقذها من الظلم والظلمات وتقام الصلاة الدائمة انتظاراً لمجيئه<sup>(٤٧)</sup> .

## عقائد اليهود المنحرفة في الإله :

الله في التوراة التي جاء بها موسى - عليه الصلاة والسلام - واحد أحد، ومفهوم الإله في اليهودية هو ذلك المستمد من الأسفار الأولى في التوراة، فالله هو فرد صمد قادر رحيم عادل خلق الناس لتعدل وترحم بعضها بعضاً، وجميع الناس تستحق أن تعامل باحترام وكرامة ، لكن اليهود حرّفوا وغيروا التوراة .

كان اليهود حال ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحلاً ، يخافون شياطين الهواء ويعبدون " الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي أكل العشب رمزاً لإلههم " <sup>(٤٨)</sup> .

ولم يستطع اليهود في أي فترة من فترات تأريخهم الممتد لقرون متعددة أن يظلوا على عبادة التوحيد وأن يستقروا على عبادة " الله الواحد الذي دعا له الأنبياء وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تأريخهم وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم " <sup>(٤٩)</sup> .

فقد عرف اليهود الله باسم ( يهوه ) ولا يمكن الفصل بقول جامع مانع وحاسم عن التاريخ الذي بدأت فيه عبادة الله لديهم بهذا الاسم ، ففي أقد الوثائق التاريخية التي كتبت " في اليهودية في القرن الثامن قبل الميلاد - والتي عرفت بالحرف جيم - دُعي الله بالاسم يهوه منذ بدء الجنس البشري في جنة عدن . أما في وثيقة أخرى - أطلق عليها الحرف إ - وذاعت في شمال فلسطين فإن أسم الله ( يهوه ) قد أوحى إلى موسى في العليقة المشتعلة بالنار في مدين " (٥٠) . وقد دعاهم موسى - عليه السلام - إلى عبادة الله وحده ونبت عبادة الأوثان والأصنام وقيل أنه " أول من سمى الإله ( يهوا ) وهو اسم لا يُعرف اشتقاقه على التحقيق ، فيصح أنه من مادة الحياة ويصح أنه نداء لضمير الغائب ، لأن بني اسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيراً ويكتفون بالإشارة اليه ويصبح غير ذلك من الفروض " (٥١) .

وكلمة يهوه يمكن ترجمتها بمعان متعددة منها : " سأكون ما أريد أن اكونه ( أنا الذي هو أنا ) ( أنا هو الذي أكون ) أي الخالق وقد اعتبر اليهود هذه الكلمة في غاية القداسة وهي أقدس من أن تلفظ لذلك عندما كانوا يصلون إليها في قراءتهم كانوا يستبدلونها بكلمة أدوناي ، أي الرب أو السيد " (٥٢) .  
والإله يهوه عند اليهود كما صورته أنفسهم المريضة إله على شاكلتهم هم ولهم وحدهم فقط ، فهو " ليس إلهاً معصوماً بل يخطئ ويثور ويقع في الندم وهو يأمر بالسرقة وهو قاس متعصب مدمر لشعبه ، إنه إله بني اسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآخرين ويزعمون أنه يسير أمام جماعة من بني اسرائيل في عمود من سحب " (٥٣) .

والصفات الذي يذكرها اليهود في كتبهم وأسفارهم المتعددة - من التوراة أو التلمود أو غيرها - للإله يهوه " تتبعد كل البعد عما يتصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتدينين وتجعله هذه الصفات لا مرشداً وهادياً وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم " (٥٤) .

وسوف نحاول تتبع صفات الإله الذي خلقه اليهود لأنفسهم وعلى شاكلتهم المريضة ، كي نفهم أكثر طبيعة اليهودية الحالية المنحرفة .

### صفات إله اليهود :

والإله اليهودي ( يهوه ) لا يطالبهم بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء والشاهد على ذلك أنه يطلب من اليهود أن يُميّزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين .

ومن صفاته أيضاً أنه لا يرى أنه معصوم من الخطأ ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى رضاه بأن يكون شاؤول ملكاً ، وإلههم ( يهوه ) الذي أدعوه تراه في كتبهم من حين لأخر شرهاً ، غضوباً ، متعطشاً للدماء ، متقلب الأطوار ، نزقاً ، نكداً .. كثير الكلام يحب إلقاء الخطب الطوال وهو كثير الحياء لا يسمح لهم أن يروا منه إلا ظهره فقط وجملة القول : أنه لم يكن للأمم القديمة إله أدمي في كل شيء كإله اليهود (٥٥) .

وقد ظلوا إلى ما بعد وفاة موسى - عليه السلام - ينسبون إلى الإله يهوه " أعمال الإنسان وحركاته فذكروا أنه كان يتمشى في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويخشى مركبات الجبال وأنه دفن موسى حينما مات في موآب " (٥٦)

لقد صور اليهود في كتبهم وأسفارهم الإله يهوه واحداً منهم ، يحمل صفاتهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، هم من خلقوا يهوه من مخيلتهم وأيدولوجياتهم - ولم يخلقهم كما يخلق الرب عباده ، أصبح يهوه لديهم - كما يقول عنه وول ديورانت - إلهاً للجيش يدعو للفتح والاستعمار ، يحارب من أجل شعبه .. وهو إله حرب لأنه لا بد أن يكون إله حرب .. وهو فخور معجب بنفسه كالجندي ، يتقبل الثناء ويشتهي ويحرص على أن يتباهى أنه أغرق المصريين في البحر وهو يرتكب في سبيل انتصار شعبه من ضروب الوحشية ما تشمئز منه النفوس اشمئزاً لا يعادله إلا رضى أخلاق ذلك العصر عنه وهو يأمر شعبه بأن يرتكبوا هم هذه الوحشية ، فهو يذبح أمماً بأكملها راضياً مسروراً من عمله (٥٧) .

وإله اليهود يهوه إله جبار قاسي ، يراجعه موسى عن قسوته فيستجيب ويعلمه الأنبياء مبادئ الأخلاق السامية ويأخذ منهم الحكمة ولا يتعلم منه الأنبياء - بل العكس هو الصحيح - تلك المبادئ "وهو إله جبار يفكر في إهلاك اليهود عن بكرة أبيهم لأنهم عبدوا العجل الذهبي ويضطر موسى أن يراجعه حتى يمتلك عواطفه ... ويعلم ابراهيم يهوه ، كما يعلمه موسى مبادئ الأخلاق السامية وينصحه ألا يهلك سدوم وعموره إذا وجد فيها من الرجال خمسون أو أربعون أو ثلاثون أو عشرون أو عشرة صالحون " (٥٨) .

وبعد أن مات هارون وموسى - عليهما السلام - وفي العهد المسمى لدى اليهود عهد القضاة ، تأثر اليهود بآلهة الكنعانيين في فلسطين ومعبوداتهم ، تأثراً واضحاً وفاضحاً لحقيقة عقيدتهم المنحرفة وابتعادهم عن الديانة التوحيدية التي ينسبها لهم البعض وأصبح إله الكنعانيين " بعل معبوداً لبني إسرائيل في كثير

من قراهم وفي أحوال كثيرة أصبح للكنعانيين معبد واحد به تمثال يهوه وتمثال بعل وأصبح يهوه ينادى بعل وقد ظل ذلك إلى عهد يوشع " (٥٩) .  
 وإذا أردنا أن نعرف ذات الله وطبيعته في اليهودية ، فلا بد من دراسة أقوال الأنبياء ، أما تصرفات الشعب والملوك والقادة " فقد حادت في فترات كثيرة عن جادة الصواب والحق وانغمست في آراء وأفعال لا تمت بصلة إلى وحدانية الله وبره وعدله " (٦٠) .

### تجدد إرسال الرسل والأنبياء لهم :

وتعدد كثرة الأنبياء المرسلين إلى اليهود طوال تاريخهم الممتد لقرون متعددة ، دليل واضح على " تجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى انبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أي حال فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر " (٦١) .  
 وقد مرت عبادة ( يهوه ) لدى اليهود بثلاث مراحل : عبادته قبل بناء الهيكل وعبادته في الهيكل وعبادته بعد تدمير الهيكل على يد نبوخذ نصر في المرحلة التي تعرف بالسبي البابلي .

وقد فضح الله سبحانه وتعالى انحراف اليهود عن عقيدة التوحيد في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة : ٩٣ .

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } البقرة : ٦٨

{ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۗ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } المائدة : ٢٤ .

فهم لم يعترفوا بأن الله - إله موسى - ربهم بل هو رب موسى لوحده فقط كما تقول الآيات السابقة : ادعو لنا ربك ، اذهب أنت وربك .  
 وهذا دليل على أن عقائدهم كانت منحرفة في وجود نبي الله موسى بينهم ، فكيف ستكون تلك العقائد بعد موته ؟

### عقائدهم المنحرفة في أنبياء الله :

طال الانحراف اليهودي عن الشريعة الموسوية جميع جوانب حياة اليهود وعقائدهم وبعضاً من عباداتهم وشرائعهم ونلاحظ ذلك الانحراف والخروج عن تعاليم الشريعة الموسوية في كلامهم عن أنبياء الله المرسلين إليهم - عليهم الصلاة والسلام - الذي دونوه في أسفارهم المنحرفة - والتي تعتبر مقدسة

بالنسبة لهم - وفيها من القذف والسب والافتراء وكيل التهم الباطلة ما يكفي لوصفهم بالكفر وتوجب عليهم لعنة الله الأبدية .

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام - هم صفوة الخلق الذين اختارهم الله واثبت لهم جميعاً علواً في الفطرة وصحة في العقول وحكمة في التصرف وصدقاً في الكلام وحسناً في التعامل مع الناس وأمانة في تبليغ الرسالة وصبراً على المصائب والمحن وحياءً منقطع النظير عن حرمانات الله وأعراض الآخرين وقد عصم الله أنبيائه عن كل ما يشوب السير النبوية في كل عصر ومصر والزم كل مؤمن به وبكتبه ورسله بالاعتقاد بأن الأنبياء والرسل معصومون بمدد من الله سبحانه وتعالى .

لكن من يقرأ أسفار اليهود وخصوصاً كلامهم عن أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - يجده كلاماً ينافي الفطرة السليمة والذوق والأخلاق ، ناهيك عن أنه ينافي التدين ولا يمكن أن يصدر عن مؤمن بالله ويؤمن أن الأنبياء رسل من الله للبشر ، فاليهود لم " يراعوا عند الحديث عن انبيائهم إلا ولا ذمة ولم يراعوا في حديثهم أي تقديس لهم أو إجلال فنسبوا إلى هؤلاء الأنبياء ولأسرهم ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الذوق " (٦٢) .

والملاحظ أن تحريفهم للأحداث والمواقف يندرج في إطار ما حكاه الله عنهم في القرآن بأنهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق كما قال سبحانه وتعالى :

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } آل عمران : ٧١

بمعنى أنهم يسردون بعضاً من الحقيقة وشيئاً من الحدث وجزءاً مبتوراً من الموقف - وهذا حق - ويضيفون إليها ما ليس منها خدمة لأغراضهم وأفعالهم القبيحة وتبريراً لوضع اجتماعي منحرف أو وضع سياسي ظالم في مرحلة من مراحل تاريخهم ويريدون من خلال ذلك التحريف تبرير أفعالهم الحالية وأفعال ابنائهم المستقبلية .

ولماذا نستغرب جرأة اليهود على انبياء الله ؟ وقد وصلوا إلى درجة قتل بعضهم - كما أخبر القرآن - وقلة أدبهم في الحديث عنهم وقد فضحهم القرآن الكريم وعرض جرأتهم على الله سبحانه وتعالى ، ففي توراتهم المحرفة يقولون عن الله سبحانه وتعالى : " الرب يفتقر ويغنى " (٦٣) .

وقد فضحهم القرآن الكريم بقوله : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } آل

عمران: ١٨١ . وقوله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ } وكذلك : { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } .

ورحم الله أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي قال عنهم في رسالته المختار في الرد على النصارى : " لولا أن الله قد حكى عن اليهود أن قالوا ... لكنك لأن أخرج من السماء أحب إلي من أن ألفظ بحرف مما يقولون ولكني لا أصل إلى إظهار جميع مخازيهم وما يسرون من فضائحهم إلا بالإخبار عنهم والحكاية عنهم " (٦٤) .

وسوف نبدأ من تصوريهم لنبي الله نوح - عليه الصلاة والسلام - والسلام والذي تصوره التوراة المحرفة بأنه " رجل خمر وسكر يعاقر الخمر حتى تدور برأسه وتذهب بعقله فيتعري وتتكشف سوءته " (٦٥) .  
ويضحك عليه ولده حام ويستتره ولديه سام ويافت ويلعن حام وولده كنعان ويدعو بأن يكونا عبيداً لأولاد سام ويافت .

وهل من المعقول أن يكون هذا كلام الله في التوراة كما يتشدد اليهود ؟  
وخصوصاً أن الله سبحانه وتعالى يصف سيدنا نوح عليه السلام بأنه من المصطفين الاخير ، كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ

وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران: ٣٣

وقد أفرد القرآن سورة تحمل اسمه ، إعلاناً لذكره وتنويهاً بشأنه وثناءً عليه وتشريفاً له . وتلك القصة التي وردت في سفر التكوين المحرف عن نوح عليه السلام ، الغرض منها واضحٌ وجليٌّ لكل ذي لب وهو تبرير ما فعله اليهود بالكنعانيين حال دخولهم فلسطين ، بقيادة يوشع بعد محنة التيه واستعبادهم لشعب كنعان ، وهم يريدون القول أن ذلك الفعل كان مشيئة إلهية تنفيذاً لدعوة نوح عليه السلام ولا ذنب لهم فيه كما هي عادتهم في الكذب والافتراء .

وقد نسبت التوراة المحرفة إلى نبي الله لوط - عليه السلام وحاشاه - جريمة معاورة الخمر والسكر والزنى بأبنتيه والانجاب منهما سفاحاً وهذه الأفعال الشنيعة ، مما تاباه وتعافه نفوس شرار الخلق وأرادلهم ، فما بالكم بني اصطفاه الله تعالى ! وتبدأ القصة بهروب نبي الله لوط وبنتيه إلى مغارة في جبل بعيد هروباً من سدوم وبقائهم اياماً على تلك الحالة ، ففي سفر التكوين المحرف ترد القصة التالية : " قالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في

الأرض رجل يدخل علينا كعادة أهل الأرض وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة أن نسقي أبانا خمراً فيفقد وعيه ونضطجع معه ونأتي منه نسلأ ، فسقتا اباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .. وفعلت الصغيرة في اليوم التالي ما فعلته البكر ، فحبلت ابنتا لوط من ابيهما فولدت البكر ابناً دعت اسمه موآب وهو ابو الموآبين إلى اليوم وولدت الصغرى ابناً دعت اسمه عمون وهو ابو بني عمون إلى اليوم " (٦٦) . وبدون أن نذكر التناقض الطبيعي والغير المنطقي الذي تسير عليه أحداث القصة ، يمكن أن نسأل هل من المعقول أن يسم اليهود النبي لوط بما جاء ليظهر الناس منه وهو الشذوذ ؟ وأي شذوذ أكبر من أن تفعل البنات مع أبيهما ذلك ؟ أنه الشذوذ الذي جعل اليهود ينسبون تلك القصة - زوراً وبهتاناً وإفكاً - في توراتهم المحرفة وينسبونها لنبي الله موسى عليه السلام وخصوصاً أن القرآن يذكر أن نبيي الله لوط من الذين فضلهم الله تعالى بقوله : { وَإِسْمَاعِيلَ

وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۖ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } الانعام : ٨٦ .

ولم يسلم من كذبهم وافترائهم يعقوب عليه السلام - أو إسرائيل كما يترجم اسمه بالعبرية بعد الإله والذي ينسبون أنفسهم اليه - فقد نسبوا اليه في أسفارهم المحرفة زوراً وبهتاناً ، الكذب وقالوا أنه كذب على أبيه اسحاق - عليه السلام - عندما ادعى أنه ابنه البكر عيسو ، وإخبارهم أن بركة يعقوب كانت مسروقة ومأخوذة بغش وخديعة وتخايب وجاء في سفر أشعيا وسفر ميخا ، أن يعقوب قد عصى الله وأثقل عليه بآثامه وأتعبه .. ويظهر يعقوب في اسفارهم في صورة الرجل الخب الذي يخدع الناس ويخدعونه (٦٧) .

واليهود لا يتورعون في تصوير نبي الله يعقوب - عليه السلام - بالغفلة وعدم النباهة والغيرة مما كان يدور في بيته من معاصي - حاشاه - وصوروا زوجاته وابنائهم بالعصاة ، مرتكبي الفواحش والمعاصي ، فقد كتبوا في توراتهم المحرفة " أن زوجته راحيل كانت وثنية حتى بعد زواجها منه بعدة سنوات وأنها سرقت أصنام أبيها وفرت هاربة .. وأن رأوبين ابن يعقوب البكر زنى ببهنة زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالي وشاع هذا الخبر حتى سمعه يعقوب " (٦٨) .

وهم يصورون نبي الله يعقوب بالصفات التي ليست فيه مطلقاً و التي لا تناسب اصطفاء الله له كنبي ، وإنما يسقطون صفاتهم الذميمة اليه ، كي يجدون مبرراً لأفعالهم القبيحة والفاحشة - ماضياً وحاضراً - فهو في توراتهم المحرفة

والتي علق عليها أحد علماء الدين في الغرب " كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اليهود وعلى هذا تعتبر تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن إبراهيم الذي كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل حيل ودنيا (٦٩) "

وإذا كانت تلك الصورة الزائفة والكاذبة و التي صوروا بها بني الله يعقوب - عليه السلام وحاشاه أن يكون كذلك - وهو من هو لديهم فذلك يعني أنهم يجعلون منه نموذجاً سيئاً بالنسبة لهم كي يبرروا بها افعالهم القبيحة ويتساءل أحد الباحثين قائلاً : " وإذا كان أبوهم اسرائيل كاذباً محتالاً سارقاً وإذا كانت بركته وبكوريته قد استلبها من أخيه بالتخابث والخديعة ، فما يبقى له من فضل وفضيلة ؟ وماذا يبقى لبنيه من بعده ؟ " (٧٠) .

والدليل على كذب افتراءهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أن القرآن يذكر أنه من المصطفين الأخيار ، كما قال تعالى في سورة ص : { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ } .

ويصفه كذلك أنه من العابدين الصالحين وهو إمام يُهتدى به بأمر من الله سبحانه وتعالى ، يفعل الخيرات ويُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة كما وصفه الله في سورة الانبياء: { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۗ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } . وقد وصفه القرآن بأنه كان صادقاً كما قال تعالى في سورة مريم : { فَلَمَّا اعْتَرَضَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ } .

" فإسرائيل كم يصفه القرآن له لسان الصدق أمين على النبوة والوحي " وله في كتب بنيه لسان الكذب والاحتيال والخديعة " (٧١) .

ونعود بالله من الخذلان وسوء المنقلب والخاتمة التي وقع فيها اليهود . ولم يسلم من كذبهم وافتراءاتهم نبي الله موسى الذي ينتسبون اليه .

فنبى الله موسى - عليه السلام - في التوراة اليهودية المحرفة قاتل ، وحاسد لأخيه هارون وقد " نسبوا إلى موسى قتل أخاه هارون بأواحه قالوا : حسده ، لأن اليهود كانوا أميل إليه من موسى " (٧٢) .

وهم يدعون في توراتهم المحرفة أن نبي الله موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل بسرقة المصريين قبل خروجهم من مصر تنفيذاً لوصية الرب التي أوصى بها موسى - كما أدعوا زوراً وبهتاناً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وبلغها قومه فعملوا بها وبحسب منطوق توراتهم المحرقة " وأعطى - أي أنا الرب - نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل أمراه من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ووثياباً تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين وقبل بنو إسرائيل بحسب قول موسى وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب ووثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوا المصريين " (٧٣) .

وبهذا يمكن أن نفهم الآن : لم يسرق اليهود بيوت وعقارات الفلسطينيين بغير حق ، بناء على ما جاء في توراتهم المحرفة بأن الله قد أمرهم بذلك .

وتذكر التوراة الحالية - المنسوبة زوراً إلى موسى عليه السلام - أن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة - أرض كنعان - عقاباً لهما على إثمهما وخيانتها للرب وسط بني إسرائيل ، كما ورد في سفر العدد " فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها " (٧٤) .

ونحن نسأل كل ذي عقل سليم ومنطق قويم : هل من المعقول أن يكون هذا كلام الله لموسى عليه السلام والتي كتبها في التوراة التي أنزلت عليه ؟ وهل لا زالت اليهودية شريعة سماوية أما أنها كما نقول عنها قد خرجت وانحرفت عن الرسالة الموسوية ؟ ك

وهذا بخلاف ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام بقوله

{ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ

مِّنَ الشَّاكِرِينَ } الاعراف : ١٤٤ .

ويجب أن نفهم أن ما كتبه اليهود هو ترجمة حرفية لأخلاقهم حينها - والتي لازالت حتى اليوم - في سلب حق الغير وسرقة ممتلكاتهم بالغصب والقوة في

أيام الحرب أو بالحيل - وخصوصاً في أوقات السلم - تلك هي أخلاق اليهود ولا تزال وستظل وما يحصل في فلسطين من اغتصاب لأراضي الفلسطينية وبيوتهم خير شاهد على ما نقول وخصوصاً في مدينة القدس المحتلة .  
 لقد بلغ أذى اليهود لموسى وافتراءهم على لسانه حداً جعل الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين منه كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۗ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } ( الأحزاب : ٦٩ ) .

أما بالنسبة لنبي الله هارون - عليه السلام - فقد نسبوا له أنه من أغرى بني إسرائيل بعبادة العجل والذي صنعه لهم ، فبحسب زعمهم في أسفارهم المحرفة أن هارون " قد يسر لبني إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام فصنع لهم بيديه في سيناء عجلاً ليعبدوه دون الله " (٧٥) .

و بالنسبة لصورة نبي الله داود - عليه السلام - في التوراة المحرفة ، فهي صورة قاتمة مشوهة كلها افتراء وزور وبهتان ، فنبي الله داود في نظر كتّاب توراتهم المحرفة ليس إسرائيلياً خالصاً ، لأنه ينحدر من جهة أمه من موآب وهي في نظرهم ليست يهودية خالصة وقد عرضنا سابقاً لقصة لوط في التوراة المحرفة - في سفر التكوين - أن موآب كان نتيجة لمواقعة لوط - حاشاه - لأبنته البكر بعد أن سفته خمرأً وفقد وعيه ، وموآب هذا ينتسب إليه داود عليه السلام كما يدعون وخلاصة القول بالنسبة لليهود " تنحصر في أن نسب داود عليه السلام مطعون في اسرئيليته بل ومطعون في شرفه وحصانته في ذات الوقت " (٧٦) .

وقد ذكرت قصة داود في سفر صموئيل الثاني ١٦ : ٢٠ - ٢٣ وفيها " وأما داود فأقام في أورشليم وقد أسل جيشه بقيادة موآب ومعه الشعب الإسرائيلي للجهاد في سبيل الله ومقاتلة اعدائهم بني عمون وكان في المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ؟ فأرسل داود رسولاً فأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلت . فأرسل داود إلى يوآب يقول : أرسل إلى أوريا الحي ، فأرسل يوآب أوريا إلى داود ، فقال له : انزل إلى بيتك وأغسل رجلك ، لكن أوريا رفض أن يرتاح وينام في بيته بحجة أن هناك

حرباً .. وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوأب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب : أجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وأرجعوا من ورائه فيضرب ويموت .. ففعل يوأب ومات أوريا الحثي ، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلمها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته " (٧٧) .  
وفي رواية " وصارت له امرأة وولدت له ابناً هو سليمان ويختم الإصحاح بقوله : وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب " (٧٨) .  
وحديث التوراة المحرفة في العهد القديم عن بيت داود عليه السلام حديث كله كذب وافتراء وبهتان ، فقد صورت توراتهم المحرفة بيته على أنه بيت " زنى وفسوق ودعارة وفجور ، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك ... فأولاده يزنون بأخواتهم ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب ! فأمنون ابنه يزني بأخته ثامار وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك فيدخل على نساء أبيه أمام جميع اسرائيل !! " (٧٩) .

وبإمكان البعض أن يفهم الآن لماذا لعن الله الذين كفروا من بني اسرائيل ، كما ورد في القرآن الكريم : { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } المائدة : ٧٨

ومع الأسف الشديد أن تلك الروايات الشاذة قد تسربت إلى بعض التفاسير - كتفسير البيضاوي وابن كثير وغيرهما الكثير - عن طريق كعب الأحبار ووهب ابن منبه ، وهما من اليهود الذين اسلموا ونقلوا معهم معظم التراث اليهودي إلى كتب التفاسير والأحاديث ولا تزال موجودة فيها إلى اليوم .

وخصوصاً ما يتعلق بما ذكره الله تعالى في سورة ص { إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } . وقد ذكروا في تفسيراتهم لتلك الآية ما ذكره اليهود في

توراتهم المحرفة عن أن سبب سجود داود كان استغفارا عن قصة داود مع زوجة أوريا الحثي وهذا كذب وافتراء ، والسبب الحقيقي لسجود داود واستغفاره أنه سمع من خصم وحكم دون أن يسمع من الخصم الآخر وعندما أدرك خطأه استغفر ربه وخر راکعاً وأتاب وليس السبب أنه زنى بامرأة أحد

جنوده - حاشاه - وتأمّر على قتله كي يتزوجها كما روج اليهود ، من أجل ذلك كان الإمام علي - كرم الله وجهه - يقول : من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة ويقصد بذلك أن الذي يحدث بذلك الحديث المفترى عن نبي الله داود هو قاذف - بحكم الشرع - يستحق الجلد ثمانين جلدة وثمانين جلدة أخرى لأنه قذف نبياً معصوماً من أنبياء الله وليس إنساناً عادياً . وهم يتحدثون في توراتهم المحرفة عن نبيي الله سليمان - عليه السلام - وأعظم ملوكهم على الإطلاق حديثاً يخرجهم من طور النبوة إلى طور الملك العضوض ، ويصورونه ظالماً وقاتلاً سفاحاً لا يرحم ولم يسلم من بطشه حتى أقرب المقربين إليه ويقولون : لما آل الملك إلى سليمان " قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم لكن عمله ذلك لم يغضب يهوه إلهة الذي أحب الملك الشاب ووهبه حكماً لم يهبها أحداً من قبله ولا من بعده " (٨٠) .

ويذكر سفر الملوك الأول عن نبي الله سليمان أنه " قتل أخاه أدونيا وقتل يواب قائد جيشه وهو ممسك بقرون المذبح مستجيراً وقتل شمعي أحد كبار الرجال في مملكة أبيه " (٨١) .

ولا يتورعون - كعادتهم - بوصف نبي الله سليمان - عليه السلام وحاشاه - بما لا يليق بأخلاق إنسان عادي ويصفونه بأنه كان زير نساء ودونجوان عصره ، لا هم له إلا ملاحقة النساء واقتناء الجميلات منهن في قصره حتى بلغن الألف وقد شغف بهن شغفاً جعله ينسى الرب وقد جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول " وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم التي قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم اليوم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأملت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمئن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب أبيه " (٨٢) .

وهم ينقلون في توراتهم المحرّفة أنه ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه " شرع يستمتع به وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل ... وأقام مذبح للآلهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الاجنبيات " (٨٣) .

كل تلك التقولات والافتراءات التي ما أنزل الله بها من سلطان تدلّ بما لا يدع مجالاً للشك أن اليهودية الحالية ليست ديانة سماوية وإنما هي تحريف للرسالة

الموسوية وأن التوراة الحالية ليست التوراة التي انزلت على موسى عليه السلام - كما يدعون - وإنما هي التوراة المحرّفة التي اخترعوها تبريراً لجرائمهم وهي تناسب أخلاقهم المنحرفة عن الفطرة وعن الحق في كل زمان ومكان .

### اليوم الآخر أو الفكر الأخرى عند اليهود :

لا تختلف اليهودية عن المسيحية والإسلام من ناحية الاعتقاد بوجود واستمرار حياة أخرى بعد الممات وكذلك البعث ويوم الحساب إلا ان اليهودية لم تركز كثيراً في تفصيل هذا الأمر ورغم ذلك توجد العديد من الدراسات المختصة سواء المختصة منها بما بعد الموت أو المختصة بالبعث والحساب.

وقد خلت الكتب اليهودية " من ذكر البعث واليوم الآخر ، فالأرض السفلى أو الجب أو شيول هي الهاوية التي تأوي إليها الأيتام بعد الموت ولا نجاة منه لميت وأن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد " (٨٤) .

والأمر الذي يدعو للعجب والاستغراب أن الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت وجدت في ديانات وثنية قديمة - كالديانة الفرعونية القديمة - وديانات أخرى كالزرادشتية " لكن أمة اسرائيل لم تلتزم بهذه العقيدة في أول عهدها ... وأقتصر دين اسرائيل على الاهتمام بهذا العالم وشئونه ولعل هذا التركيز على الحياة الحاضرة هو الذي أبقى لليهودية خواصها الأدبية الأخلاقية في الإيمان ببر الله وعدله اللذين يجب أن يتزكيا في هذه الحياة " (٨٥) .

وكما أصبح معلوماً لدى معظم الباحثين في علم الأديان أن اليهود قلما كانوا " يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ولعلمهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس " (٨٦) .

ويرتبط كذلك بعدم اهتمامهم باليوم الآخر عمد اهتمامهم بالعقاب في الجحيم " ولم يكن في هذا الدين جحيم يخصص لعقاب المذنبين ولكن شيول أو ( أرض الظلام) التي تحت الأرض ولم تكن تقل هولاً عن هذا الجحيم وكان يُلقى فيها الموتى جميعهم الطيب منهم والخبيث ولا يستثنى منهم إلا المقربون إلى الله كموسى وأخنوخ وإيليا " (٨٧) .

وهم كما نقل عنهم القرآن: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ } آل عمران: ٢٤ . ويعنون بها أربعين يوماً وهي مدة عبادتهم للعجل وذلك افتراء من افتراءاتهم الكثيرة على الله سبحانه وتعالى .

### المسيح المنتظر :

يؤمن اليهود بأن الله سيرسل شخصاً لنصرة اليهود وقيادتهم إلى النصر على أعدائهم يدعى لديهم المسيح ( الماشيح بالعبرية ) اي المخلص وقد جرت عادة الشعب اليهودي أن يعيش على توقع مجيء عصر المخلص الذي يسود فيه السلام العالمي على الأرض وفقاً لرؤيا أنبياء إسرائيل .

وقد ثبتت فكرة المخلص - المسيح المنتظر - في عقائد اليهود بعد زوال ملكهم على يد نبوخذ نصر وأسرهم في بابل ، وكلمة مسيح تعنى لديهم : الممسوح بزيت البركة وقد كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والكهان والبطارقة .

بدأت فكرة المسيح لديهم من خلال انتظارهم ملكاً ، فاتحاً ، مظفراً من نسل داود - عليه السلام - وكان يسمى لديهم أبناً لله ، وقد أطلقوا اسم المسيح لاحقاً على كل من يعاقب أعدائهم ويفتح لهم باب الخلاص من أسرهم - كما فعل الملك الفارسي قورش الذي حررهم من الأسر البابلي - ومع مرور الزمن تهذبت عقائدهم في المسيح ، فأصبحوا ينتظرون الخلاص على يد الهداة العادلين بعد طول انتظاره من زمرة الغزاة الفاتحين (٨٩) .

### العنصرية اليهودية وأكذوبة الشعب المختار:

الديانة اليهودية هي ديانة غير تبشيرية، اي ان تعاليم اليهود اليوم لا تسمح للآخرين بالانتماء إليها، يعتقد الشعب اليهودي أنه يخدم ربه بالصلاة ومراعاة الوصايا التوراتية كما يعتقد أنه هو الشعب الحامل للرسالة، وليس لغيرهم الحق في ذلك.

وقد فضح الله سبحانه وتعالى عنصريتهم في القرآن بقوله: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۗ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ } المائدة: ١٨ .

وقد وضعوا في التوراة ما يؤكد على اصطفاء الله لهم من خلال سفر التكوين ، فهم الأبطال في ملحمة الخلق الإلهي وبقية خلق الله كمبارس صامت ، ظهورهم بغرض خدمة اليهود وإظهار تميزهم فقط ومن أجل أن يتم " ظهور الشخصية الاسرائيلية خلال هذه الملحمة على مسرح الإنسانية في دور

البطولة الذي لا ينازعها فيه منازع ، فإنها تبدأ بالكلام عن خلق العالم بحيث يتم خلال ذلك انتقاء شعب الله المختار من بين الأمم الأخرى لهذا الدور الذي رشحته لهم السماء " (٩٠) .

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار وسيتمنون بذلك إلى توراتهم المحرفة والتي نجد فيها " لأنك شعب مقدس للرب إلهك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض " وتنعكس تلك النظرة العنصرية العوراء في نظرتهم للآخرين من غير اليهود بأنهم يجب أن يكون عبيداً وخدماء لليهود ، وخصوصاً شعب كنعان سابقاً ( فلسطين الحالية ) .

وفي أسفارهم الحرفة أن شعب كنعان قد كُتب عليه منذ الأزل أن يكونوا عبيداً وخدماء لبني إسرائيل وتلك العبودية هي وظيفتهم في هذه الحياة فقط ، فإذا حاولوا أن يهربوا منها ويخرجوا عنها ، فعلى بني إسرائيل أن يردوهم بحد السيف ، ونجد في سفر التكوين أن السبب في فرض عبودية شعب كنعان لبني إسرائيل هو دعوة نبي الله نوح - عليه السلام - على حفيده كنعان ونسله وبحسب ما تروي الأسطورة - التي اخترعها زوراً وبهتاناً - أن نوحاً عليه السلام قد شرب مرة نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان دون أن يعلم أنه مسكر ، ففقد وعيه وانكشفت سواته فرأه ابنه حام على تلك الصورة فسخر منه وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافت ، لكنهما حملاً رداءً وستراً به ما انكشف من عورة أبيهم ، فلما أفاق نوح عليه السلام وبلغه ما كان من موقف ابنائه لعن ذرية حام - وهم الكنعانيون - من ذرية ابنه كنعان - ودعا على نسله بأن يكونوا عبيداً لأولاد سام ويافت (٩١) .

وقد كان قصد رهبان اليهود الذين كتبوا تلك القصة أن " يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التي كان يسير عليها بنو إسرائيل حيال الكنعانيين إذ يقتلون رجالهم ويسبون نسائهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيداً وإماءً زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم إلى الوضع الذي كُتب عليهم في الأزل أن يكونوا عليه " (٩٢) .

تلك الأسطورة كانت من ضمن الأسباب التي أدعتها الصهيونية في حقها الأبدى في أرض فلسطين ، باعتبارها أرض الرب الموعدة للشعب المختار .  
من أجل ذلك يقسم اليهود الناس إلى قسمين :

- اليهود شعب الله المختار - أبناء الله وأحباءه بحسب وصف القرآن لكذبهم - لا يتقبل الله العبادة إلا منهم ونفوسهم مخلوقة من نفس الله وعنصرهم من عنصره فهم وحدهم ابناؤه الأطهار وقد منحهم الله الصورة البشرية تكريماً لهم .

- الجوييم - بحسب اللفظ العبري - الأغيار من غير اليهود - أو الأميون بحسب اللفظ القرآني - يروى اليهود أن الأغيار خلقوا من طينة شيطانية والهدف من خلقهم خدمة لليهود ولم يمنحوا الصورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل معهم ، إكراماً من الله لشعبه المختار ، وبناء على ذلك فاليهود أصلاء في الإنسانية والأميون أتباع فيها ومن حق اليهودي قتلهم وسرقتهم وهتك أعراضهم والتعامل معهم بالربا وغشهم في كل شيء<sup>(٩٣)</sup> .  
 واعتقادهم الباطل بمزية اختيار الله لهم شعباً مختاراً ، جعلهم يظنون أن اليهودي هو الإنسان الحقيقي وغير اليهود هم حيوانات - لا أقل ولا أكثر - مسخرة لخدمتهم ، فقد ظنوا - إثمًا وزوراً - أن " أرواح اليهود جزء من الله وإذا ضرب أممي ( جوييم ) اسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي .. ويجوز غش غير اليهودي وسرقتة واقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه ، ذلك أن غير اليهودي في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم ، بل أن اليهود يتقربون إلى الله بفعل ذلك بغير اليهودي " <sup>(٩٤)</sup>

فاليهودي هو الإنسان ، أما غير اليهودي فليس كذلك مطلقاً وهم يعتبرون الاغيار من غيرهم في مرتبة الماشية والموتى وبالتالي فلا قيمة لهم ، هذه الادعاءات الباطلة موجودة في التلمود وبتعليمات من حاخامات اليهود حيث نجد فيه : " علمنا حاخاماتنا : من يسكب الزيت على الماشية أو الأوعية فهو ليس بمذنب أو على الأميين ( الجوييم ) أو الموتى فهو ليس بمذنب .. وأنتم يا غنمي غنم مرعاي ، أناس أنتم ، فأنتم تدعون أناساً من آدم وأما الوثنيون فليسوا يُدعون أناساً " <sup>(٩٥)</sup> .

ويؤكدون عنصريتهم البغيضة من خلال نصوص التلمود الذي يقول عن غير اليهود بأن " الأميون هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار وكلما نفق حمار ركبنا حماراً آخر " <sup>(٩٦)</sup> .

ويمكن أن نفتبس نصوصاً من التلمود توضح عنصرية اليهود وكيف ينظرون إلى غير اليهودي من تلك النصوص على سبيل المثال : " إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنياً فلا يتوجب عليه رده وما يحتجنه ( يأخذه ) اليهودي من الجوي ( الأممي ) فيمكن له الاحتفاظ به لنفسه . الأميون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة ومالهم يُتيحه الله حلالاً لبني يسرائيل . يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب ( الحيل ) لكي يراوغ أممياً . أبناء الأميين ( الجوييم ) جميعاً

بهائم ، فتيات الأمميين نجسات منذ مولدهن .الأمميون ( الجوييم ) كلفون بمواقعة البقر " (٩٧) .

وقد فضح القرآن الكريم اليهود في قوله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران : ٧٥ .

وهذا هو توجه اليهود مع غيرهم في زمان ومكان ، فنجد في بروتوكولات حكماء صهيون ما يؤكد تلك النزعة العنصرية من خلال مواد البروتوكول القائلة "إننا مختارون من الله لنحكم العالم .. ويجب علينا أن نحطم كل قواعد الإيمان .. وأن الأميين كقطع من الغنم وإنما الذئاب " (٩٨) .

تؤمن اليهودية بالافتداء والخلص والنجاة لكنها تختلف عن العديد من الديانات الأخرى في أن السبيل إلى الخلاص والنجاة في الحياة الأخرى لا يكون بالعقيدة وإنما بالأفعال، أي أن الأفعال الصالحة هي التي تمكن البشر من النجاة وليس العقيدة التي يتبعونها ويدخل في موضوع شعب الرسالة أو الشعب المختار بعض الاعتقادات الحلولية.

ويرتبط بالعنصرية اليهودية نظرتهم - كم يدعون زوراً وبهتاناً - إلى الأرض الموعودة التي يسمونها أرض إسرائيل هي الطرف الثالث في الطبقة الحلولية اليهودية. فهي أرض الرب ، التي تفوق في قدسيته أي أرض أخرى وهي الأرض الموعودة لليهود في التوراة والتي يجد فيها اليهود هويتهم. و أرض إسرائيل المدعاة مركزية بالنسبة لتاريخ وحياة وآمال وأمني الشعب اليهودي ويتوجه اليهود المتدينون في صلواتهم نحو أورشليم فهي الأرض التي وعدتها لهم التوراة المحرّفة والتي فيها يمكن للعادات والتقاليد وكذلك لهوية الشعب اليهودي أن تتحقق بالكامل.

### الشريعة اليهودية :

يشير اليهود إلى الشريعة اليهودية بكلمة " التوراة" ، بينما تعني " الهالاخاه " القوانين أو التشريعات الخارجية تحديداً، وإن كانت دلالتها تمتد أحيانا لتشمل الشريعة ككل ، ويفرق اليهود بين " الشريعة المكتوبة" ، وهي الواردة في أسفار موسى الخمسة وباقي العهد القديم، والشريعة الشفوية، و التي تعني : شروح الحاخامات التي سجلت في التلمود وغيره من الكتب، مثل كتب الكابالا.

وعقيدة اليهود الملتزمين بشريعة التوراة أن الله قد أوصى موسى عليه السلام ب٦١٣ وصية تجب طاعتها والعمل بما جاء فيها وقد جاءت مدونة في الأسفار الخمسة - السابق ذكرها - وتشكّل في مجملها ما يُسمى بالعهد القديم ويقصدون به العهد الإلهي المبرم مع بني إسرائيل ، الوصايا السابقة تنقسم إلى الواجبات وهي فرائض عددها ٢٤٨ أمراً يجب العمل بها على وجه الوجوب وأحكام أخرى تتصل بالمحرمات مثل : أحكام القتل العمد والزنا والسرقة وغيرها . وقد أجملت تلك الأحكام في المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام في إحدى عشر وصية ، تتحدث عن مواصفات اليهودي المؤمن : " وهو الذي يسلك بنزاهة ويصدق في جميع أعماله ويتكلم بالحق في قلبه ولا دجل على لسانه ، لا يُسيء إلى أحد بشيء ولا يجلب العار على قريبه ، النمام محتقر في عينه ويكرّم من يخاف الرب ، يحلف ولا يُخلف ولو تضرر ، لا يُعطي ماله بالربا ولا يقبل الرشوة على البريء " (٩٩) .

وهناك من التشريعات الغريبة التي لا يمكن فهمها وتفسيرها منها على سبيل المثال : " إذا دفعت الغواية يهودياً إلى ارتكاب معصية فعليه أن يذهب إلى مدينة لا يعرفه فيها أحد ويرتكب المعصية هناك " (١٠٠) .  
ذلك يعني أن اليهودي يخاف الناس التي تعرفه أكثر مما يخاف الله خالقه .  
وهناك الكثير من الطقوس والعبادات التي تدخل ضمن الشريعة اليهودية منها:  
**الختان :**

يعتبر لديهم نوعاً من الطهارة وإذا كانت صحة الولد تسمح بذلك، يتم ختانه في اليوم الثامن من ولادته والختان سنة شائعة بالنسبة لهم منذ أيام إبراهيم - عليه السلام - وهو علامة على الانتساب لليهودية وإعلاناً واشهاراً لدخول المولود الملة " وبمرور الزمن أصبح الختان لدى اليهود فريضة يحتمها الولاء للجنس ، فعلى اليهودي أن يقوم بعملية الختان ليبرهن على أنه يهودي " (١٠١) .  
ويعبرونه تأكيداً للعهد الإلهي الذي أبرمه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الرب تعالى وتجري عملية الختان وسط طقوس احتفالية وبحضور عشرة أفراد من الذكور البالغين وتتم بواسطة معلم مختص .

### الصلوات والأدعية :

يؤكد اليهود على الطهارة من الجنابة وعلى ضرورة الاغتسال لكل من الرجل والمرأة ، والأتقياء والمتعبدون من اليهود يصرفون ما يقارب ساعة من الوقت في الاستعداد للصلاة " من نظافة وتطهير ولبس وجمع للأفكار وكان عزرا يوصي بوجوب غسل الجسم بكل تدقيق قبل العبادة " (١٠٢) .

ويبدأ اليهودي المتدين يومه بتلاوة أدعية الصلاة و الثناء والشكر للرب منذ الصباح الباكر ، يصاحبها صور من الغسل والوضوء تتناسب مع دواعيها وأوقاتها ، فغسل اليدين بعد القيام من النوم عمل من أعمال الطهارة ويعتبر لديهم من مظاهر التقديس للرب وكذلك غسل اليدين قبل وبعد تناول الأكل يُعد ، مظهراً من مظاهر الطهارة وكان أحد الأسباب لمعاداة اليهود للنصارى الأوائل الذين كانوا يتناولون الطعام بأيدي نجسه بحسب وصف اليهود لهم (١٠٣) .  
والصلاة لم تكن فريضة اجبارية على اليهود ولم تكن معلومة العدد والأوقات قبل خراب الهيكل وما تلاه من السبي البابلي وكانوا يكتفون فقط بتقديم القرابين في أماكن مخصصة في المعبد أو الهيكل وكان تقسيمها على يد الكهنة تتخللها صلوات متفرقة للكهنة والأنبياء وعندما غزا نبوخذ نصر فلسطين عام ٥٨٧ ق. م . وهدم الهيكل وأنهى حكم بني إسرائيل - كما مرّ معنا - وأخذ الأسرى إلى بابل "أدى ذلك لإبطال ما اعتاده اليهود من تقديم القرابين ، فوضعت الصلوات بدلاً منها إلى اليوم " (١٠٤) .

والصلاة لدى اليهود فريضة واجبة على المكلفين من الرجال والنساء وهم يؤدونها جلوساً ووقوفاً ويركعون ويسجدون ويكون في تضرعاتهم واعترافاتهم أيام الشدة والضيق ويزرون التراب والرماد على رؤوسهم ويمزقون ثيابهم ويحرصون على وضع الأيدي على الصدر ويحنون رؤوسهم قليلاً إلى الأمام - تشبهاً بوقوف الخادم أمام سيده كما يقولون - زيادة في الاحترام وهم يتجهون في صلواتهم إذا كانوا في أورشليم إلى جهة الهيكل ويتخذونه قبلة لهم ويتوجهون إلى جهة أورشليم إذا كانوا خارج فلسطين .  
والصلاة في اليهودية على نوعين : فردية وجماعية ، الأولى تعتبر صلاة ارتجالية من قبل الأفراد تتلى بحسب الظروف والاحتياجات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم وهم يستدلون عليها بزعمهم بالصلاة التي أداها كلاً من : سيدنا ابراهيم عليه السلام لأجل خلاص سدوم وصلاة يعقوب عليه السلام لأجل خلاصه من أخيه عيسو - حاشاه - وصلاة موسى عليه السلام لأجل خلاص بني إسرائيل من فرعون وهذا النوع من الصلاة الفردية يتلى في أي مكان ، بحسب الحاجة ويستدلون بعمل يونس عليه السلام الذي صلى في جوف الحوت وصلاة النبي دانيال في جب الأسود .  
أما الصلاة الجماعية فيشارك فيها مجموعة من الأشخاص - بحيث لا يقل عدد المصلين عن عشرة من الذكور البالغين - علناً وفي أماكن مخصصة للعبادة

وفي مواعيد ومواقيت معلومة بناء على قرار الكهنة والحاخامات ولم يعرفوا هذا النوع من الصلاة إلا بعد أن بنوا الهياكل والخيم الخاصة لهذه الغاية (١٠٥).

في اليهودية تتلى الصلاة في المنزل ثلاث مرات يومياً صباحاً وبعد الظهر وبعد غروب الشمس وتقام صلاة الجماعة في الكنيس أيام السبت والاثنين والخميس وأيام الأعياد اليهودية و يمكن للفرد اليهودي أن يؤدي الصلاة فرداً أو مع الجماعة مع تفضيل صلاة الجماعة، وتختلف الطوائف اليهودية فيما بينها بخصوص عدد الصلوات يومياً واستخدام الألحان في الصلاة وكذلك استخدام اللغة الدينية أو العامة أثناء تأدية الصلاة.

ويسمى المعبد الذي تؤدي فيه الصلاة بالكنيس وجمعه كنس وتمنع اليهودية استخدام الصور والتماثيل في تزيينها وهو الأمر المطبق في جميع الكنيس اليهودية، كما يمتاز يوم السبت بقديسية خاصة حيث تتلى خلاله ترانيم الزميروت والصلوات الواجبة على اليهودي ثلاث في كل يوم وهي :

١ - صلاة الفجر : تسمى لديهم صلاة السّحر ( شحاريت بالعبرية ) وتبدأ من وقت السّحر ليلاً وتنتهي في الثلث الأول من النهار وهي أهم صلاة وأقدسها لديهم ولذلك لا يجوز تناول الطعام وأداء الأعمال قبلها .

٢ - صلاة العصر أو نصف النهار ويبدأ وقتها من انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب .

٣ - صلاة المساء وتسمى صلاة الغروب ( عربيت بالعبرية ) ووقتها يشبه وقت صلاة المغرب والعشاء عند المسلمين (١٠٦) .

والصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس " ويحرم على اليهودي أداء الصلوات حاسر الرأس " (١٠٧) .

وتغطية الرأس عندهم " تقليد للتعبير عن الاحترام إذا قرأوا في النصوص المقدسة أو ذكروا أسم الله أو قابلوا عظيماً من العظماء " (١٠٨) .

### الصيام :

يأتي الصيام في اليهودية تكفيراً عن خطأ أو أثم وقع فيه اليهودي وقد يندرون الصيام أو يقومون به مقروناً بالدعاء في إطار طلب الشفاء لمريض من الله تعالى ويستدلون بصيام نبي الله داود عليه السلام طلباً لشفاء ولده المريض ويأتي الصيام لديهم بعد نكسة أو خسارة عسكرية طلباً للتعويض والصيام لديهم يكون بالامتناع عن الطعام والشراب من غروب شمس اليوم الأول إلى ما بعد غروب شمس اليوم الثاني وهم يصومون أياماً معينة من أيام السنة العبرية (١٠٩) .

**الحج :**

يجب على كل يهودي ذكر بالغ رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام وأن يبقى فيها اسبوعاً في كل مرة ، يبدأ الأسبوع لديهم من يوم الجمعة ، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون ويقودها الكهنة اللاويون ، وهم يقصدون من وراء تلك الزيارات أن تتاح لهم فرصة للتعارف والاتحاد فيما بينهم مهما كان بُعد المناطق التي يفدون منها<sup>(١١٠)</sup>.

**الأسرة اليهودية :**

في الديانة اليهودية العديد من الشرائع التي تنظم حياة البشر، فمنها ما يحدد أساسيات الملابس الذي يجب فيه الاحتشام ومنها ما ينظم حياة الأسرة فاليهودية تشجع بشدة على الزواج حتى ان التلمود يصف الرجل الغير متزوج بأنه ليس بالرجل الحقيقي " ومن بلغ سن العشرين ولم يتزوج تجوز عليه اللعنة لديهم<sup>(١١١)</sup>."

وعمر التكليف الديني في التشريع اليهودي للأبناء يبدأ من ١٣ عاماً للصبيان و١٢ عاماً للفتيات وبمجرد بلوغ الأبناء هذا العمر يصبحون مكلفين دينياً بالأعمال والعبادات وهذا هو السن القانونية لصحة الزواج لديهم ، لكنهم يجوزون نكاح من ظهرت عليه علامات البلوغ قبل هذا السن والأدهى من ذلك أن التلمود يقول : أنه " يحق لليهودي أن يتزوج بنتاً لها من العمر ثلاث سنوات ويوم واحد " <sup>(١١٢)</sup>.

ويجب تذكر أن العنصرية اليهودي تقول بأن غير اليهود كفاراً أو وثنيين أو زنادقة - ويستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون - لذلك لا يجيزون زواج اليهودي أو اليهودية من غير اليهود ويقولون أن " الزواج المعقود بين يهودي وكافرة - أو العكس - باطل والحياة الزوجية بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرين والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أولاد زنا " <sup>(١١٣)</sup>.

ومن تقاليد الفكر اليهودي أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالخدمة العسكرية ولا يرتبط بأعمال تبعده عن زوجته مدة عام كامل ، فشهر العسل لديهم عام كامل ، ويعتبر الزواج في اليهودية صفقة شراء تصبح المرأة بموجبها مملوكة تشتري من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق "بل وصفت بعض الطوائف اليهودية المرأة في مكان السلع التي تباع وتشتري وتوهب " <sup>(١١٤)</sup>.

وتعتبر المرأة المتزوجة قاصراً كالصبي والمجنون ولا يجوز لها البيع أو الشراء أو التصرف فيما تملك ، فالتشريع اليهودي يعتبر كل مال المرأة ملك لزوجها وليس لها منه غير مؤخر الصداق تطلبه حال وفاته أو إذا طلقها

وعلى ذلك " فكل ما دخلت به من مال وكل ما تحصل عليه أو تكسبه وكل ما يُهدى إليها في عرسها ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف يشاء بدون معارضة ولا منازعة " (١١٥).

ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة وقدم الرجل للمرأة خاتماً أو هدية أخرى ذات قيمة وبحضور شاهدين على الأقل ويعتبر ذلك عقداً لديهم ، وإذا حضر العقد عشرة رجال فأكثر أتبع العقد بصلواتٍ وأدعية يشترك فيها الجميع .

والديانة اليهودية تسمح بتعدد الزوجات بدون حد ولم يرد في أحكام التوراة ولا في أحكام الأنبياء نهي عن تعدد الزوجات ولا عن تحديد عددهن ، لكن فرقة الربانيون ، حددت عدد الزوجات بأربع وأطلقت فرقة القراؤون العدد بدون تحديد ، لكن بعض شراح التلمود " قد خفّض عدد الزوجات الشرعيات اللاتي يمكن لليهودي الاحتفاظ بعصمتهن إلى أربع إلا أن الأغنياء هم الذين كانوا يعددون زوجاتهم أما الآخرون فلم يفعلوا ذلك إلا نادراً " (١١٦).

ونجد العنصرية اليهودية في أحكام الزواج لديهم ، فالتلمود يعتبر أن الله " لا يسامح يهودياً يزوج أبنته لرجل عجوز أو يأخذ زوجة لأبنة طفلاً أو يرد متاعاً ضائعاً لشخص كوثي " (١١٧) .

### المحرمات في اليهودية :

لا تجعل الشريعة اليهودية من الرضاعة سبباً للتحريم ، لكنها تحرم الزواج من زوجة العم وزوجة الأخ الذي أنجبت منه ولداً وبعض حاخامات فرقة القرائين يحرمون الزواج من زوجة زوج الأخت عندما يتزوج زوجة أخرى فيطلقها أو يموت عنها فتصبح محرمة على أخوة ضررتها وبعضهم يجعل الزوج والزوجة كشخص واحد ويجرون التحريم على هذا الأساس (١١٨) .

### أحكام الطلاق :

الطلاق مشروع في اليهودية - بخلاف المسيحية التي تحرّمه - بضوابط والطلاق في اليهودية مباح ويكون بيد الرجل ولا يوجد خلع في الشريعة اليهودية ولا يمكن للمرأة طلب الطلاق من زوجها أو أن تشكوه مهما بالغ في إساءة معاملتها وليس لها أن تطلب الطلاق مهما بذلت من مالٍ لزوجها على سبيل التعويض ويحق للزوج أن يطلق زوجته لأتفه الأسباب وأوهاها .

فالطلاق في التوراة " حق موضوع بيد الرجل وحده يستعمله بلا قيد أو شرط وكان الاستعمال اللغوي نفسه لا يُعرّف كلمة الطلاق وإنما يستعمل كلمة ( طرد ) أي طرد الزوجة من بيت الزوج " (١١٩) .

ويحرم الطلاق في الشريعة اليهودية في حالتين :  
الأولى : ادعاء الرجل بأن زوجته لم تكن بكرًا يوم دخوله بها ، واتضح كذبه  
فيما أدعاه ، فيجب عليه الإمساك بها وعدم تطليقها عقاباً له على ادعائه الكاذب  
الثانية : في حال اغتصاب الرجل بكرًا ، عليه أن يتزوجها ولا يجوز له طلاقها  
بعد فض بكارتها غصباً ..

وللمطلقة الحق أن تتزوج بعد ثلاثة أشهر ويجوز لها العودة إلى زوجها الذي  
طلقها ، بشرط أن لا تكون قد تزوجت بغيره - عكس ما ذكره القرآن في  
الطلاق البائن بينونه كبرى - أثناء طلاقها منه ، مع ملاحظ أن الشريعة  
اليهودية لا تجوز زواج الكهنة من المطلقات نهائياً<sup>(١٢٠)</sup>.

والزوجة المتوفى عنها زوجها ، تُجبر من الزواج من أخ المتوفى إذا لم تنجب  
ولداً ، كما جاء في سفر التثنية الإصحاح الخامس والعشرون " إذا أقام اخوان  
معاً ثم مات أحدهما وليس له عقب فإن زوجة الميت لا تصير إلى الخارج  
لرجلٍ أجنبي بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له " (١٢١).

وإذا انجبت بعد ذلك ولدها البكر يجب أن تسميه باسم زوجها المتوفى  
ويبررون ذلك بأن لا يمحي اسم اسرائيل ولا تزال فرقة الربانيون يعلمون بهذا  
التشريع إلى اليوم .

ويزعم اليهود أن من حق الأخ أن يفعل ذلك دون أن يسأل إن كانت زوجة أخيه  
راضية أم لا ، لأن الزوجة لديهم من ضمن أشياء الزوج وممتلكاته كما أسلفنا .

### الميراث :

اليهودية تجعل للمولود البكر الذكر نصيباً مضاعفاً - تأثراً ببعض الديانات  
الوثنية التي يأخذ فيها البكر كل الميراث - حال تعدد الذكور ، فللبكر حظ اثنين  
من الذكور، ولا فرق بين البكر المولود بنكاح صحيح أو بكر الرجل من الزنى  
فأنه يرث الضعف في كلا الحالتين والبنت لا ترث في اليهودية ، وفي حالة أن  
البنت لم تبلغ سن الزواج - ١٢ عاماً - فلها النفقة والتربية حتى تبلغ السن المعينة  
وليس لها شيء بعد ذلك وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فيرثه لحفيده من ابنه وإذا  
لم يكن حفيد من ولده ينتقل الميراث لبنته وهكذا ويرى القراؤون أن يكون  
للبنات نصيب مع الولد : للذكر مثل حظ الأنثيين ، وإذا لم يكن للميت ذرية  
فميراثه لأصوله وأحق الأصول بميراثه أبوه الذي يرثه لوحدته ، فإن لم يكن له  
أب فيرثه جده وإذا لم يكن له أصول ينتقل ميراثه إلى درجات الأقارب الفرعية  
من الذكور .

وإذا لم يكن للميت وارث من فروع أو أصول أو عصبية كانت أمواله مباحة يمتلكها أسبق الناس لحيازتها وتظل لديه وديعة لمدة ثلاث أعوام ، فإذا لم يظهر للميت وارث خلالها صارت ملكاً لحائزها وفي حال اختلاف الدين : يرث اليهودي أقاربه من غير اليهود ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي مطلقاً (١٢٢).

### الزنى :

الزنى محرّم في الشريعة اليهودية - بين معتنقيها البين فقط - و الحكم المفروض على الزاني هو القتل ، كما ورد في سفر التثنية : ان كل من زنى بأمره اسرائيلي آخر يقتل الزاني والزانية وكذا حكم اغتصاب البكر ، القتل رجماً ما لم يوافق على الزواج منها ، ومن يمارس اللواط يقتل الفاعل والمفعول (١٢٣) .

وقد نقلت أحكام الزنا واللواط إلى الشريعة الإسلامية مع ما نقل من التراث اليهودي - خصوصاً ما هو موجود في التفاسير كما مر معنا - بواسطة اليهود الذين دخلوا الإسلام منهم على سبيل المثال : وهب بن منبه وكعب الأحمبار .

### القصاص في الشريعة اليهودية :

القصاص في اليهودية يمكن أن نجده في قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ } المائدة : ٤٥

وذلك نجد أن أوجه القصاص التي ذكرتها الآية الكريمة لا تزال موجودة في أسفار اليهود ونجد كذلك في تنفيذ القصاص إصرأً واضحاً بالنسبة لهم ، فجزاء كل خطيئة هي القتل شرطاً للتوبة ، فقد ورد في سفر التكوين النص التالي : " كل إنسان بخطيئته يُقتل " (١٢٤) .

فمثلاً نجد في سفر الخروج الإصحاح الحادي والعشرين : من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً - لكن الذي لم يتعمد القتل فقد جعل الرب له مكاناً يهرب إليه - ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً ومن سرق إنساناً فباعه أو وجد في يده يُقتل قتلاً ، وإذا ضرب إنسانُ عين عبده أو أسقط سنّته - أو عين أمته أو أسقط سنّها - فأتلّفها ، فإنه يطلقه حراً عوضاً عن عينه وسنّته (١٢٥) .

لكن العنصرية اليهودية يمكن رؤيتها بوضوح في الشريعة اليهودية التي تكيل بميزان شعب الله المختار الذي ترجح كفته على الآخرين والتي تعتبر غير اليهودي وثنياً كافراً وبالتالي يجوز لليهودي ما يحرم على غيرهم - والعكس صحيح - فالتلمود يصرح بأن " الأمميون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة ومالهم يُتيحه الله حلالاً لبني إسرائيل " .

ويمكن أن نذكر أمثلة من التلمود تؤكد صحة ما نقول منها : " إذا ضرب وثني يهودياً ، توجب قتل الوثني " " عندما يقتل اليهودي كوثياً لا يتوجب عليه عقوبة الموت ، وأما ما يحتجونه اليهودي من الجوي ( الأممي ) فيمكن الاحتفاظ به لنفسه " " يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب ( الحيل ) كي يراوغ أممياً " و " لا يتوجب على اليهودي أن يدفع لوثنى أجور عمل " و " إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنياً فلا يتوجب عليه رده " و " إذا نطح ثور لرجل يسرائيل ثوراً يخص رجلاً كنعانياً لا تدفع أية فدية وأما إذا نطح ثور الكنعاني ثور اليسرائلي توجب دفع الفدية بالكامل " (١٢٦) .

### الرق في اليهودية :

اباحت اليهودية الرق في حالة الفقر بالشراء وفي حالة الحرب بالسبي والاعتناء ، استعباد اليهودي لليهودي استثناء وليس قاعدة - كاستعباد غير اليهودي الذي يعتبر استعباده شيئاً طبيعياً باعتبارهم من البهائم المسخرين لخدمة شعب الله المختار - كما اسلفنا في حديثنا عن العنصرية اليهودية - فاليهودي أن يستعبد اليهودي إذا افقر وباع نفسه للغني أو يقدم المدين نفسه للدائن عبداً ، حتى يوفي له بدينه ويظل عبداً له ست سنوات ثم يتحرر وقد جاء في سفر الخروج " إذا اشتريت عبداً عبرياً فستة سنين يخدم وفي السابعة يخرج مجاناً .. وللعبري أن يبيع بنته فتكون أمة للعبري الذي يشتريها " (١٢٧) . أما بالنسبة لرق سبي الحرب فهو أيسر ما ينزله اليهود بأعدائهم وقد ورد في سفر التثنية الاصحاح العشرون " حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن اجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك " (١٢٨) .

بعد هذا النص يمكن أن نفهم ما الذي فعله اليهود بالفلستينيين من مجازر عام النكبة ١٩٤٨ م ، لأن النصوص الدينية كانت حاضرة في التحريض على قتل الشعب الفلسطيني واعتبار ذلك أمراً من أوامر الرب .

## الأعياد اليهودية :

في الديانة اليهودية العديد من الأعياد الدينية فيما يعرف بيوم طوب (י"ט טוב) أي اليوم الجيد أو الصالح، أو تاغيت (תענית) أي الاحتفال والأعياد الرئيسية الثلاث وفق التقويم اليهودي ووفق التوراة هي:

١- عيد الفصح أو الفطير أو ما يعرف بـ (بيساح): وهو أكثر الأعياد عند اليهود الذي يحيون فيه ذكرى النجاة والخروج من مصر، ويدّعي حاخامات اليهود بأن هذا العيد لا يمكن نسيانه، لأن الرب جاء بنفسه دون أن يكتفي بملائكته وقاد شعبه وأخرجهم من العبودية التي كانوا يعيشون فيها .

يستمر الاحتفال به سبعة أيام في القدس المحتلة وثمانية أيام خارجها .

٢- الهلال الجديد ، يحظى الاحتفال بالهلال الجديد بعناية خاصة لدى اليهود قديماً وكانوا يطلقون عليه عيد النفير ، لأن الأبواق كانت تستخدم في إعلان ظهور الهلال وكانوا يتسابقون لرؤيته وكل من يراه يسرع إلى بيت المقدس ليخبر به الكهنة والرؤساء وينفخ بالأبواق إعلاناً بولادة الشهر الجديد وتشعل النيران في رؤوس الجبال ، ليراها سكان التلال ويعرفوا بقدم هلال الشهر الجديد .

٣ - يوم السبت ( شبات كما يدعى بالعبرية ) وهو اليوم المقدس عند اليهود ولا يمكن لمن يدعي الانتساب لليهودية أن يعمل في هذا اليوم ومن خالف تعاليم التوراة ودنس نفسه بالعمل في يوم السبت ، فإنه يرتكب جرماً كبيراً لا يغتفر وليس لديهم خطيئة تعادل خطيئة العمل في هذا اليوم ، لأنه يوم راحة الرب كما يدعون وفيه أمر الرب عباده بالراحة فيه وباركه ، كما مرّ معنا في الوصية الرابعة من الوصايا العشر المذكورة سابقاً .

٤ - يوم التكفير وهو يوم دوري ، يأتي مرة في السنة العبرية ويحاول فيه اليهود أن يتشبهوا بالملائكة في عبادتهم لله بدون أكل ولا شرب ويقضون جل وقتهم في هذا اليوم في التفرغ لعبادة الله كالملائكة ويُسبق هذا اليوم بتسعة أيام تسمى لديهم أيام التوبة حيث يتطهر فيها اليهودي تطهراً يضمن له النقاء خلال العام القادم ويكون يوم التكفير هو اليوم العاشر يوم الصيام<sup>(١٢٩)</sup> .

وهناك أيضاً عيد العرازيل أو المظال المعروف بـ (سوكوت بالعبرية): إحياء لذكرى الإقامة في صحراء التيه في سيناء .

وهناك عيد الحصاد - أو عيد الأسابيع - المعروف بـ (شفوعوت بالعبرية): ويحيي فيه اليهود ذكرى نزول التوراة على موسى على جبل سيناء.

ويعد عيد الفصح وعيد المظلة وعيد الأسابيع ، مناسبات للحج مفروضة إلى اورشليم في القدس المحتلة مع الصلاة عند حائط المبكى - وهو بقايا الجدار الاستنادي الخارجي لجبل الهيكل كما يزعمون - ويعلن الحداد على خراب الهيكلين المقدسين يوم التاسع من آب بحسب التقويم العبري (١٣٠) .  
مع ملاحظة أن تلك الاعياد تتصل جذورها بمواسم الحصاد التي كانت تحتفل بها الشعوب الوثنية القديمة ومع مرور الزمن انقطعت صلتها بمواسم الحصاد وصارت رموزاً لأحداث تاريخية لها اهميتها في العقل الجمعي لدى اليهود .

### الخاتمة :

كانت تلك لمحة موجزة عن اليهودية ، حاولنا فيها تتبع عقائدهم وشرائعهم من التوراة الحالية ومقارنة ما جاء فيها بما ورد عن اليهود في القرآن الكريم ونستطيع بعد ذلك العرض أن نقول بثقة : أن اليهودية الحالية من خلال التوراة المحرفة - ومن خلال سلوك اليهود كذلك - ليست ديانة سماوية وإنما هي تحريف للرسالة الموسوية ويكفي ما ورد في توراتهم المحرفة من كذب وافتراء وبهتان على أنبياء الله وكذلك افتراءهم على الله و نزعتهم العنصرية التي تعامل غير اليهود - الجوييم في العبرية - باعتبارهم حيوانات وعبيد سخرها الله لهم ، لأنهم بحسب زعمهم ابناء الله واحباءه ، يكفي ذلك تأييداً لما توصلنا اليه بأن اليهودية الحالية هي تحريف للرسالة الموسوية .

نرجو أن يكون ما عرضناه من مزاعم اليهود قد أبان حقيقة تحريفهم للرسالة الموسوية ونزع الغشاوة عن أعين البعض من المطبعين مع العدو الصهيوني بحجة أن اليهودية ديانة ابراهيمية وهي ليست كذلك مطلقاً بحسب المنطوق القرآني الذي أنكر ذلك { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا

مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران : ٦٧ .

## قائمة المراجع :

- (١) أسعد السحمراني : البيان في مقارنة الأديان . دار النفائس / بيروت . ط١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م . ص ١٩ .
- (٢) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٣٠ . سابق .
- (٣) أسعد السحمراني : البيان في مقارنة الأديان . ص ٢٠ . سابق .
- (٤) ينظر : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . مكتبة النهضة المصرية / القاهرة . ط ٨ / ١٩٨٨ م . ص ٤٦ .
- (٥) أسعد السحمراني : البيان في مقارنة الأديان . ص ٢١ . سابق .
- (٦) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٣٠ . سابق .
- (٧) الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ١٦ . سابق .
- (٨) سعدون محمود الساهوك ، هدى علي الشمري : الأديان العالم . ص ٥٩ . سابق .
- (٩) أسعد السحمراني : البيان في مقارنة الأديان . ص ٢١ . سابق .
- (١٠) المرجع السابق : ص ٢٢ .
- (١١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . دار الندوة العالمية للطباعة / الرياض . ط ٤ / ١٤٢٠ هـ . ص ٤٩٥ .
- (١٢) عرفان عبد الحميد فتاح : اليهودية . دار عمّار / عمّان . الأردن . ط ١ / ١٩٩٧ م . ص ١٢ .
- (١٣) جوزيف كاير : حكمة الأديان . ص ١٥٤ . سابق .
- (١٤) علي سري المدرّس : العهد القديم : دراسة نقدية . الأكاديميون للنشر والتوزيع / عمّان / الأردن . ط ١ / ٢٠٠٧ م . ص ٢٠ .
- (١٥) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٥٤ . سابق .
- (١٦) حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي . معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة . ط ١ / ١٩٧١ م . ص ١٢ .
- (١٧) محمد عبدالله الشرقاوي : مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . دار الجبل / بيروت . ط ٢ / ١٩٩٠ م . ص ١٣ .
- (١٨) فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . مؤسسة شباب الجامعة / الإسكندرية . ط ٤ / ١٩٩٤ - ١٤١٤ هـ . ص ١٠ .
- (١٩) علي سري المدرّس : العهد القديم دراسة نقدية . ص ٥٢ . سابق .
- (٢٠) الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ١٧ . سابق .
- (٢١) سعدون محمود الساهوك ، هدى علي الشمري : أديان العالم . ص ٥٨ . سابق .
- (٢٢) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٧٢ . سابق .
- (٢٣) الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . ص ١٨ . سابق .
- (٢٤) سعدون محمود الساهوك ، هدى علي الشمري : أديان العالم . ص ٥٣ . سابق .
- (٢٥) علي سري المدرّس : العهد القديم دراسة نقدية . ص ٦٢ . سابق .

- (٢٦) ينظر : محمد عبدالله الشرقاوي : مقارنة الأديان بحوث ودراسات . ص ١٥ - ١٦ . سابق .
- (٢٧) ينظر : علي سري المدرّس : العهد القديم دراسة نقدية . ص ٢٢ - ٢٣ . سابق .
- (٢٨) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٦٧ . سابق .
- (٢٩) المرجع السابق : الصفحة عينها .
- (٣٠) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٧٣ . سابق .
- (٣١) ينظر : جوزيف كاير : حكمة الأديان . ص ١٥٧ - ١٥٨ . سابق .
- (٣٢) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي . ص ١٣٣ . سابق .
- (٣٣) أحمد أبيض : التلمود كتاب اليهود المقدس . دار قنينة / دمشق . ط ١ / ٢٠٠٦ م . ص ٢٥ .
- (٣٤) فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ١٩ . سابق .
- (٣٥) أحمد أبيض : التلمود كتاب اليهود المقدس . ص ٣١ . سابق .
- (٣٦) المرجع السابق : ص ٢٦ .
- (٣٧) طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . ص ٧٣ . سابق .
- (٣٨) أحمد أبيض : التلمود كتاب اليهود المقدس . ص ٣٩٦ . سابق .
- (٣٩) فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ٢١ . سابق .
- (٤٠) عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي . ص ٩٤ . سابق .
- (٤١) علي سري المدرّس : العهد القديم دراسة نقدية . ص ٢٤ . سابق .
- (٤٢) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي . ص ١٠٣ - ١٠٤ . سابق .
- (٤٣) ينظر : ابن حزم الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل / ج ١ . تح : محمد ابراهيم نصير / عبدالرحمن عميرة . دار الجبل / بيروت . ( د - ت ) . ص ١٧٧ إلى ص ١٧٩ .
- (٤٤) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي . ص ٩٧ - ٩٨ . سابق .
- (٤٥) ينظر : المرجع السابق : ص ١٠٤ - ١٠٥ .
- (٤٦) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . ص ٤٩ . سابق .
- (٤٧) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية . ص ١٤ - ١٥ . سابق .
- (٤٨) وول ديورانت : قصة الحضارة / ج ٢ : الشرق الأدنى . تر : محمد بدران . دار الجبل / بيروت . ( د - ت ) . ص ٣٣٨ .
- (٤٩) أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ١٧٣ . سابق .
- (٥٠) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ١٦٤ . سابق .
- (٥١) عباس محمود العقاد : الله . ص ٦٤ . سابق .
- (٥٢) فراس السواح : مقارنة الأديان / الكتاب الخامس . ص ١٠٩ . سابق .
- (٥٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . ص ٥٠٢ . سابق .

- (٥٤) أحمد شلبي : مقارنة أديان ١ : اليهودية . ص ١٧٦-١٧٧ . سابق .
- (٥٥) ينظر: وول ديورانت : قصة الحضارة /ج٢ : الشرق الأدنى . ص ٣٤٠ . سابق .
- (٥٦) عباس محمود العقاد : الله . ص ٦٤ . سابق .
- (٥٧) وول ديورانت : قصة الحضارة /ج٢ : الشرق الأدنى . ص ٣٤١ . سابق .
- (٥٨) المرجع السابق : ص ٣٤١-٣٤٢ .
- (٥٩) أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ١٧٥ . سابق .
- (٦٠) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ١٧٩ . سابق .
- (٦١) أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ١٧٣ . سابق .
- (٦٢) المرجع السابق : ص ١٣٩ .
- (٦٣) نقلاً عن : جوزيف كاير : حكمة الأديان . ص ١٥٩ . سابق .
- (٦٤) نقلاً عن : محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ١٩٣ . سابق .
- (٦٥) المرجع السابق : ص ١٩٤ .
- (٦٦) نقلاً عن : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ٤١-٤٢ . سابق .
- (٦٧) ينظر : محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ٢٠٩ . سابق .
- (٦٨) أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ١٦٢-١٦٣ . سابق .
- (٦٩) المرجع السابق : ص ١٦٢ .
- (٧٠) محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ٢١٠ . سابق .
- (٧١) المرجع السابق : ص ٢١١ .
- (٧٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ . ص ١٧ . سابق .
- (٧٣) أحمد شلبي : مقارنة أديان ١ : اليهودية . ص ١٦٤ . سابق .
- (٧٤) نقلاً عن : محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ٢١٢ . سابق .
- (٧٥) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . ص ٤٤ . سابق .
- (٧٦) محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ٢١٧ . سابق .
- (٧٧) نقلاً عن : نفس الصفحة .
- (٧٨) أحمد شلبي : مقارنة أديان ١ : اليهودية . ص ١٦٨ . سابق .
- (٧٩) نقلاً عن : محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . ص ٢١٧ . سابق .
- (٨٠) وول ديورانت : قصة الحضارة /ج٢ : الشرق الأدنى . ص ٣٣٢ .
- (٨١) نقلاً عن : أحمد شلبي : مقارنة أديان ١ : اليهودية . ص ١٦٩ . سابق (٨٢) نقلاً عن : المرجع السابق : ص ١٧٠-١٧١ .

- (٨٣) وول ديورانت : قصة الحضارة / ج ٢ : الشرق الأدنى . ص ٣٣٧ . سابق .
- (٨٤) عباس محمود العقاد : الله . ص ٧٥ . سابق .
- (٨٥) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ١٨٢ . سابق .
- (٨٦) وول ديورانت : قصة الحضارة / ج ٢ . ص ٣٤٥ . سابق .
- (٨٧) المرجع السابق : الصفحة عينها .
- (٨٩) ينظر : عباس محمود العقاد : الله . ص ٧٦-٧٧ . سابق .
- (٩٠) حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي . ص ١٢ . سابق .
- (٩١) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٨٩-٢٩٠ . سابق .
- (٩٢) علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . ص ٤٧ . سابق .
- (٩٣) ينظر : فؤاد عبدالمنعم : ابحاث في الشرائع . ص ٢٣ سابق .
- (٩٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . ص ٥٠٣ . سابق .
- (٩٥) أحمد أيبش : التلمود كتاب اليهود المقدس . ص ٣٩٦ . سابق .
- (٩٦) فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ٢٤ .
- (٩٧) نقلاً عن : أحمد أيبش : التلمود كتاب اليهود المقدس . ص ٣٩٥ . سابق .
- (٩٨) ينظر : بروتوكولات حكماء صهيون . تر: محمد خليفة التونسي . دار التراث / القاهرة . ط / ١٩٧٧ م . ص ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٨٤ .
- (٩٩) عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية : عرض تاريخي . ص ١٣١ . سابق .
- (١٠٠) أحمد أيبش : التلمود كتاب اليهود المقدس . ص ٣٩٦ . سابق .
- (١٠١) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٨٠ . سابق .
- (١٠٢) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ١٨٧ . سابق .
- (١٠٣) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية : عرض تاريخي . ص ١٢٩ . سابق .
- (١٠٤) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ١٨٥ . سابق .
- (١٠٥) المرجع السابق : من ص ١٨٥ حتى ص ١٨٧ سابق .
- (١٠٦) ينظر : المرجع السابق : ص ١٨٧ - ١٨٨ .
- (١٠٧) عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية : عرض تاريخي . ص ١٣٤ . سابق .
- (١٠٨) حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي . ص ١٨٣ . سابق .
- (١٠٩) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ١٩٢ . سابق .
- (١١٠) ينظر : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ٣٠٢ . سابق .
- (١١١) المرجع السابق : ص ٢٩٨ . سابق .
- (١١٢) نقلاً عن : أحمد أيبش : التلمود . ص ٣٩٦ . سابق .
- (١١٣) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ١٩٤ . سابق .
- (١١٤) عزية علي طه : تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام . دار القلم / الكويت . ( د - ت ) . ص ٢٩ .

- (١١٥) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٨٣ . سابق .
- (١١٦) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ١٩٥ . سابق .
- (١١٧) نقلاً عن : أحمد أيبش : التلمود . ص ٣٩٥ . سابق .
- (١١٨) ينظر في ذلك : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ٢٩٩ . سابق .
- (١١٩) عزية علي طه : تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام . ص ٣٠ . سابق .
- (١٢٠) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية : عرض تاريخي . ص ١٣٦ . سابق .
- (١٢١) نقلاً عن : عزية علي طه : تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام . ص ٣٠ . سابق .
- (١٢٢) ينظر في ذلك : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ٢٩٧ . سابق .
- (١٢٣) نقلاً عن : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية : عرض تاريخي . ص ١٣٦ . سابق .
- (١٢٤) نقلاً عن : جوزيف كاير : حكمة الأديان . ص ١٥٩ . سابق .
- (١٢٥) نقلاً : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٨٥ - ٢٨٦ . سابق .
- (١٢٦) نقلاً عن : أحمد أيبش : التلمود . ص ٣٩٥ . سابق .
- (١٢٧) نقلاً عن : أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ : اليهودية . ص ٢٩٦ . سابق .
- (١٢٨) نقلاً عن : فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ٢٥ . سابق .
- (١٢٩) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٢٨٥ - ٢٨٦ . سابق .
- (١٣٠) ينظر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي . ص ١٣٨ . سابق .

## الفصل الثاني : المسيحية

### مقدمة :

المسيحية، - أو النصرانية بمنطوق القرآن - التي جاء بها عيسى عليه السلام هي ديانة توحيدية، متمحورة حول تعاليم المسيح لأتباعه - قبل تحريفها من قبل شاؤول اليهودي ومجمع نيقيا كما سنعرف - و تعدّ أكبر ديانة يعتنقها البشر ويبلغ عدد أتباعها ٢,٥ مليار- أي حوالي ثلث من سكان العالم - كذلك هي دين الأغلبية السكانية في ١٢٦ بلدًا - من أصل ١٩٧ - في العالم ويُعرف أتباعها باسم المسيحيين .

وجذر كلمة "مسيحية" يأتي من كلمة المسيح اليونانية ، التي تعني من وقع دهنه أو الممسوح بالدهن المقدّس أو ماسح الخطايا <sup>(١)</sup> .

والتسمية العربية المعاصرة هي مَسِيحِيَّةٌ وَمَسِيحِيُّونٌ نسبة إلى المسيح، وظهر استخدام كلمة مسيحي لأول مرة في عام ٤٢م ، حيث يذكر سفر أعمال الرسل إعطاء أتباع المسيح ( يُسمى لديهم يسوع ) لقب مسيحيين في مدينة أنطاكية والتسمية العربية القديمة هي نَصْرَانِيَّةٌ وَنَصَارَى، والنصرانية، مأخوذة من كلمة الناصرة - بلدة المسيح التي ولد فيها - أو نسبة لكلمة "أنصار الله" المذكورة في القرآن في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } <sup>(١)</sup> .

هناك اختلاف واسع حول المسيح والمسيحية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين والمفكرين الغربيين ، خصوصاً ما يتعلق بحقيقة العقيدة المسيحية وجوهرها ، ذلك أنها قد تعرضت لتحريف متعمّد من قبل شاؤول اليهودي - التي يسمى بولس الرسول وهو المؤسس الحقيقي للمسيحية المحرفة الموجودة حالياً - وتم لبس باطل بولس مع بعض الحقائق التي جاء بها عيسى وتمّ كتمانها وعدم الاعتراف بها وخصوصاً ما جاء في انجيل برنابا كما سنعرف .

نشأت المسيحية من جذور وبيئة يهودية وفي الوقت الذي ظلت فيه اليهودية وحُرُفت وتحوّلت وتحوّلت طقوساً جامدة لا دين فيها ولا حياة .

وترعرعت في ظل الإمبراطورية الرومانية الوثنية وخلال أقل من قرن بعد المسيح وُجدت جماعات مسيحية في مناطق مختلفة من العالم القديم ، فوصلت حتى الهند شرقاً - بفضل التبشير - وخلال القرنين التاليين ورغم الاضطهاد التي تعرض له أتباعها والمبشرين بها من قبل اليهود أولاً والرومان من بعدهم

وغدت دين الإمبراطورية الرومانية وساهم ذلك في انتشارها ومن ثم اكتسابها الثقافة اليونانية التي أخذت عنها المسيحية المحرّفة الأفكار الوثنية وخصوصا ما يتعلق بالتثليث .

### علاقة المسيح باليهود :

جاء المسيح - عليه السلام - لتجديد رسالة موسى كما قال عنه القرآن : { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۖ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } . لذلك نجد أن الكتب الستة والأربعين الأولى من التوراة مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم التناخ أما المسيحيون فيسمونها العهد القديم، ليضيفوا إليها سبعا وعشرين كتابا آخر يشكلون العهد الجديد.

أمن بالمسيح بعضاً من اليهود وكذبه الأكثرية منهم وحاولوا قتله - كعادتهم مع الأنبياء - من أجل ذلك اضطهد اليهود النصارى منذ أيام المسيح عليه السلام وأكثروا فيه وفي أمه - عليهما السلام - الافتراء والأفك وكانوا يسمونه ابن البغية - حاشاها - ولذلك وصفهم القرآن بقوله : { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } وحتى عهود قريبة، كانت العلاقة بين المسيحيين واليهود متوترة، وقد اضطهد اليهود المسيحيون في كل مكان تواجدوا فيه ، وذكر القرآن قصة نو نواس اليهودي الذي قتل المئات من المسيحيين في قوله تعالى في سورة البروج { قُتِلَ أَصْحَابُ الأُحْدُوْدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الوُقُوْدِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُوْدٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ } .

### الاعتراف بالمسيحية:

كانت بداية القرن الرابع الميلادي، موعداً لنهاية زمن الاضطهاد، من خلال مرسوم ميلانو عام ٣١٢ م الذي اعترف بالمسيحية ديناً من أديان الإمبراطورية الرومانية ، وحسب التقليد فإن القديس قسطنطين قد وعد الله باعتراف المسيحية إن انتصر في أحد معاركه على الفرس، فكان له ما أراد وفي عام ٣٣٠ قام بنقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية، والتي أصبحت مركز المسيحية الشرقية ، فأضحت أعظم مدن العالم في ذلك الوقت .

وبدءًا من القرن الرابع الميلادي أخذت المسيحية باضطهاد اليهودية، فطرد اليهود أولاً من الإسكندرية وعاشوا داخل الإمبراطورية البيزنطية خارج المدن الكبرى، وبدءًا من القرون الوسطى المبكرة، اضطهد المسيحيون - الذين غدوا أكثرية - اليهود، وطردوهم خارج المدن، وفرضت عليهم مناطق سكن معينة، ومنعوهم من ممارسة بعض المهن، وفرض على اليهود بدءًا من القرن الحادي عشر التخصص بمهن معينة، ثم صدر عام ١٤٩٢ مرسوم بطردهم من إسبانيا في حال عدم اعتناقهم المسيحية، الأمر الذي كان فاتحة لطرد اليهود من أوروبا برمتها .

الجدير بالذكر أن المسيحية الموجودة حالياً - التي تؤمن بالتثليث - هي خروج عن تعاليم الرسالة العيسوية وتحريف لها وليست في أغلبها من التعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام والتي استمرت تقريباً للعام ٧٠ م .

### النصرانية في القرآن بأي معنى ؟

أثرنا استخدام اللفظ القرآني وصفاً لأتباع الرسالة العيسوية ، على أساس أنه لا يمكن أن نعرف جوهر الرسالة التوحيدية التي جاء بها عيسى عليه السلام إلا من خلال القرآن الكريم ( الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) ولأن الإنجيل الموجود حالياً ليس الذي تلقاه عيسى ، بل أناجيل كتبها بعض المبشرين بالمسيحية دخلها التحريف والتزييف .

فرسالة سيدنا عيسى عليه السلام هي واحدة من رسالات الأنبياء التي تدعو الناس لعبادة الله وتوحيده دون إشراك غيره معه كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة مريم : { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَمَلَّ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } .

وتمضي الآيات القرآنية في ابراز مسيحية عيسى الحق أنه جاء بالشرع الذي أوحاه الله اليه ويعلن براءته مما ابتدعه من جاء بعده - وخصوصا بولس الرسول - وصيروه لهم ديناً ، كما حكى الله تعالى عنه في سرورة المائدة : { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا

أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

والرسالة التي جاء بها عيسى ، كما قال عنها سبحانه وتعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۗ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } { الشورى : ١٣

وبما أن الدين الذي أوصى الله به أنبيائه ورسله واحداً ، فإن غاياتهم وهدفهم الذي يدعون اليه واحداً ايضاً كما أخبر تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } { الانبياء : ٢٥ . } { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } { الزخرف : ٤٤ . } { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اِعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } { النحل : ٣٦ .

تلك الآيات تدل على أن جميع الأنبياء والرسول متفقون في الغاية والهدف وهي الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته وحده دون شريك وما سوى ذلك فليس من عند الله .

وقد حدد القرآن الكريم مهمة رسالة السيد المسيح عليه السلام بأنها تكلمة لماء جاء به موسى عليه السلام والأنبياء من قبله ، كما قال تعالى : { وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } { المائدة : ٤٦ .

وقد فسّر لنا القرآن رسالة السيد المسيح بالقول : { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } { الزخرف : ٦٣ . ٦٤ . } { وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠ } { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } { آل

عمران : ٥١ . ٥٠ .

من خلال تلك الآيات البيّنات نستطيع القول : أن المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، هي إحدى مراحل الرسالة الإلهية إلى الناس ، ليعبدوا الله وحده ويطيعوه دون غيره وهي تدعو إلى التالي : " توحيد الله وتنزيهه عن كل معاني الشرك وإفراده وحده جلّ شأنه بالعبودية والطاعة وتنفيذ أوامره وتحقيق شرعه والتحلي بجميل الخلق ورفيع الشيم ومكارم الأخلاق والزيادة على هذا غلو وكفر " (٣).

وقد حدّر المسيح عليه السلام اتباعه من بني اسرائيل من خطورة الإشراف بالله سبحانه وتعالى كما وضّح القرآن في قوله تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ } المائدة: ٧٢

### رسول إلى بني اسرائيل :

ومعلوم أن رسالة عيسى عليه السلام لم تكن رسالة عامة للبشرية ، لكنها كانت موجهة في الأساس إلى بني اسرائيل ، لكي تصحح المفاهيم التي حرّفتها اليهود ، نظراً لكثرة انحرافهم عن منهج رسالة موسى عليه السلام والأنبياء من بعده ، كما قال سبحانه وتعالى : { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } الصف: ٦

وهذا ما هو مذكور في بعض أنجيل العهد الجديد ، في انجيل برنابا في الفصل ٤٣ - ٤٤ مزيداً من تفسيرات هذه الخاصية وكما ورد في أنجيل متى ما نصه : " لم أرسل إلا إلى خراف بني اسرائيل الضالة " (٤).

لقد دعا المسيح اليهود إلى الزهد في الدنيا والخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة الفانية وكان يحثهم على الإيمان باليوم الآخر ، باعتبار الحياة الآخرة هي الغاية السامية للمؤمن في الدنيا ، فالدنيا هي طريق للآخرة ، والسبب في دعوته اليهود إلى ذلك ، لأنهم كان يغلب عليهم " النزعات المادية وكان منهم من يفهم أن الحياة هي غاية بني الإنسان ، بل إن التوراة التي بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه أو جحيمه ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذي أوعده به العاصين وثوابه الذي وعد به المتقين إنما زمانه في الدنيا لا في الآخرة " (٥).

لقد حاربت دعوة المسيح عليه السلام اتجاهين تأصلا لدى اليهود هما :

١ - الاتجاه المادي الصرف وإهمالهم للروح والناحية الروحية ولذلك كانت معجزة ولادة المسيح روحية صرفة .

٢ - ادعائهم أنهم شعب الله المختار وادعاء أحرارهم بأنهم الصلة والواسطة بين الله وبين الناس وبدونهم لا تتم تلك الصلة .

لقد كان المسيح - عليه السلام - يعلم الناس " أن الله ليس من المساومين وأن ليس هناك شعب مختار وأن لا أحمياء في مملكة السماء وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات عدم استطاعة الشمس ذلك مع الناس سواء بسواء " (٦) .

من أجل ذلك تعرض المسيح لسخط اليهود وعداوتهم الشديدة - ولم يؤمن به سوى القليل منهم - لأنهم كان ينتظرون مسيحاً يهودياً على هواهم يبسط سلطانهم على العالم أجمع ويجعل بقية الشعوب عبيداً لهم ، لكنه خيب آمالهم ، لقد جاءت المسيحية " كحركة تحررية ضمن الدين اليهودي ، سرعان ما نبذت إقليمية الدين القديم وعنصريته وجغرافيته ، لتتحو بالدين الإنجيلي نحواً جديداً يجعله دين البشرية جمعاء " (٧) .

وعندما بدأت دعوة المسيح تجد استجابة من عامة سكان فلسطين حينها ، خاف اليهود أن تكتسح المسيحية الديانة اليهودية ، فحرّضوا عليه الحاكم الروماني الذي لم يجد سبباً وجيهاً وتهمته يدان بها المسيح ، لأن الرومان كانوا وثنيين حينها ولم يتدخل المسيح في السياسة ، وكعادة اليهود فقد تقوّلوا على المسيح وكذبوا عنه ونقلوا أفكهم وزرهم إلى الحاكم الروماني الذي أصدر أمراً بالقبض على المسيح وحكم عليه بالإعدام صلباً .

لكن الله سبحانه وتعالى نجاه من تلك المؤامرة ، كما قال سبحانه وتعالى : { وَمَا

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ

مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۚ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۗ وَالنَّسَاءُ : ١٥٧-١٥٨

### معجزات المسيح في القرآن:

لقد كان خلق المسيح - عليه السلام - من غير أب معجزة روحية بحد ذاتها وكذلك كلامه في المهدي مع اليهود كان معجزة أخرى سجلها القرآن الكريم في سورة مريم { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۗ ﴿٢٩﴾ قَالَ

إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } ومع ذلك فقد ايد الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام بالمعجزات المادية لخصها القرآن في خمسة أمور ، ذكرت سورة آل عمران أربعة منها في قوله تعالى : { أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٤٩ } .

وذكرت المعجزة الخامسة في سورة المائدة: { قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۗ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } .

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن معجزات المسيح عليه السلام والتعاليم التي جاء بها ولا يجوز الخروج عنها وتحويرها - كما حدث بعد ذلك خصوصاً فيما يتعلق بالذات الإلهية - لأن ذلك يعد شركاً حذرهم القرآن منه في قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۗ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } المائدة : ١٧١ - ١٧٢ .

ومع الاسف الشديد أن هناك من المؤلفين المسلمين من خلط بين المسيحية المحرفة - الموجودة في الأناجيل الأربعة المشهورة - وبين ما جاء به عيسى عليه السلام ، خصوصاً عندما ينسبون ما هو موجود في الأناجيل إلى عيسى حتى ولو كان فيه خروجاً على ثوابت الدين ، منها مثلاً : تحريم الختان وتحليل الخمر وأكل لحم الخنزير مستدلين على ذلك بأنه كان موكلاً " بالبوطن والأرواح ، فقد أباح لتلاميذه سبت بني اسرائيل وأحل لهم كل ما

يدخل الفم لأنه لا ينجس ، أما الذي يخرج منه من غش وزور وفسق فهو الذي ينجس " (٨) .

وهذا ليس مما جاء به المسيح ، لكنه من التحريفات التي جاءت بعده والتي ما أنزل الله بها من سلطان كما سنعرف في الصفحات التالية .

### الإنجيل أو العهد الجديد :

الإنجيل كلمة تعني البشارة وينسبونه زوراً وبهتناً إلى عيسى عليه السلام - كما نسب اليهود كتب العهد القديم إلى موسى عليه السلام - ويشمل سبعة وعشرين وثيقة ، أربع منها بشارات الإنجيل وواحدة منها سفر تاريخي يسمى ( أعمال الرسل ) وأحدى وعشرون رسالة " وأقدم وثيقة في رأي بعض الشراح هي رسالة بولس إلى تسالونيكى على أرجح الأقوال كتبها من كورنتوس حوالي ٥٠ م - بعد الصلب بعشرين سنة - ويقول آخر أن الرسالة إلى غلاطية هي أقدم هذه الوثائق ، أما أقدم بشارات الإنجيل فهي بشارة مرقس كتبت في رومية سنة ٦٥ م بعد أكثر من ٣٠ سنة من تاريخ الحوادث التي دونتها " (٩) .

لقد استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سِفرًا من أسفارهم ، قرروا أنها " وحدها الأسفار المقدسة أي الموحى بها ويقصدون أنه موحى بها لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها وأطلقوا عليها اسم العهد الجديد للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها العهد القديم " (١٠) .

تنقسم الأسفار السبعة والعشرون إلى أربعة مجموعات كما يلي :

- ١ - الأناجيل الأربعة هي : إنجيل متى ومرقس ، لوقا ، يوحنا .
- ٢ - أعمال الرسل وهو سفر واحد ينسب إلى لوقا صاحب الإنجيل المعروف .
- ٣ - الرسائل المقدسة وهي إحدى وعشرون رسالة منها : أربعة عشر رسالة كتبها بولس تبدأ برسالة بولس إلي أهل رومية وتنتهي برسالته إلى العبرانيين والرسائل السبع الباقية يطلق عليها الرسائل الكاثوليكية تبدأ برسالة يعقوب وتنتهي برسالة يهوذا .
- ٤ - سفر رؤيا يوحنا ويطلق عليه كذلك مشاهدات يوحنا أو الأبوكاليبس .

هذا الترتيب لأسفار العهد الجديد هو الوارد في الطبقات الحديثة عن طائفة البروتستانت (١١) .

ويذكر الشهرستاني أن أربعة من الحواريين اجتمعوا " وجمع كل واحد منهم جمعاً سماه الإنجيل وهم : متى ، لوقا ، مرقس ، يوحنا ، خاتمة إنجيل متى أنه قال : إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم ، فأذهبوا وأدعوا الأمم باسم الأب والأبن وروح القدس " (١٢) .

وتلك الاناجيل تعتبر عماد المسيحية والتي تشتمل على أخبار حياة المسيح من وقت حملته إلى وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ، ثم رفعه بعد أربعين ليلة وتشمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء وفيها لب المسيحية المحرفة بعد المسيح (١٣) .

مع ملاحظة أن الاناجيل الأربعة المعتمدة لم يملها المسيح ولم تنزل عليه بوحى ، كتبت الثلاثة الأناجيل الأولى بعد رفع المسيح بنحو ٣٠ عاماً من ذاكرة بعض التلاميذ وكتب الإنجيل الرابع ( يوحنا ) بعد رفع المسيح بنحو ٥٥ عاماً ، وكل ما فيها يتعلق بالعقيدة وفيها القليل من الشرائع تتعلق بالزواج والطلاق .

ويرى بعض المسيحيين أن الفكرة القائلة أن السيد المسيح جاء إلى العالم بإنجيل في شكل كتاب جاهز أو خلاصة ناجزة للحق سلمها للناس هي " فكرة خاطئة لا تطابق الواقع ولا يصح أن يقال أن الإنجيل نزل عليه .. كان مجيء المسيح إلى العالم بكل ما أنطوى عليه بمثابة البشرى أو الأنجيل .. وقصار القول أن يسوع نفسه هو الإنجيل وهو البشارة من الله " (١٤) .

والكتب المقدسة لدى المسيحيين تسمى العهد الجديد هو كتاب " غير متجانس ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة " (١٥) .

والجدير بالذكر أن جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم ( لاروس القرن العشرين ) يقولون : " أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ الذين تنسب إليهم " (١٦) .

وفي الفترة المائة والخمسين عاماً الأخيرة من القرن العشرين تحقق العلماء " أن الأناجيل الثلاثة الأولى متى ، مرقس ولوقا تختلف عن الإنجيل الرابع

يوحنا أسلوباً ومضموناً وأن الأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة بدرجة كبيرة وقد سميت بالأناجيل المتشابهة " (١٧) .

وكما هو معلوم أن المسيح عليه السلام لم يترك وراءه كلمة واحدة مكتوبة وكل ما لدى المسيحيين من معلومات حول حياته مستمد من العهد الجديد " ومما يؤسف له حقاً أن الأناجيل يناقض بعضها البعض ، فمثلاً : نجد أن إنجيل متى وإنجيل لوقا يتناقضان في إيراد الكلمات الأخيرة للمسيح وإن كانت هذه الكلمات مأخوذة حرفياً من التوراة أي العهد القديم " (١٨) .

أن عيسى عليه السلام ، كما حكى عنه القرآن وكما عرفه التاريخ قد أزيح جانباً في الأناجيل الأربعة " فقد تم فيها تمسيح عيسى ، فالكثير مما نجده في الأناجيل مرتكز على القيل والسماع وليست هي كتابات رجال شهدوا تلك الأحداث " (١٩) .

ومع اتفاق الأناجيل في الجوهر ، إلا أنها تختلف فيما بينها " في الكثير من التفاصيل ويبدو خلافها حتى في القصص نفسه ، فمن ذلك خلافها في نسب المسيح من جهة يوسف النجار .. ومن ذلك اختلافها في حادث القبض على المسيح " (٢٠) .

هناك تشابه بين الثلاثة الأناجيل الأولى (متى ومرقس ، لوقا ) و تناقض بينها وبين الإنجيل الرابع ( يوحنا ) وعلى سبيل المثال : كانت عقيدة التثليث التي تضمنها إنجيل يوحنا هي ما قبلته الكنسية فيما بعد ، رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة ومخالفتها كذلك لعقيدة التوحيد التي تضمنها إنجيل يوحنا عينه وقد دفعت تلك الحقيقة علماء المسيحية لتقرير أن " هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة ، إن الاختلاف بينهم عظيم لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة موثوقاً بها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا " (٢١) .

ترجع أهم الامور التي تشمل عليها الأناجيل إلى أربعة موضوعات هي : القصص ، العقيدة ، الشريعة ، الأخلاق .

مع ملاحظ أن المسيح الذي تحدثنا عن الأناجيل الأربعة الحالية غير المسيح الذي يحدثنا عنه القرآن وهذه دليل واضح على تحريفها وأنها ليست مما نزل على عيسى عليه السلام .

## إنجيل برنابا :

هو الإنجيل الوحيد الذي يمكن نسبته للمسيح عليه السلام ، لأن كاتبه كان من تلاميذ المسيح وكان معروفاً حتى القرن الخامس الميلادي - قبل مجيء النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقرنين - وقد كان مقبولاً كإنجيل شرعي في كنائس الإسكندرية حتى عام ٣٢٥م وهو العام الذي اجتمع فيه مجمع نيقيا الذي اعتبر التثليث هو المذهب الرسمي للكنيسة البولسية ( نسبة لبولس الرسول ) وتم اختيار أربعة أناجيل من أصل ثلاثمائة إنجيل في ذلك الوقت كانت أناجيل رسمية للكنيسة وصدرت أوامر بحرق الأناجيل المكتوبة بالعبرية وصدر مرسوم بإعدام كل شخص يحتفظ بأي من الأناجيل غير المعتمدة وكانت تلك هي أول محاولة منظمة لمحو وإزالة كتب التعاليم الأصلية للمسيحية سواء كان المحو في صورة أشخاص أو كتب تعارض مذهب التثليث (٢٢).

وظلت نسخ ذلك الإنجيل مخفية حتى عام ١٧٠٩م عندما عثر أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة منه مكتوبة باللغة الإيطالية وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية وانتقلت تلك النسخة إلى مكتبة البلاط الملكي ب فيينا بالنمسا . ويختلف إنجيل برنابا اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين في الكثير من نواحي العقيدة وفي شخصية المسيح ويتفق كل الاتفاق مع ما ورد في العقيدة الإسلامية القرآنية وأهم تلك الاختلافات :

- يقرر أن المسيح عليه السلام بشراً رسولاً وليس إلهاً وليس ابناً لله .

- يقرر أن المسيح لم يصلب - ولكنه شبه لهم - وأن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطي فأخذه وصلبوه ظانين أنه المسيح وهذا يتفق مع القرآن .

- يقرر أن ( مسيا ) أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع المسيح لكنه النبي محمد وقد ذكر محمداً لفظاً يفيد مدلوله شخصاً كثيراً حمد الناس له وثناؤهم عليه وفي كثير من فصوله ذكر لفظ ( فارقليط ) وهو تعريب لكلمة بركلتوس اليونانية ومعناها الذي يُحمد حمداً كثيراً و قال أنه رسول الله (٢٣) .

ولأن تعاليم هذا الإنجيل لم يطالها التحريف كغيره من الأناجيل فقد تم إخفاءه ، لأنه لم يؤيد كل الافتراءات التي أدخلها بولس الرسول وخصوصاً عقيدة التثليث المنحرفة .

## المسيحية المحرفة :

تعرفنا من خلال القرآن الكريم أن دعوة المسيح عليه السلام كانت دعوة قائمة على أساس توحيد الله سبحانه وتعالى - كدعوة كل الرسل والأنبياء -

لكن التوحيد اختفى منها تماماً بعد موته واعتناق شاؤول اليهودي للمسيحية وقوله بفكرة التثليث التي تتنافى مع التوحيد ، ولا تشبه مسيحية بولس التعاليم التي أتى بها المسيح عليه السلام ، إلا كما يشبه القرد الإنسان .

وباستعراض تاريخ المسيحية يمكن إدراك أنها قد بدأت بالإيمان بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - ثم حرفت وحل محلها مذهب التثليث وفي القرن الذي جاء بعد رفع المسيح إليه - بحسب المنطوق القرآني - كان المؤمنون به يؤكدون حقيقة وحدانية الله . وهناك انجيل يدعى إنجيل راعي هرمس - كُتِب في حوالي عام ٩٠ م - كانت تنظر إليه الكنيسة كإنجيل معترف به يبدأ في أول وصاياه الاثني عشر بالآتي : " قبل كل شيء آمن أن الله واحد وأنه خلق كل شيء ودبر أمره ومن العدم خلق الأشياء كلها وهو يسع الكون كله ولا يسعه الكون " وكانت عبارة الإيمان حتى سنة ٢٥٠م كالتالي : " أومن بالله القدير وبين عام ١٨٠ و ٢١٠م أضيفت كلمة الأب القدير " وكان هذا مستهجناً من جانب عدد من قادة الكنيسة (٢٤) .

## شاؤول اليهودي بولس المسيحي :

كان شاؤول يهودياً متعصباً وحبراً من أبحارهم، تشبّع بالتراث اليهودي واليوناني والوثني ، حارب المسيحية بغير هوادة وتزعم الاضطهاد الأول للمسيحيين في القدس وكان يذهب لبيوتهم ويأخذهم إلى السجون ، وقصة تحوله من اليهودية إلى المسيحية حيرت الكثير من الباحثين ، فقد أدعى رؤية المسيح وهو في طريقة إلى دمشق ، فاعتنق المسيحية ونبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح - كما أدعى - وتسمى بولس الرسول وهو المؤسس الحقيقي للمسيحية المحرفة المنتشرة حالياً ، فهو من وضع مبادئ اللاهوت في المسيحية وألف الجزء الكثير من كتب العهد الجديد وتنسب له أربعة عشر سفرًا من أسفار ذلك العهد وتسمى رسائل بولس ، لقد أصبح بولس في تاريخ المسيحية " وعقائدها وشرائعها أكبر شأنًا حتى أن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله وحتى أن

كلمة الرسول إذا أطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس كما يطلقون عليه الرسول الكبير " (٢٥) .

لقد أخذ بولس زمام المسيحية برمته في يده، مع أنه لم يرَ المسيح قط ولم يسمعه يتكلم البتة ، لكنه أدعى - زوراً وبهتاناً - بصلة مباشرة بينه وبين المسيح الرب و أحاط نفسه بالضمانات وراح يقول صراحة : " أنه الوحيد الذي أوتئمن على المسيحية الصحيحة وعلى أنجيل مجد الله المبارك وأن كل من يخالف ما يقول به من تعاليم ، كلام باطل دنس مخالف للعلم ، كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام " (٢٦) .

وبتلك الدعوى الخبيثة لم يستطع أحد أن يجادل بولس فيما ينشره من أباطيل ، ما دام يقول أن تلك التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح الرب وليس الرسول فقط .

لقد هدم بولس الإيمان المسيحي من الداخل وجعله ايماناً أجوفاً يستند للخرافات والأساطير ولا يُقيم للعمل وزناً ، بل أنه لا يحتاج للعمل أصلاً، خلافاً لكل التعاليم التي طالب المسيح اتباعه للعمل بها، لقد ربط الإيمان بفكرة الفداء والتضحية " ومضمون هذا الإيمان هو أن يؤمن المسيحي بأن المسيح ضحى بنفسه لأجل مغفرة خطايا البشر وهذا الإيمان سيخلص الإنسان من الدينونة أما الشريعة فلا حاجة لها فقد أصبحت قديمة ويجب التخلص منها " (٢٧) .

فما دام المسيحي يؤمن بأن المسيح قد ضحى بنفسه وصُلب فداءً للبشر ، فلا يضر مع ايمانه ذلك الإتيان بالمعاصي - مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير - هذا ما جاء به بولس وما اعتقد البعض للأسف أنه مما جاء به عيسى عليه السلام - حاشاه - وخلطوا بين مسيحية عيسى وافتراءات بولس .

لقد لفق بولس انجياً من لدن نفسه وأصبح يُعرف بإنجيل بولس ولا يشبه تعاليم المسيح وتعاليم حواريه وتلاميذه ، إلا كما يشبه القرد الأنسان .

من أجل ذلك أصبح تلاميذ المسيح من أعدى أعداء بولس ، خاصة عندما كانوا يُفندون زيف العقائد المنحرفة التي جاء بها والمختلفة جوهرياً عن العقيدة الحقّة التي نادى بها المسيح - عليه السلام - وخاصة تلك المتعلقة بالزعم أن عيسى ( أو يسوع كما يسميه ) هو ابن الله وهو وحيدته نزل إلى

الأرض بهيئة إنسان ليصلب فداء للخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام بأكله من الشجرة المحرمة وقد نفى حواريو المسيح أنه إله أو أنه ابن الله كما نفوا أن يكون قد صلب أصلاً كما شُبه لبولس وأمثاله من اليهود .

ولم يبقَ مع بولس سوى تلميذه لوقا الذي آمن برسالته وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها .. كتب لوقا رسالة أعمال الرسل وهي تحكي قصة حياة بولس - فهي لبولس كإنجيل متى ومرقص للمسيح - وكلها وصف لأعماله وإشادة بمعجزاته - المدعاة والمزيفة - وهكذا تبادل بولس الاستاذ وتلميذه لوقا المدح والمنفعة ، فقد أصبح لوقا في الصف الأول من كتبة الاناجيل ، مع أن الاستاذ والتلميذ لم يشاهدا المسيح أصلاً ، واختلطت أفكار بولس ولوقا حتى قال القديس ترتليانوس أسقف قرطاجنة : إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس . (٢٨).

لقد أدخل بولس الكثير من التحريفات في المسيحية وعلى العقيدة والشريعة التي جاء بها المسيح عليه السلام ونقل المسيحية من التوحيد إلى الشرك .

### تحريفات بولس في المسيحية:

كل التحريف الذي لحق بالمسيحية بعد عيسى عليه السلام جاء به بولس وتم تأكيده من خلال مجمع نيقيا - كما سنعرف - ويمكن ايجاز تحريفات بولس في العقيدة والشريعة المسيحية فيما يأتي :

- جعل بولس المسيحية دعوة عالمية مفتوحة لجميع الأمم - وليس خاصة باليهود فقط - وقد أدى ذلك لتحريفه لبعض التشريعات التي كانت محل اعتراض من الوثنيين ، كالختان وعيد يوم السبت وتحريم لحم الخنزير ، فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي إلى يوم الأحد ليوافق يوم الشمس - كما يُسمى في اللغة الإنجليزية - عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير .
- جاء بفكرة الخطيئة المؤثرة والتي تعني أن كل إنسان مذنب منذ ولادته ، لأنه يُعد وارثاً لخطيئة آدم ، وأدعى أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة بني آدم بموته على الصليب فداءً لهم .
- أدخل فكرة الرهبانية للمسيحية ، عندما فضّل غير المتزوج على المتزوج ، مدعياً أن الأول يهتم بما يُرضي الرب ، بخلاف المتزوج الذي يهتم بما هو موجود في العالم وكيف يُرضي أمراته على حد زعمه .

- أدخل عقيدة الكلمة ( اللوجس ) التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية ، وقد أخرج المسيحية من البساطة إلى تعقيدات الفكر الفلسفي اليوناني <sup>(٢٩)</sup> .

لكن أخطر العقائد التي أدخلها شاؤول اليهودي ( بولس ) على المسيحية والتي قلبتها رأساً على عقب وحولتها من عقيدة توحيد إلى عقيدة شرك كانت قوله بالتثليث " ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس وكون عيسى ابن الله ونزوله ليضحي بنفسه تكفيراً على خطيئة البشر وقيامه عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر " <sup>(٣٠)</sup> .

لقد جاء بولس بفكرة التثليث من خلال قراءاته واطلاعه على العديد من الأفكار الفلسفية والديانات الوثنية القديمة منها على سبيل المثال الديانة الهندوسية " التي تقوم على عقيد التثليث ، فهناك الإله براهما ثم يليه في المنزلة إلهين : فشنو وشيفا . وعقيدة التثليث قالت به الأفلاطونية الحديثة ، فالمنشئ الأزلي يُفاض عنه كل من العقل الفعّال والنفس الكلية . ومما لا شك فيه أن بولس قد تلقى مثل هذه العقائد وطورها من خلال تناوله للمسيح " <sup>(٣١)</sup> .

وبعد ما أدخله بولس من تحريف على العقيدة المسيحية من السهل أن تقرأ كاتب مسيحي معاصر يتحدث عن التثليث قائلاً : " ومنذ فجر المسيحية قامت العقيدة المسيحية على أن يسوع المسيح رب وفي سبيل هذه العقيدة كافحوا وناضلوا بدعوى السلام في عالم معادٍ وعانوا الاضطهاد والموت راضين مؤمنين وما تزال هذه العقيدة قوة المسيحية .. والروح القدس هو المسيح الحيّ ومن ثم يكون الإله الوحيد متمثلاً في ثلاثة : الله الأب ، الله الابن ، الله الروح القدس .. إن بولس الرسول يفترض عقيدة الثالوث كأنها قضية قد سلمت بها الكنيسة منذ البداية بقوله : نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم أجمعين " <sup>(٣٢)</sup> .

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

لقد كان بولس سياسياً بارعاً ، حاول أن يرضي الجميع ، فقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليها العامة منهم ، وأدخل عليها صوراً من فلسفة اليونان ليجذب إليها الخاصة والمفكرين من اليونان وحاول أن يرضي الوثنيين عن طريق استبعاده لبعض الشرائع ( كالختان وتحريم لحم الخنزير

وشرب الخمر ) وهكذا اخترع بولس ديناً للناس بحسب ما يرضى أهوائهم بعيداً عن الدين الذين شرّعه الله وارتضاه لعباده ، فكسب رضى الناس وخسر رضى الله وجمال بين الناس يُبشّر أن عيسى عليه السلام منقذ ومخلص وسيد . والفرق بين مسيحية عيسى عليه السلام ومسيحية بولس ، كالفرق بين نظرية الخلق التي تحدث عنها القرآن ونظرية دارون ، وما بشر به عيسى كان " ميلاداً جديداً للروح الإنسانية ، أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الإلهة ، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة " (٣٣) .

لم يعدم باطل بولس الذي قال به من يقف ضده ، بل وجد الكثير من الأساقفة وعامة الناس كانوا موحدين ولم يقبلوا بغير عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام والتي ذكرها الله في القرآن .

### المسيحيون الموحدون :

لكن ذلك لا يعني تسليم معظم المسيحيين بما قاله بولس ، بل وجدت منهم طائفة موحدة تقول عن عيسى كما قال عنه القرآن بأنه عبد الله ورسوله وهم الذين عناهم القرآن بقوله تعالى : { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } آل عمران : ١٩٩ .

ومن أوضح الآيات القرآنية التي توضح انقسام المسيحيين إلى مؤمنين وفاسقين قوله تعالى : { وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۗ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }

الحديد: ٢٧

هؤلاء هم أتباع أريوس ويعرفون بالأريسيين .

لم يستطع بولس التأثير في عقائد كل المسيحيين وحرّفها من التوحيد إلى شرك التثليث ، لكنه نجح في ذلك مع الغالبية من ضعيفي الإيمان ، وظهرت شخصيات معاصرة له أنكرت ما يقوله في المسيح واعتبرته شركاً محضاً يتنافى مع عقيدة التوحيد التي ترى أن عيسى رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء وليس أكثر من ذلك كما أدعى بولس .

ومن أوائل من أنكر التثليث وأشهرهم القديس برنابا صاحب الإنجيل الأقرب للقرآن ( إنجيل برنابا ) والذي منعه المجامع المسيحية منذ القرن الخامس الميلادي وحرّمت الكنسية مطالعته تداوله .

ويعتبر برنابا ركناً من أركان المسيحية الموحدة وعمود من أعمدتها ، غير أنهم لا يعدونه من الحوارين ، غير أن إنجيله يقول أنه كذلك " فهو استاذ مرقس - بل مرقس كان خادمه - وهو إمام بولس ( شاؤول ) بل شاؤول مدين له بالفضل في تقريبه من تلاميذ المسيح في بداية الأمر ، الذين أبغضوه وخافوا من إجرامه الذي مارسه في حقهم سابقاً وأن يكون مدسوساً عليهم والسبب في منع إنجيله وتحريم الاطلاع عليه أنه " اتفق مع بطرس في الرأي بعدم القول بالوهية المسيح ويرى أن الذبيح من أولاد إبراهيم عليه السلام إسماعيل وليس اسحاق كما يدعي اليهود وبيشّر بالنبي محمد ولا يتفق مع الأنجيل الأخرى في القول بصلب المسيح بل انه يجّهل القائلين بذلك ولا يقول بالتثليث ولا يرى الطرق الجديدة في المسيحية إلا اختراعاً من عمل الناس " (٣٤) .

ومن النصوص التوحيدية الموجودة في انجيل برنابا والتي يفضح فيها شرك بولس ما نصه : " أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح بن الله ورافضين للختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس الذين ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عن إلا مع الأسراء وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعتة أثناء معاشرتي ليسوع " (٣٥) .

وأستمر التوحيد في القرون الأولى للمسيحية برغم شيوع مذهب التثليث وظهر العديد من الأساقفة الموحدين خلال تلك القرون - خصوصاً في شمال

أفريقيا - منهم : إيرانيوس ( ١٣٠ - ٢٠٠ م ) الذي آمن بإله واحد وأن المسيح رسول الله وهو إنسان - وليس إله أو ابن الإله كما أدعى بولس - وانتقد بولس بشدة ، كونه المسئول عن إدخال التثليث ومذاهب الديانات الوثنية والفلسفة الافلاطونية إلى المسيحية وكان يقتبس في تأييده لأفكاره نصوصاً كثيرة من انجيل برنابا ومن الأساقفة الموحدين أيضاً تيريتليان ( ١٦٠ - ٢٢٠ م ) و أوريجين ( ١٨٥ - ٢٤٥ م ) و لوسيان ( توفي عام ٣١٢ م )<sup>(٣٦)</sup> .

وأشهر الموحدين على الإطلاق هو آريوس ( ٢٥٠ - ٣٣٦ م ) الذي رفض البدع التي أدخلها بولس على المسيحية وكان يتبع تعاليم المسيح بصورة واضحة وكان شعاره " اتبعوا المسيح كما وعظ وأهمية هذا الرجل تتبع من حقيقة أن اسمه كان مرادفاً للتوحيد حتى اليوم " (٣٧) .

وذاع صيته وتبعه الكثير من الموحدين في عصره - وبعد موته - واليه تنسب الأريوسية وهم اتباع الكنيسة الرسولية التي حاربها اتباع بولس - وهم من اتباع الكنيسة البولسية - وخصوصاً اسكندر بطريرك الاسكندرية ودب الخلاف بين الكنستين والأسقفين واتباعهما ، مما هدد وحدة الديانة المسيحية ووحدة الدولة الرومانية ، فما كان من الإمبراطور قسطنطين سوى الدعوة لانعقاد مجمع نيقيا المسكوني عام ٣٢٥ م لتوحيد العقيدة المسيحية حينها .

وتتلخص أفكار الأريوسية الموحدة في أن الله هو الواحد الأحد الذي تنزهه عن الشريك والمثل وأن المسيح مخلوق غير أزلي وليس ابناً لله ولا إله كما أدعى بولس وتؤمن " بالله الواحد الأحد وتؤمن بالمسيح مخلوقاً مجرداً من اللاهوت فإن هذا يكفي لاعتبارها من جملة الفرق المسيحية الموحدة برغم ما علق بتوحيدها من مأخذ وأخطاء " (٣٨) .

وطائفة الأريوسيون الموحدون هم الذين قصدهم النبي الكريم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في خطابة الذي بعثه إلى هرقل الروم في السنة السابعة للهجرة قائلاً فيه : ( ... أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك أثم الأريسيين ) وذلك يعني أن " رسالة النبي تتضمن دليلاً قاطعاً على أنه يدرك عندما بعث رسالته تلك أن كثيراً من المنضوين تحت إمبراطورية هرقل من الموحدين أتباع مذهب آريوس لذلك حملته مسؤولية الإثم الذي يترتب عليه إذا هو لم يسلم لأن عدم إسلامه سيحول دون إسلام رعيته " (٣٩) .

وترجع كل المصائب التي لحقت بالعقيدة المسيحية - بعد بولس الرسول الذي أدخل التثليث - وحوالتها من التوحيد إلى التثليث إلى " تدخّل الأباطرة الرومان الذين كان همهم الأول والأخير تثبيت حكمهم وفرض السلام في الإمبراطورية بمختلف الوسائل ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة " (٤٠).

وهذا ما فعله الإمبراطور الوثني قسطنطين الكبير الذي دعا أساقفة الكنيسة إلى عقد أول مجمع مسكوني في مدينة نيقيا في الأناضول بتركيا، فاجتمعوا من ٢٠ مايو حتى ١٩ يوليو من سنة ٣٢٥م وكان له الأثر الكبير في قرارات المجمع مع العلم أن بقي على وثنيته ولم يُعمد مسيحياً سوى على فراش موته عام ٣٣٧م .

### مجمع نيقيا ٣٢٥م وتأكيده التحريف:

عقد هذا المجمع بناء على اقتراح تقدم به أسقف اسبانيا الذي أرسله الإمبراطور قسطنطين لحل الخلاف الذي عمّ أرجاء الإمبراطورية بين الموحدين يتزعمهم أريوس والمؤلهين لعيسى يتزعمهم بطريك الإسكندرية. وخطورة هذا المجمع أنه وضع العقيدة المحرفة للمسيحين - وليس الله سبحانه وتعالى - وشرّع لهم أصول الديانة وفروعها ، وقد جاء أريوس وانصاره إلى المجمع وهم على ثقة من نصر مذهبهم في التوحيد على مذهب معارضهم من القائلين بالتثليث ، فلقد كان أسقف الكنيسة في نيقيا إلى جانبهم ، لكن إرادة الإمبراطور قسطنطين هي من حسمت الأمر وليس المجتمعون ، ولذلك رفض آباء الكنيسة مذهب أريوس التوحيدي وذلك في أول مجمع مسكوني في تاريخ المسيحية حيث صاغوا القسم الأول من ما أسموه قانون الإيمان الذي يقول بالتثليث و بألوهية المسيح وتساويه فيها مع الأب ، وقد جاء في قرار المجمع " إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرّم كل من قال بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه وأنه لم يوجد قبل أن يولد وأنه وجد من لا شيء أو من يقول أن الأب وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول أنه قابل للتغيير " (٤١) .

وقد صدرت قرارات هذا المجمع والتي غيرت مسار المسيحية من التوحيد إلى الشرك وأهم تلك القرارات :

١ - تحريم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله نهائياً .

٢ - القول بالتثليث وبألوهية المسيح ونزوله ليُصلب تكفيراً عن خطيئة آدم التي عمّت جميع أبنائه .

٣ - عدم التصريح لمن يترمّل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى .

٤ - اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة .

٥ - طرد المجمع كل من يخرج عن هذه العقيدة (٤٢) .

وهكذا فإن المجتمعون في هذا المجمع فرضوا أنفسهم جماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين الذي جاء به شاؤول اليهودي ( بولس الرسول ) وليس المسيح عليه السلام .

لقد كانت حصيلة تلك المجمع المشئوم هي تقرير ألوهية المسيح وأنه من جوهر الله ، قديم قدمه وأنه غير مخلوق وأصبح الشرك بعده في المسيحية هو القاعدة والتوحيد استثناء ، وفرضت تلك العقيدة الباطلة على المسيحيين فرضاً - بمنطق القوة الإمبراطوري - بالرغم من مخالفتها لما كان يؤمن به الكثير من الأساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر على وجه الخصوص التي كان فيها أنصار كثر لأريوس وخصوصاً في الإسكندرية وأسيوط .

وبحسب تلك العقيدة النيقاوية التي يجب أن يلتزم بها كل مسيحي ، عليه أن يتبرأ في صلاته من بدعة أريوس ولاحقاً اعتبر أريوس ذاته مهرطقاً ( كافراً ) وأعلنوا حرمانه وجميع أتباعه من حضور الطقوس الكنيسية .

ولكن هذا لم يوقف انتشار الأريوسية بين مسيحي ذلك الزمان بعد أن استغلت سياسياً فانتشرت في مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى، حتى أصبحت سنة ٣٥٩ المذهب الرسمي للإمبراطورية الرومانية

إن عقيدة التثليث التي أدخلها بولس في القرن الأول وأقرت في مجمع نيقيا في القرن الرابع الميلادي ، لم تعكس بدقة العقيدة المسيحية الحقة والتعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله " لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم ولهذا تطورت ضد التوحيد الخالص .. التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة أما التثليث فإنه انحراف عن هذه العقيدة " (٤٣)

وتم في هذا المجمع الاعتراف بالأربعة الاناجيل المعروفة إلى اليوم باعتبارها الأناجيل الصحيحة ، لأنها ببساطة تدعم عقيدة التثليث وكل الأفكار المنحرفة

التي اقروها وحرقت كل ما عداها من اناجيل كانت متداولة في اغلب الكنائس وأصبح الاحتفاظ بانجيل غير معترف به من مجمع نيقيا جريمة جسيمة عقوبتها تصل " إلى الإعدام ونتيجة لذلك قتل أكثر من مليون مسيحي في الأعوام التي تلت قرارات المجمع " (٤٤).

لقد مثل مجمع نيقيا انتهاء عصر التوحيد في المسيحية بشكل رسمي ممنهج ومع ذلك حاولت عدة فرق مسيحية أن تظهر عقيدة التوحيد ولو على استحياء وبطرق ملتوية ومن أشهرها :

- مقدونيوس وجماعته الذي أنكر أن يكون الروح القدس إلهاً وقال إنه مصنوع لله ومخلوق له .

- النسطوريون : أصحاب نسطور بطريك القسطنطينية الذي عارض القول بأن مريم ولدت إلهاً وقال إنها لم تلد سوى الإنسان فهي أم الإنسان وليست أما للإله كما يدعي اصحاب التثليث .

- اليعقوبيون : نسبة إلى يعقوب البرذاعي الذي اعتنق مذهب بطريك الإسكندرية القائل : أن للمسيح طبيعة واحدة هي التقاء اللاهوت والانسوت في المسيح وهي عين الفكرة التي رفضها مجمع خليقدونية عام ٤٥١ م وتسبب عنها تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها والانفصال عن الكنيسة الرومانية (٤٥) .

وبعد مجمع نيقيا بدأت الكنيسة تأخذ دورها في سن العقائد والتشريع لحياة المسيحيين بعيداً عما جاء به عيسى عليه السلام وهذا يحتم علينا تناولت التشريع في المسيحية .

### التشريع ومراحل في المسيحية :

مر التشريع في المسيحية بعدة مراحل في عصور مختلفة وهي كالتالي :

١ - المرحلة الأولى : اتباع الشريعة الموجودة عند اليهود على اساس أن عيسى عليه السلام كان رسلاً لبني اسرائيل وفحوى شريعته كما قال عنها القرآن : { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ }

والمحرمات التي كانت على اليهود تحدت عنها القرآن في عدة آيات منها قوله تعالى في سورة النساء : { فَظُلْمٌ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ

وَبَصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ  
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا { وفي سورة الأنعام : } وَعَلَى  
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا  
حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ  
﴿١٤٦﴾ { ومن المحرمات ما حرّمها نبي الله يعقوب ( اسرائيل ) على نفسه  
كما قال تعالى في سورة آل عمران : } كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا  
مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا  
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ {

وقد أمر عيسى أتباعه بالأخذ بشريعة موسى وكما يقول المسيحيون على  
لسانه: " إنني لم أت لأغير الناموس ولكن لأقرر " فعيسى لم يأت بتشريع  
جديد ، لكنه كان مهتماً بالوعظ والوصية والتسامح ونشر الأخلاق التي أهملها  
اليهود ولذلك تعتبر المسيحية التوراة وأسفار الأنبياء السابقين عليها كتباً  
مقدسة ويطلقون عليها العهد القديم والسبب الذي يورده المسيحيون في عدم  
اهتمام عيسى بالتشريع في هذه المرحلة كما يقولون : " أنه أراد الشريعة  
روحاً مُحْيِياً لا حرفاً ميتاً وأنه أراد تجنيب هذه الشريعة ما تفرضه عليها  
أحوال الزمان والمكان من تحوير وأنه أراد أن يحترم حرية الإنسان فلا  
يسوقه مكرهاً إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله " (٤٦).

- المرحلة الثانية : وتشمل العظات التي كان يُلقِيها عيسى عليه السلام على  
اتباعه وأشهرها المسماة بعظة الجبل ومن تلك العظات على سبيل المثال :

- طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات .

- طوبى للحرزاني فإنهم يتعزّون .

- طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .

- طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون .

- طوبى للرحماء لأنهم يرحمون .

- طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله .

- طوبى لصناع السلام لأنهم عباد الله يدعون (٤٧) .

و يرى المسيحيون أن تلك العِظَات نقلت التشريع المسيحي لمرحلة جديدة وعقدوا المقارنات بين الشريعتين الموسوية القديمة والعيسوية الجديدة من حيث التشابه ، فكلاهما كما يقولون صادر عن الله وكلاهما يأمر بوجوب حفظ الوصايا ومن ناحية الخلاف أورد الكتاب المسيحيون صوراً لا يمكن القول أنها تشريعات جديدة وإنما هي نوع من التسامح - بخلاف الطلاق الذي أصبح محرماً في المسيحية - وعلى سبيل المثال :

- نهت شريعة موسى عن القتل ، أما ما يقوله المسيحيون أن المسيح ذهب أبعد من ذلك وهو النهي عن مجرد التفكير في القتل ونهى عن الإساءة إلى الغير وحقر الغضب والبغضاء واحتقار الآخرين وما يروونه عنه في إنجيل متى قوله : " وقد سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل فإن من قتل يستوجب الدينونة . أما أنا فأقول لكم أن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة " .

- نهت شريعة موسى عن الزنا وأمرت بقتل الزاني ، أم المسيح فقد نهى عن مجرد التفكير في الزنا وعن كل فكرة دنيئة تداعب الحس والخيال وما يروونه عنه في إنجيل متى قوله : " قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تزن أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة أخيها فقد زنى بها قلبه " .

- اباحت شريعة موسى الطلاق ، أما ما نقلوه عن المسيح أنه حرّم الطلاق و أرجع الزواج إلى صرامته ونقاؤه - فما جمّعه الله لا يفرقه الإنسان - فموسى لم يسمح بالطلاق إلا لقساة القلوب من قومه ، أم المسيح فقد سمح بالهجر بشرط إلا يعقبه زواج جديد .

- نهت شريعة موسى عن الحنث بالعهود والحلف بالله ، أم ما نقلوه عن عيسى أنه نهى عن الحلف على الإطلاق أيّاً كان نوعه .

- اعترفت شريعة موسى بالانتقام - على اساس العين بالعين .. - أما ما نقلوه عن المسيح فهو نصحه بقبول الإهانة برباطة جأش فمن الحمق أن ترد الكيل بالكيل والضربة بالضربة ومن الحكمة أن تبادل الشر بالخير (٤٨) .

كانت المسيحية في هذا العهد لا تزال محافظة على نقائها التوحيدي والتشريعي ، نظراً لوجود المسيح عليه السلام وبعد أن رفعه الله اليه ، بدأ التشريع في المسيحية ينحو منحاً آخر بعيد تماماً عما بشر به المسيح .

- المرحلة الثالثة : بولس والتشريع : عرفنا سابقاً أن المسيحية الحالية تنسب لبولس - ولا تمت بصلة للمسيح عليه السلام - ولذلك لكثرة ما أدخل فيها من بدع خصوصاً في جانب العقيدة وكان له كذلك النصيب الأكبر في تحريف التشريع ، فقد كان يشرح عن عيسى عليه السلام أحياناً بما يوافق هواه وفي معظم الأحيان كان يقترح من عنده ، فالأسفار التعليمية المتضمنة لتعاليم المسيحية ومبادئها وشعائرها وقوانينها من عمل بولس أو من عمل اتباعه ، فقد رأى أن الشريعة الموسوية لم تعد تناسب الكثير من الشعوب التي تود اعتناق المسيحية - خصوصاً الوثنية منها - وكان الختان أشق عليهم من غيره فأوقف الختان وحصر تعاليم المسيحية في تحريم الزنا وأكل لحم المخنوق وأكل الدم وأكل ما ذُبح للأوثان وأباح الخمر وأكل لحم الخنزير والربا وهي محرمة في التوراة (٤٩) .

- المرحلة الرابعة : دور المجامع في التشريع : يقصد بالمجمع التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالقضايا العقائدية والتشريعية ، تفرض قرارات المجامع بقوة سلطة الكنيسة الديني غالباً وبقوة سلطان الدولة أحياناً والمجامع المسيحية تعد من أهم مصادر التشريع في المسيحية " لأن جملة كبيرة من العقائد والشرائع المسيحية ليست لها مستند عند المسيحيين من العهد القديم أو الجديد وإنما اعتمدوا في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع " (٥٠) .

مع ملاحظة أن مؤسسة الكنيسة وسلطة المجامع لم تكن موجودة في زمن المسيح عليه السلام وإذا كان بولس قد أحدث البدعة الأولى في المسيحية وحرّفها من التوحيد إلى التثليث والشرك ، فإن المجامع المسيحية التي يجتمع فيها الأساقفة ورجال الدين المسيحي هي التي أكدت بدع بولس وصدّقت عليها بالإجماع - كما حدث في مجمع نيقيا عام ١٣٢٥م - وأخطر تلك المجامع هي المجامع المسكونية ، لأنها تختص بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة ولها سلطان التشريع في المسيحية وعدد المجامع العامة المسكونية التي انعقدت منذ القرن الميلادي الأول وحتى عام ١٨٦٩م تساوي

عشرين مجعماً وأكبرها شأناً وأخطرها وأبعدها أثراً أربعة مجامع وهي التي حددت حدود العقيدة المسيحية ورسمت مظاهر التشريع عند اتباع المسيح :

- مجمع نيقيا المنعقد عام ٣٢٥ م .
- مجمع القسطنطينية الأول المنعقد عام ٣٨١ م .
- مجمع أفسوس المنعقد عام ٤٣١ م .
- مجمع خليقدونية المنعقد عام ٤٥١ م (٥١) .
- المرحلة الخامسة : الكنائس والتشريع :

لم تكن عصمة البابا محل اعتراض من مسيحيي أوروبا خلال القرون الأولى للمسيحية حتى القرن السادس عشر الميلادي عندما ظهرت البروتستانتية كحركة اصلاح للكنسية على يد مارتن لوثر وانكرت تلك العصمة ، ولذلك احتاج البابا إلى عقد مجمع مسكوني كاثوليكي لتأكيد تلك العصمة من جديد وقد بدأت هذه المرحلة عام ١٨٦٩م عندما قرر مجمع روما أن البابا معصوم ، فانتقل حق التشريع اليه بوصفه رأس الكنسية وعن طريقة تمتعت الكنسية في الفاتيكان بهذا الحق وينسب المسيحيون عصمة الكنسية إلى عيسى عليه السلام - وهو ادعاء يشبه ادعائهم بأنه إله وابن إله - يقول الأب بولس إلياس " لقد خول السيد المسيح كنيسته عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه : كما أرسلني الأب هكذا أنا أرسلكم وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم .. وعصمة الكنيسة هذه امتياز تنعم به هي والبابا رأسها ونائب المسيح المنظور ولا يعتبر البابا معصوماً من الضلال إلا عندما يعلن أو يرذل بطريقة احتفالية عقيدة من عقائد الإيمان أو تعليماً له مساس بالآداب المسيحية " (٥٢) .

ولا تزال للكنائس حق التشريع حتى الآن ومن القرارات التي اتخذتها حديثاً تبرئة اليهود من دم المسيح - وهو قرار سياسي بالأساس - ويرى كثير من الباحثين أن عدداً من الكرادلة التي اشتركوا في تأييد هذا القرار ينحدرون من أصل يهودي وأنهم اعتنقوا المسيحية لهذا الغرض (٥٣) .

وهذا ليس بعيداً على اليهود وخصوصاً بعدما فعله شاول اليهودي ( بولس الرسول ) الذي تخلى عن اليهودية واعتنق المسيحية وأدخل فيها جلّ العقائد والشرائع المحرفة كما مرّ معنا في الصفحات السابقة .

### العبادات في المسيحية :

تتمثل العبادات في التشريعات المسيحية في الصوم والصلاة وتحديدتهما غير متفق عليه بين الفرق المسيحية ويرى الكثير من المسيحيين أن الانتظام في الصوم والصلاة توجه اختياري منهم وليسوا مجبرين عليه .

### الصوم :

لديهم هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتى منتصف النهار ، يعقبه تناول طعام خالٍ من الدسم ويشمل الصيام لديهم صيام يوم الأربعاء يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى كما يعتقدون وصيام يوم الجمعة ، لأن المسيح صُلب فيه، وصيام الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهي بعيد الميلاد والصوم المقدس وعدد أيامه ٥٥ يوماً وهي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً لها أسبوعاً الاستعداد والألام ويمتنع في هذا الصوم أكل كل حيوان وما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ويقتصرون على أكل البقوليات<sup>(٥٤)</sup> .

### الصلاة:

يهتمون بالصلاة - لأنها سهلة الأداء - أكثر من اهتمامهم بالصيام ولا يترتب لديهم على تركها أي حكم ، لأنها بالنسبة لهم تدخل ضمن الحرية الشخصية والصلاة لديهم سبع صلوات في اليوم واللييلة هي : صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة فجراً والساعة السادسة صباحاً وبعدها صلاة التاسعة وصلاة الحادية عشرة والثانية عشرة ظهراً وصلاة منتصف الليل .

وليس للصلاة لديهم ترتيب خاص وإنما هي عبارة عن أدعية تختلف من طائفة لأخرى لديهم، وغاية ما يلزم منها أن تحتوي على نسق الصلاة الربانية التي قدمها المسيح عليه السلام كما يعتقدون وهي " أبانا الذي في السموات ليقدس أسمك ليأتي ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم وأغفر لنا خطايانا ، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشر " <sup>(٥٥)</sup> .

بالإضافة إلى تلك الصلوات يُقيم المسيحيون ما يُسمى بقداس الأحد صباح يوم الأحد من كل أسبوع ( يماثل صلاة الجمعة عند المسلمين ) في كنائسهم وهو عبارة عن ترتيل وادعية ومواعظ يقرأها القسيس على مسامع الحاضرين وهم يؤمنون (يقولون وراءه أمين ) على ما يسمعون ، ويسمون قداس يوم الأحد بيوم الرب وهو يعتبر طقساً مهماً بالنسبة لهم واجب ومحتم حضوره بالنسبة لهم يوم الأحد وفي الأعياد المسيحية وهم يستخدمون دق الأجراس والنواقيس في الكنائس عند مناداتهم اعلاماً بالصلاة (٥٦) .

### الحج :

لم يشتر المسيحيون الاوائل لا من قريب أو من بعيد إلى ضرورة زيارة الأماكن التي عاش فيها وارتادها المسيح عليه السلام ومع ذلك فقد عُرف الحج لديهم باعتباره رحلة لزيارة مرقد قديس أو زيارة إلى مكان مقدس بالنسبة لهم .

والحج عندهم إلى تلك الأماكن له دوافع واسباب مختلفة ، فقد يكون الغرض منه الحصول على المساعدة الروحية أو لأجل القيام بصيام التشكر أو القيام بعمل تكفيرى وقد اصبح الحج لديهم يعني القصد إلى مكان تقدس بظهور رباني تجلّت في القدرة الإلهية متمثلاً بكنيسة أو قبر أو مشاهد لقديسيهم وهم يرجون من الحج التكفير عن الذنوب أو الشفاء من الأمراض أو الحصول على فضائل خاصة .

ومن أهم الأماكن التي كانوا يرتادونها : جبل صهيون وجبل الزيتون ومنطقة بين لحم وغيرها من الأماكن التي عاش فيها المسيح في فلسطين وصلب ورفع - بحسب معتقداتهم - وقد اضافوا اليها كذلك زيارة روما التي تحوي قبر القديس بطرس وقبر بولس الرسول ، ولأن فيها مثوى شهداء المسيحية الأولى ومركز رئيس الكنيسة بحسب معتقداتهم (٥٧) .

### الأسرة :

كان تعدد الزوجات جائزاً في المسيحية في عصورها الأولى - اتباعاً لتعاليم التوراة التي تبيح التعدد - لكنه أصبح غير مباح ولا يجوز الزواج إلا من زوجة واحدة ويجب أن يتم داخل الكنسية وكل زواج لديهم يتم خارج الكنسية لا تعترف به وبالتالي يشكّل علاقة فاسدة آثمة وتبعاً لذلك الطلاق في المسيحية حرام ، لأنهم يعتقدون أن ما يجمعه الرب لا يفرقه الإنسان ولا

يجوز إلا في حالة ثبوت الزنى على أحد الزوجين ، ومن طلق زوجته لديهم بدون سبب فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنى .

وجميع المذاهب تبيح الطلاق في حالة أن يكون أحد الزوجين غير مسيحي . ويجوز الطلاق عند اتباع المذهب البروتستانتي في أحوال معينة منها : حالة زنا الزوجة وخيانتها لزوجها ويحرمون على المطلق والمطلقة الزواج مرة أخرى .

وأباح اتباع المذهب الأرثوذكسي ( الكنيسة الشرقية ) الطلاق في الحالات التالية :

إذا زنت الزوجة وإذا كان أحد الزوجين عقيماً لمدة ثلاث سنوات وفي حالة المرض المعدي لأحد الزوجين وكذلك الخصام الطويل بين الزوجين الذي لا يرجى فيه صلح .

ولا يعترف المسيحيون بتحديد النسل ويشجعون على الإكثار منه خصوصاً في البلاد الذين يشكلون فيها أقلية ، مصر على سبيل المثال .

### ملاحظات حول المسيحية :

من يتعرف على المسيحية من مصادرها سوف يدرك أن العقائد والتشريعات الموجودة فيها حالياً تعتمد على الوضع أكثر من اعتمادها على ما جاء به عيسى ، خصوصاً ما وضعه بولس الرسول وساهمت في وضعه المجامع العامة المسكونية ، كمجمع نيقيا ومجمع القسطنطينية ومجمع روما .

لقد تمت خيانة السيد المسيح عليه السلام مرتين : الأولى من قبل أحد حواربيه وهو يهوذا الإسخريوطي الذي اغواه الشيطان لخيانة معلمه وقد دلّ اليهود عليه كي يصلبوه ، والثانية من قبل شاؤول اليهودي الذي تنصر وأصبح بولس الرسول وقد اغواه الشيطان لخيانة التعليم الأصلي لعيسى والاتيان بدين جديد يعتمد على الشرك والتثليث وتحليل ما حرّم الله باسم المسيح ، لقد نجح بولس " في تقديم عيسى مزيف وقاد الناس بعيداً عن الحق الموجود في عيسى الأصلي إلى علم لاهوته الباطل الخاص به " (٥٨) .

ومن يقرأ الأناجيل الأربعة ، لا يجد فيها عقوبة مقررة أو حداً مفروضاً على جريمة ، وأن ما عليه غالبية المسيحيين حالياً ليس الدين الذي جاء به المسيح من عند الله وإنما الدين المحرّف الذي جاء به بولس الرسول ( شاؤول

( اليهودي ) وما اخترعته المجامع المسكونية التي عقدها سابقاً ولا يزالون والتي جعلت من عقيدة التثليث والشرك أصلاً وقاعدة والتوحيد استثناء .

وحتى الشرائع والعبادات الموجودة ، دخلها الكثير من التحريف ، فالصلاة التي يصلونها ليست منقولة عن المسيح ولا صومهم منقولاً عنه ، بل جعل أولهم الصوم أربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه إلى الربيع وكذلك حجهم لبيت لحم ولروما وكنيسة صيدنايا ليس منه شيء منقول عن المسيح وكذلك اعيادهم مثل عيد الميلاد وعيد القلندس وعيد الغطاس ( القداس ) وعيد الخميس وعيد الصليب الذي جعلوه وقت ظهور المسيح وكذلك الاعياد الكثيرة التي ابتدعوها من لدن أنفسهم ، بلا كتاب من الله وليس لعيسى فيها شيء (٥٩)

والشريعة التي تذكرها الاناجيل ، يبدو في الكثير من أحكامها العنت والحرَج والتضييق على الناس وعدم إقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشئون الاجتماع ، مثال ذلك : الأحكام الخاصة بتحريم الطلاق وتحريم الزواج على الزوجين بعد طلاقهما بسبب ارتكابهما جريمة الزنا ، وبعض أحكام الشريعة المسيحية الحالية يترتب على العمل بها إشاعة الفوضى وانتشار الفسق والفجور واضطراب الامن ، بسبب اباحة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والغاء حد القصاص والغاء حد الزنا وشريعة كهذه لا يتصور عاقل أن تكون صادرة عن الله سبحانه وتعالى (٦٠) .

وأغلب المسيحيين اليوم يرون أن الدعوة المنسوبة إلى المسيح بأن يحبوا أعدائهم هو إسراف غير مقبول في المثالية ولا يمكن تطبيقها في الواقع مطلقاً ، ومن يُريد أن يتعرف على عيسى عليه السلام وما جاء به عليه بالعودة إلى القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

## قائمة مراجع المسيحية :

- (١) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ٢٣٩ . سابق .
- (٢) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٢٢٩ . سابق .
- (٣) رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية . المكتبة العصرية / بيروت . ط / ١٩٧٥ م . ص ١٥ .
- (٤) ينظر : المرجع السابق : ص ١٦ .
- (٥) محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد والإفتاء / الرياض . ط / ١٤٠٤ هـ . ص ١٧ .
- (٦) أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . مكتبة النهضة المصرية / القاهرة . ط ١٠ / ١٩٩٧ م . ص ٥٣ .
- (٧) جوزيف كاير : حكمة الأديان الحية . ص ٥٦ . سابق .
- (٨) عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٣٠٨ . سابق .
- (٩) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ٢٥٤ . سابق .
- (١٠) علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ٦٣ . سابق .
- (١١) ينظر : محمد عبدالله الشرقاوي : في مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . من ص ٢٦ إلى ص ٣٠ . سابق .
- (١٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ . ص ٢٦ . سابق .
- (١٣) ينظر : محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية . ص ٤٨ - ٤٩ . سابق .
- (١٤) حبيب سعيد : أديان العالم . ص ٢٥٧ . سابق .
- (١٥) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون . مكتبة وهبة / القاهرة . ط ١ / ١٩٨٠ م . ص ١٥ .
- (١٦) علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . ص ٨٠ . سابق .
- (١٧) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص ١٨ . سابق .
- (١٨) انيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد . ص ٢٤ . سابق .
- (١٩) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٢٦٩ . سابق .
- (٢٠) علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص ٧٣ . سابق .

- (٢١) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص٢٩ .  
سابق
- (٢٢) ( ينظر : محمد عطا الرحيم : عيسى المسيح والتوحيد . تر: عادل حامد محمد .  
مركز الحضارة العربية / ( د - ن ) . ( د - ت ) ص٤٢ )
- (٢٣) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٢٧٩ - ٢٨٠ . سابق .
- (٢٤) محمد عطا الرحيم : عيسى المسيح والتوحيد . تر: عادل حامد محمد . ص٧ .  
سابق .
- (٢٥) علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . ص٦٠  
سابق .
- (٢٦) أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص١١٤ . سابق .
- (٢٧) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٢٤٦ . سابق .
- (٢٨) ينظر : أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص١١٤ . سابق .
- (٢٩) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٢٥٥ . سابق .
- (٣٠) أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص١١٦ . سابق .
- (٣١) محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٢٥١ . سابق .
- (٣٢) حبيب سعيد: أديان العالم . ص٢٤١ . سابق .
- (٣٣) ينظر : أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص١١٥ . سابق .
- (٣٤) رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية . ص٦١ . سابق .
- (٣٥) انجيل برنابا . تح : سيف الله أحمد فاضل . دار القلم/ بيروت . ط/ ١٩٧٣م -  
١٣٩٣هـ . ص٣٧ .
- (٣٦) ينظر : محمد عطا الرحيم : عيسى المسيح والتوحيد . ص٨٠ - ٨١ . سابق .
- (٣٧) المرجع السابق : ص٨٥ .
- (٣٨) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحية . ص١١ . سابق .
- (٣٩) محمد عابد الجابري : مدخل إلى القرآن الكريم / ج ١ . مركز دراسات الوحدة  
العربية / بيروت . ط / ١ / ٢٠٠٦م . ص٦٩ .
- (٤٠) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحية . ص٣١ . سابق .
- (٤١) محمد ابو زهرة : محاضرات في النصرانية . ص٤٥ . سابق .
- (٤٢) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص ٢٨٩ . سابق .
- (٤٣) أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون . مكتبة وهبة  
/ القاهرة . ط / ١ / ١٩٨٠م . ص٩ .
- (٤٤) محمد عطا الرحيم : عيسى المسيح والتوحيد . ص١١٠ . سابق .
- (٤٥) ينظر : محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . ص٣٦٧ - ٣٦٨ . سابق .
- (٤٦) أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص ٢٢٩ . سابق .

- (٤٧) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٣١٥ . سابق .
- (٤٨) ينظر : أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص ٢٣١ - ٢٣٢ سابق .
- (٤٩) ينظر : فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ١٤٩ . سابق .
- (٥٠) محمد أحمد الخطيب : مقارنة أديان . ص ٢٨٦ . سابق .
- (٥١) ينظر : المرجع السابق : ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- (٥٢) نقلاً عن : أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . ص ٢٣٤ . سابق .
- (٥٣) ينظر : عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . ص ٣٢١ . سابق .
- (٥٤) ينظر : فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ١٥٣ . سابق .
- (٥٥) نقلاً عن : أحمد شلبي مقارنة الأديان ٢ : المسيحية . ص ٢٣٦ . سابق .
- (٥٦) ينظر : محمد أحمد الخطيب . مقارنة الأديان : ص ٣٤٩ . سابق .
- (٥٧) ينظر : المرجع السابق : ص ٣٥٧ .
- (٥٨) صالح بن علي السبيل : عيسى الحقيقي وعيسى المزيف في العهد الجديد . ص ٤٢ . [www.Gesudepictions.com](http://www.Gesudepictions.com) .
- (٥٩) ينظر : فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . ص ١٦٠ - ١٦١ . سابق .
- (٦٠) ينظر : علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . ص ٧٨ . سابق .

## قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل / ج ٢ . تح : عبدالعزيز الوكيل مؤسسة الحلبي / القاهرة . ط / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢- ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة . عالم الكتب / بيروت . ط ٢ / ١٩٨٣ م .
- ٣- ابن حزم الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل / ج ١ . تح : محمد ابراهيم نصير / عبدالرحمن عميرة . دار الجبل / بيروت . ( د - ت ) .
- ٤- ابراهيم محمد ابراهيم : الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة . مطبعة الأمانة / القاهرة . ط ١ / ١٩٨٥ م .
- ٥- أحمد ابيش : التلمود كتاب اليهود المقدس . دار قتيبة / دمشق . ط ١ / ٢٠٠٦ م .
- ٦- أحمد شلبي : مقارنة الأديان ١ / اليهودية . مكتبة النهضة المصرية / القاهرة . ط ٨ / ١٩٨٨ م .
- ٧- أحمد شلبي : مقارنة أديان ٢ : المسيحية . مكتبة النهضة المصرية / القاهرة . ط ١٠ / ١٩٩٧ م .
- ٨- أحمد شلبي : مقارنة أديان ٤ : أديان الهند الكبرى . مكتبة النهضة المصرية . ط ١١ / ٢٠٠٠ م .
- ٩- أحمد عبدالوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون . مكتبة وهبة / القاهرة . ط ١ / ١٩٨٠ م .
- ١٠- أحمد علي عجيبة : دراسات في الأديان الوثنية القديمة . دار الآفاق العربية / القاهرة . ط ١ / ٢٠٠٤ م .
- ١١- أسعد السحمراني : البيان في مقارنة الأديان . دار النفائس / بيروت . ط ١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٢- الشفيق الماحي أحمد : زرادشت والزرادشتية . حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية . الكويت . الحولية ٢١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . دار الندوة العالمية للطباعة / الرياض . ط ٤ / ١٤٢٠ هـ .
- ١٤- انجيل برنابا . تح : سيف الله أحمد فاضل . دار القلم / بيروت . ط / ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ .
- ١٥- انيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد . المكتب المصري الحديث / القاهرة . ( د - ت ) .
- ١٦- بروس مازليش : الحضارة ومضامينها . تر: عبدالنور خراقي . عالم المعرفة / الكويت . عدد ٤١٢ / مايو ٢٠١٤ م .
- ١٧- حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي . معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة . ط / ١٩٧١ م .

- ١٨- جعفر السبحاني : معالم التوحيد في القرآن . دار الأضواء ، بيروت . ط٢ / ١٩٨٤م .
- ١٩- جوزيف كاير: حكمة الأديان . تر : حسين الكيلاني . دار مكتبة الحياة / بيروت . ( د - ت ) .
- ٢٠- حبيب سعيد : أديان العالم . دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة . ( د - ت ) .
- ٢١- خزعل الماجدي : علم الأديان . دار مؤمنون بلا حدود ، الرباط / المغرب . ط١ / ٢٠١٦م .
- ٢٢- رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية . المكتبة العصرية / بيروت . ط / ١٩٧٥م .
- ٢٣- سابينو أكوايفا ، إنزو باتشي : علم الاجتماع الديني . تر: عز الدين عناية . هيئة أبو ظبي للثقافة ، أبو ظبي . ط / ٢٠١١م .
- ٢٤- سعدون محمد الساموك ، هدى علي الشمري : الأديان في العالم ( د - ن ) ( د - ت ) .
- ٢٥- سلطان زايد اليحيصي : الإعجاز التشريعي في الإسلام مكتبة الصادق / صنعاء . ط٥ / ٢٠١٣م .
- ٢٦- صالح بن علي السبيل : عيسى الحقيقي وعيسى المزيف في العهد الجديد . [www.Gesudepicctions.com](http://www.Gesudepicctions.com) .
- ٢٧- طارق خليل السعدي : مقارنة الأديان . دار العلوم ، بيروت . ط١ / ٢٠٠٥م .
- ٢٨- عباس محمود العقاد : الله . دار نهضة مصر / القاهرة . ط٤ / ٢٠٠٥م .
- ٢٩- عبدالله الخريجي : علم الاجتماع الديني . دار رامتان / جدة . السعودية . ط٢ / ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ .
- ٣٠- عبدالكريم زيدان : موجز الأديان في القرآن . مؤسسة الرسالة / بيروت . ط / ١٩٩٨م .
- ٣١- عصمت نصار : نظرات في مقارنة الأديان ، دار الهداية ، القاهرة . ط / ٢٠٠٥م .
- ٣٢- عرفات عبدالخبير الرميمة : إنسانية الإنسان في الإسلام . مكتبة التاج / صنعاء . ط١ / ٢٠٢١م .
- ٣٣- عرفات عبدالخبير الرميمة : قراءات في الفكر الإسلامي . مكتبة التاج / صنعاء . ط١ / ٢٠٢١م .
- ٣٤- عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية . دار عمّار / عمان . الأردن . ط١ / ١٩٩٧م .
- ٣٥- عزية علي طه : تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام . دار القلم / الكويت . ( د - ت ) .
- ٣٦- علي سري المدّرس : العهد القديم : دراسة نقدية . الأكاديميون للنشر والتوزيع / عمان / الأردن . ط١ / ٢٠٠٧م .
- ٣٧- علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . دار نهضة مصر / القاهرة . ط١ / ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٣٨- علي عزت بيجوفتش : الإسلام بين الشرق والغرب . دار الشروق ، القاهرة . ( د - ت ) .

- ٣٩- فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الخامس . دار التكوين / دمشق . ط١ / ٢٠١٨ م .
- ٤٠- فراس السواح : موسوعة تاريخ الاديان / الكتاب الرابع . دار التكوين / دمشق . ط٤ / ٢٠١٧ م .
- ٤١- فؤاد عبدالمنعم : أبحاث في الشرائع . مؤسسة شباب الجامعة / الإسكندرية . ط/١٩٩٤-١٤١٤ هـ .
- ٤٢- كلود ب . لفسون : البوذية . تر : محمد علي مقلد . دار الكتاب الجديد المتحدة / فرنسا . ط١ / ٢٠٠٨ م .
- ٤٣- محمد أبو زهرة : مقارنة أديان : الديانات القديمة . دار الفكر العربي / القاهرة . ط / ١٩٦٥ م .
- ٤٤- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد والإفتاء / الرياض . ط / ١٤٠٤ هـ .
- ٤٥- محمد أحمد الخطيب : مقارنة الأديان . دار المسيرة للنشر ، عمان / الأردن . ط١ / ٢٠٠٨ م .
- ٤٦- محمد الغزالي : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . دار القلم دمشق . ط٢ / ٢٠٠٥ م .
- ٤٧- محمد عبدالله الشرقاوي : مقارنة الأديان : بحوث ودراسات . دار الجبل / بيروت . ط٢ / ١٩٩٠ م .
- ٤٨- محمد عطا الرحيم : عيسى المسيح والتوحيد . تر : عادل حامد محمد . مركز الحضارة العربية / ( د - ن ) . ( د - ت ) .
- ٤٩- محمد غلاب : الفلسفة الشرقية . ( د - ن ) القاهرة . ط / ١٩٣٨ م .
- ٥٠- هـ . ج . كريل : الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ما توشي تونج . تر : عبدالحميد سليم . الهيئة المصرية للتأليف والنشر / القاهرة . ط / ١٩٧١ م .
- ٥١- وول ديورانت : قصة الحضارة / ج٢ : الشرق الأدنى . تر : محمد بدران . دار الجبل / بيروت . ( د - ت ) .